يوسف الجهماني

تورا بورا

أولى حروب القرن



المؤامرة الأمريكية
الصهيونية الكبرى

تورا بورا

أولى حروب القرن

أسم الكتاب: تورابورا أولى حروب القرن
أسم المؤلف: يوسف إبراهيم الجهمانى
رقم الايداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٢/١٤١٤٤
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-5346-36-3
أسم المطبعة: ستار برس ٤٠ ش المحاولات - الهرم ت: ٥٦٣٧٥٥٢

طبعة خاصة
بدار الكتاب العربى
أغسطس ٢٠٠٢



دمشق - القاهرة
سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ١٣٣٤٤ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
Email:darkitab@starnet.com.eg

تورا بورا

أولى حروب القرن

يوسف إبراهيم الجهماني

(إن أهداف الحرب العظمى يجب أن تتمثل بالقارات، وليس بالأقليات الوطنية، بالتدمير النهائي للعدو، وليس بمجرد هزيمته، وبتبعية الدول، وليس بتحالفها، بإلغاء كافة الحكومات على الكرة الأرضية، وليس بتبديل الحدود فقط، وبالتوبيخ المميت، وليس بالاتفاق السلمي)

هتلر

«إن قوة أمريكا مفروضة بشدة على عالم يشبه بركاناً من الطموحات المقموعة، وإدراكاً عنيفاً بمظالم أساسية، ومع ذلك فإن قدرة أمريكا على قيادة وتوجيه العالم ستعتمد في المدى البعيد على الدرجة التي تستطيع فيها أمريكا التغلب على الانطباع القائل إن المجتمع الأمريكي أخذ يفقد تدريجياً المعايير الأساسية لممارسة ضبط النفس المسؤول»

الرئيس الأمريكي السابق كارتر

المقدمة

بدأت معالم تحول الولايات المتحدة الأمريكية إلى كيان امبراطوري، بعد طي صفحة الحرب العالمية الثانية. وكان من المتوقع لها أن تصبح وبشكل سريع الامبراطورية الأقوى والأغنى والأكثر سيطرة على العالم، لأنها هي الدولة الوحيدة من الدول المشاركة في الحرب العالمية الثانية التي خرجت محتفظة ببنية تحتية سليمة ومعافاة. لكن الذي عرقل ذلك وأخره نشوب ما يسمى بالحرب الباردة، التي دارت بين الولايات المتحدة خصوصا والغرب عموما ودول المنظومة الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفيتي.

لهذا وعندما انتهت الحرب الباردة التي دامت أربعة عقود، بانهيار المنظومة الاشتراكية وتفسخ دولها، بعد صراعات ساخنة وفاترة، جاء ذلك الزمن الذي استطاعت فيه أمريكا أن تقفز بجدارة إلى المركز السامي الأول، محاولة السيطرة على العالم أجمع، ثقافياً، اقتصادياً، عسكرياً وسياسياً. وأصبحنا نسمع عن ما يُسمى بالنظام العالمي الجديد، الذي يسعى لادارته 'العم سام◆'.

مر القرن العشرون حاملاً معه حربين عالميتين (الأولى والثانية) وعشرات الحروب الإقليمية والأهلية والإثنية، مخلفة بالمجموع ملايين القتلى والمشوهين والعجزة وآلاف مليارات الدولارات كخسائر مادية، هذا في حقبة لم تكن فيها وسائل الدمار العسكرية توصلت فيه إلى ذلك المستوى العالي من القدرة والدقة والامكانات، التي جاء نا بها القرن المعاصر. الحادي والعشرون.

كما أصبحت الإدارة الأمريكية على قناعة تامة في 'الدخول إلى ذات الأمكنة التي عاثت بها الدول الاستعمارية السابقة، خاصة وقد أشبع المواطن الأمريكي بمتعة القراءة المشوقة التي استقاها من مذكرات الفاتحين الأوائل والرواد والكشافة، ليذهب إلى الغرابة والجمال والشمس'.

◆ ياتي مصدر كلمة 'الأنكل سام' او 'العم سام' بالعربية، من حقيقة أنه أبان حرب 1882 في امريكا، كان هنالك مفتش يُدعى ساموبل ويلسون، وكان هذا يضع ختمه على براميل اللحم التي يتولى معاينتها. الختم هو U. S اي الولايات المتحدة، فكان الجنود والآخرون يقرأونها بطريقة مختلفة : Uncle Sam، اي الأنكل سام، وكان أن اضحى التعبير اسماً لأمريكا، لا اسم ذلك الرجل الذي كان يملك منخاراً يفوق بقدراته الاختبارية اي مخبر في عصرنا هذا.

من خلال حرب عاصفة الصحراء، أو مايُسمى بـ "حرب الخليج الثانية"، التي جرت عام 1991، حاول جورج بوش الأب أن يُعيد صياغة منطقة الشرق الأوسط من جديد، حسب ما ترتأيه المصالح المستجدة للولايات المتحدة في هذه المنطقة الحساسة من العالم، والتي تتمتع بموقع استراتيجي هام، بالإضافة إلى كونها تعوم على بحر من الذهب الأسود، مصدر الطاقه الرئيسي في العالم إلى يومنا هذا. كان ثمن هذه المحاولة الأمريكية في المنطقة العربية باهضاً على دولها وشعوبها، ابتداءً من دول الخليج الغنية، التي كادت خزائنها تنضب من جراء تمويل فواتير الحرب الأمريكية والتي انتهت بالنسبة لها بزيادة أعداد الجنود والقواعد الأمريكية المنتشرة على أراضيها، لدرجة أنها غدت كدول خاضعة للانتداب، مروراً بالدول العربية الأخرى التي اضطرت إلى الوقوف إلى جانب الولايات المتحدة في حربها لاخراج القوات العراقية من الكويت، الأمر الذي جعلها تقف ملامةً أمام شعوبها، وصولاً إلى الشعب العراقي الذي كان الأكثر تضرراً من هذه الحرب، التي عانى منها موتاً وتدميراً وجوعاً ومرضاً، إلى تلك الدرجة التي فيهالم ينج أحد من العراقيين من هذه الويلات، سوى أولئك الذين ساعدوا أمريكا على إضرام هذه الحرب، التي كان من نتيجتها أنها أعادت المنطقة العربية، اقتصادياً وثقافياً وتضامنياً إلى الخلف عشرات السنين، وجعلت إسرائيل أكثر إطلاقاً لليد في التعامل مع شعوب ودول المنطقة، الأمر الذي جعلها أيضاً أكثر عداءً وشراسة وهمجية ودموية ضد هذه الشعوب والدول، لاسيما الشعب الفلسطيني شبه الأعزل.

وفي العقد الأخير من القرن العشرين المنصرم، احتاجت الولايات المتحدة للتدخل في منطقةالبلقان، تدخلاً عسكرياً، لإعادة صياغتها حسب ما ارتأته المصالح الأمريكية بالدرجة الأولى والأوروبية بالدرجة الثانية، وذلك بعد أن تشظى الاتحاد السوفيتي ومنظومة الدول الاشتراكية ومعهما حلف وارسو، حيث أعيد رسم الحدود الإدارية والسياسية، وتشكلت دول جديدة على أساس استقطاب قومي وعرقي في كل من كرواتيا والبوسنة والهرسك.

وفي عام 2001، بدا أن هنالك منطقة أخرى من العالم تحتاج بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية لإعادة صياغة وهي إقليم أوراسيا، هذا الإقليم الذي يُعتبر من المناطق الحساسة جداً من العالم، نظراً للتنوع الإثني والمذهبي والعرقي فيه؛ الأمر الذي يمكن استغلاله بسهولة بخلق حالة من حالات التناحر الإثني والعنصري ونوع من أنواع الحروب الإقليمية والتدخل فيها وتوجيهها لصالح منح خطوط للتواجد الأمريكي المستقبلي في ذلك الجزء من العالم ، بعد انحسار روسيا فيه وانكفائها نحو محيطها الداخلي، والمساعدة على خلق كيانات عرقية ودول كراكوزية، تتطلع لحظوة الرعاية الأمريكية، مثلما حدث في ألبانيا وكوسوفو.

كان الباحثون الأمريكيون والغربيون الموالون للنهج الأمريكي، قد أخذوا منذ الثمانينيات، يبحثون ويدرسون المعالم الثقافية والإثنية والدينية والطائفية والاقتصادية والاجتماعية لجميع دول منطقة أوراسيا، بهدف التوصل إلى الأسلوب الأنجع لتمكين الولايات المتحدة من السيطرة على هذه المنطقة الحساسة من العالم. يقول تيدوبرت جار في كتابه 'أقليات في خطر': «إن دول جنوب شرق آسيا ستعاني من ازدياد الصراعات الطائفية في التسعينات، بالمقارنة مع دول العالم الثالث. فالصراعات الإقليمية الممتدة في هذه المنطقة تتكاثف وتؤدي إلى خلق المزيد من المطالب الطائفية من قبل شعوبها. كما تتزايد التوترات الدينية السياسية بشكل واضح وملموس بين الهندوس والمسلمين في معظم دول المنطقة. وبدأ المستوطنون في بنغلادش المزدحمون في الأراضي المنخفضة يزحفون إلى المناطق المرتفعة، مما يؤدي إلى صراعات طائفية عنيفة مع المجموعات القبلية. والسياسيون في باكستان مرهونون بالانقسامات الطائفية بين باشتون. السند بالوشي، والأقليات الأخرى الأقل عددا. وبعد فشل الثورة الشيوعية في أفغانستان، نجد أن العداء الطائفي يتزايد بين الباشتون، الذين كانوا يسودون في المنطقة والطاجيك والهازار 'الشيعة' والأوزبيك ومجموعات أخرى».

وباتت المنطقة الممتدة من جبال الأورال إلى الحدود الغربية للصين في نظر السياسة الأمريكية، منطقة استراتيجية بالنسبة للمصالح الأمريكية، تحتل المرتبة الثانية بعد منطقة الشرق الأوسط، حيث هي بالنسبة لاحتياطات النفط والغاز تحتل أيضاً المرتبة الثانية في العالم، وهو ما يفسر أن مصادر الطاقة تشكل الباعث الأول في رسم سياسات أمريكا في العالم.

لقد أصبحت الثروات النفطية في منطقة بحر قزوين والصراع الدائر بين الدول الكبرى، العالمية والإقليمية، للهيمنة عليها، عاملاً بالغ الأهمية في الوضع الجيوسياسي والجيواستراتيجي في تلك المنطقة.

وبالفعل فإن الثروة الضخمة تُلهب النزاعات والتوترات الاقليمية في منطقة القوقاز، والتي كان الاتحاد السوفيتي قبل انهياره قادراً على درئها واحتوائها. لذا فإن هذه المنطقة تشكل اليوم، في الحقبة ما بعد السوفيتية، بؤرة تجاذب وصراع اقتصادي وجيوسياسي واستراتيجي عنيف، تشارك فيه أطراف، دولية واقليمية عديدة في مقدمتها روسيا وأمريكا وإيران وتركيا، فضلاً عن بلدان المنطقة المعنية مباشرة، وكذلك شركات النفط العالمية العملاقة.

ظل الوضع القانوني لبحر قزوين وطريقة التعامل مع ثرواته واستغلالها خاضعاً لأحكام المعاهدتين الموقعتين بين الاتحاد السوفيتي وإيران عامي 1921 و 1940، اللتين تُقرّان بأن البحر المذكور عبارة عن 'بحيرة مغلقة' مشتركة بينهما ولا يحق لأية دولة

ثالثة القيام بأي نشاطات واستثمارات فيه أيا كان نوعها. وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي تغير الوضع عما كان جذريا.

وابتداء من لحظة انهيار الاتحاد السوفيتي، توجهت عيون أمريكا وشركات النفط العالمية، التي يمتلك الأمريكيون حصة الأسد فيها، إلى هذه المنطقة لجعلها الاقليم الأكثر خدمة لمصالحها. وما الأحداث السياسية والعسكرية الجسام التي حدثت في دول هذه المنطقة أو بين بعضها البعض، سوى جزء من 'اللعبة' الأمريكية الكبرى الدائرة في هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم، سعيا من أمريكا للهيمنة على ثرواتها. وما الحرب الأخيرة التي تشنها أمريكا في هذه المنطقة، بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر، إلا استكمالا عسكريا لتنفيذ استراتيجية الولايات المتحدة في هذا الاقليم.

ويمكن تلخيص الأهداف الاستراتيجية البعيدة المدى للولايات المتحدة في القوقاز ومنطقة بحر قزوين على النحو التالي:

- السعي لايجاد بديل منافس أو مواز لنفط الخليج، بهدف التقليل من الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة، وممارسة الضغط على بلدانها لجعلها أكثر استجابة مع السياسة الأمريكية العالمية.

- انشاء البنية التحتية لما تسميه واشنطن 'التعددية الجيوسياسية' في منطقة القوقاز وبحر قزوين، والتي تعني بالمعنى الدقيق للكلمة انهاء الوجود والنفوذ الروسي في هذه المنطقة، وتوسيع حلف الأطلسي نحو التخوم الغربية لروسيا.

- انشاء منظومة لممرات أورو - أسيوية، وذلك من دون المرور في الأراضي الروسية أو الإيرانية أو الصينية.

- تحقيق العزل الجيوسياسي لإيران، التي ستجد نفسها أمام أحد خيارين؛ إما الرضوخ لواشنطن؛ أو مواجهة محيط معاد لها، خصوصا على حدودها الشمالية.

وفي هذا الصدد، كتب الباحث الروسي ديمتري يلسييف في مقال بعنوان: 'دائرة النفط القوقازية' في عدد آذار/مارس 1988 لمجلة 'النفط ورأس المال': «...إن اعلان الولايات المتحدة قزوين والمناطق المحاذية لها منطقة لمصالحها الحيوية ليس كلاما فارغا. إنه يعني امكانية فعلية لنشر قوات أمريكية هناك، بعدما أصبحت التربة السياسية في بلدان تلك المنطقة مهيأة لذلك...إن السياسة الاقتصادية الخارجية الفاعلة، سواء على مستوى الشركات الخاصة أو على مستوى الدولة الروسية عموما، غير ممكنة من دون إعادة النظر جذريا باستراتيجية السياسة الخارجية، ووضع كل الامكانيات المتاحة في خدمة هذه السياسة...إن ذلك لا يعني 'القعقعة بالسلاح'، ولكن ينبغي أن ندرك أنه من دون قدرة عسكرية فاعلة لايمكننا مخاطبة الولايات المتحدة على قدم المساواة، حتى في المناطق المحاذية لروسيا».

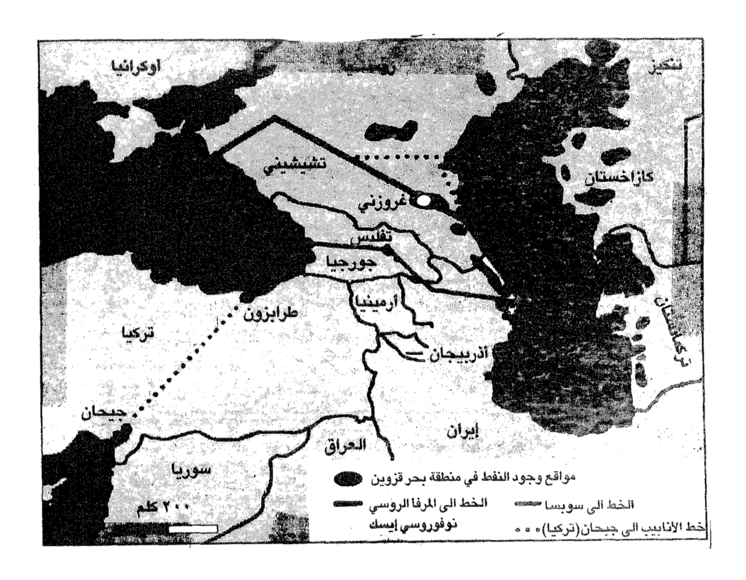
تتعارض التقديرات حول أهمية النفط والغاز الطبيعي في منطقة بحر قزوين، وهو البحر الذي كان حتى عام 1991 محصورا بين دولتين، هما الاتحاد السوفييتي وإيران، وباتت الآن خمس دول تشاطؤه: روسيا، إيران، كازاخستان، تركمانستان وأذربيجان. هذا وتشير بعض التقديرات الأمريكية إلى أن الإحتياطي النفطي في هذه المنطقة يصل إلى 178 مليار برميل، مما يدرج هذه المنطقة في المرتبة العالمية الثانية، بعد السعودية التي يبلغ احتياطي النفط فيها قرابة 259 مليار برميل، ويشكل حوالي ربع الإحتياطي المكتشف في العالم. بالإضافة إلى النفط فإن هنالك الغاز الطبيعي الموجود بكميات كبيرة في بلد كتركمانستان المتاخمة لأفغانستان شمالا، حيث يتجاوز الاحتياطي المكتشف فيها 102 ألف مليار قدم مكعب، مما يجعل هذه الدولة التي لا يتجاوز عدد سكانها الست ملايين نسمة، الدولة الثالثة في العالم من حيث احتياطي الغاز الطبيعي، بعد روسيا وإيران.

كما أصبحت الأدبيات الأمريكية في الآونة الأخيرة تتحدث بإسهاب حول مشاكل وخيارات نقل نفط آسيا الوسطى إلى المستهلكين، وحول الصراعات الحادة على خارطة أنابيب النفط، التي ترى أن من يسيطر على المنطقة، يستطيع أن يفرض الخارطة التي يريد، والتي بالضرورة تتوافق مع مصالحه ومصالح حلفائه. فروسيا ترغب بأن تمر أنابيب النفط عبر أراضيها لتصب عبرها في ميناء نوفوراسيسك على البحر الأسود، لتنقل من هناك إلى أوروبا وسواها من الدول المستهلكة. وبعض الشركات الأوروبية، لا سيما الفرنسية منها، اقترحت نقل نفط بحر قزوين عبر إيران. والولايات المتحدة الأمريكية التي تراكضت شركات نفطها على امتيازات التنقيب في دول آسيا الوسطى، تعارض العبور عبر إيران لأسباب سياسية، وتفضل العبور باتجاه ميناء جيهان التركي، بحيث يمر النفط من باكو، عاصمة جمهورية أذربيجان، عبر جورجيا على البحر الأسود.

ويذكر هنا أن علاقات روسيا مع أذربيجان متوترة بسبب ما تدعيه أذربيجان من مناصرة موسكو لأرمينيا في حربها معها حول التنازع على منطقة ناغورنو كاراباخ. بالإضافة إلى علاقات روسيا المتوترة مع جورجيا أيضا، حول ما تدعيه الأخيرة بمحاولات المخابرات الروسية المتكررة لاغتيال إدوارد شيفرنادزة، الرئيس الجورجي. ومن الحري القول أن من يسيطر على منطقة أوراسيا بشكل عام، وأفغانستان بشكل خاص، هو الذي سيملي شروطه في شأن الطريق الذي سيتبعه النفط إلى الدول المستهلكة.

وفي تحالفها مع باكستان في أولى حروب القرن هذه، يبدو أن الولايات المتحدة سوف تعمل على اختيار أن ينقل الجزء الأكبر من نفط بحر قزوين عبر أفغانستان وباكستان، ملبية بذلك خيار شركات النفط الأمريكية، كشركة يوناكال. فقد كانت

يوناكال على رأس فريق دولي تم تشكيله بهدف مد خط أنابيب تصل كلفته إلى 4.5 مليار دولار، يربط بين تركمانستان وباكستان مروراً بأفغانستان، ذلك الخط الذي ضمان أمنه، في حال قيامه، يستلزم قيام حكومة قوية ومستقرة في أفغانستان. ولذلك قام مساعد وزير الخارجية الأمريكي الأسبق لشؤون جنوب آسيا روبن رافيل في الأشهر التي سبقت وصول طالبان إلى الحكم، بجولات مكوكية عدة على هذه الدول الثلاث للدفاع عن مصالح يوناكال. ويؤكد الخبراء أن الولايات المتحدة كان لها مصلحة كبرى في وصول حركة طالبان إلى السلطة في كابول، بغرض إبعاد إيران عن المنافسة في إقامة خط أنابيب يخدم مصالحها.



وهنا يجدر التساؤل، لماذا طالبان؟

احتاجت الولايات المتحدة وباكستان لطالبان لعدة أسباب منها: الاقتتال الداخلي بين فصائل 'المجاهدين' الأفغان، بعد انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان عام 1989، الذي أوصل البلاد إلى حالة تشرذم وعدم استقرار، لم يصل إليها من قبل؛ بالإضافة إلى الحاجة لهيمنة القوى التي تمثل الإثنية التي تشكل الأغلبية من السكان 'الباشتون يشكلون حوالي 55٪ من مجموع سكان أفغانستان'؛ كما أن وصول طالبان يصب في صالح باكستان بالدرجة الأولى وهي التي تشكل الخصر الرخو لأفغانستان، حيث أغلبية سكان أقاليمها المتاخمة لأفغانستان غربا هي من قبائل الباشتون؛ أضف إلى ذلك، الحيلولة دون امتداد الهيمنة الإيرانية إلى أفغانستان، وسيطرة الشيعة على مقاليد الأمور فيها.

هذا وقد زاد من أهمية أن تنحو الولايات المتحدة للقيام بالسيطرة على منطقة أوراسيا النهوض السريع للتنين الصيني، ما عاد يسمى بـ 'التنين الأكبر' للقرن الحادي والعشرين. الأمر الذي سيجعل الصين من أكبر المزاحمين للولايات المتحدة على السيطرة على هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم، ناهيك أنها الأقرب الجيوسياسي لها، بالإضافة إلى كون روسيا تحتاج إلى حقبة طويلة لإعادة بناء نفسها من جديد، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الشيوعية، لأن الامبراطوريات التي تنهار لا تلتئم جروحها بسرعة.

عندما اختارت إدارة الرئيس السابق بيل كلينتون إطلاق حفنة صواريخ على افغانستان والسودان، بعد تفجير السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام تصرفت كمن يبعث برسالة لا كمن يرغب في حسم معركة. موجز الرسالة أن الولايات المتحدة لن تسمح بمرور الاعتداءات عليها من دون عقاب وأن يدها طويلة.وإن هذه الإدارة فضلت مقاربات أخرى وتجنبت دفع الصدام إلى حدود الحرب الشاملة، ربما لأنها كانت تفتقد بأن مثل هذه الحرب يصعب كسبها، أو لأنها كانت مقتنعة بأن إطفاء الحرائق الإقليمية المشتعلة يحرم الإرهابيين من فرص الاصطياد في هذه الأزمات والانطلاق منها لتبرير نهجهم وهجماتهم.

في تاريخ يعود إلى ما قبل الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، حذرت الولايات المتحدة الأمريكية حركة طالبان الحاكمة في كابول، من أنها تحملها المسؤولية في حال هاجم الإرهابي المفترض أسامة بن لادن مصالح أمريكية. وقالت وكالة الأنباء الإسلامية ومقرها باكستان أن السفير الأمريكي وليام ميلام التقى سفير طالبان في إسلام أباد عبد السلام ضعيف ليبلغه بالقلق الأمريكي، بعد معلومات تلقتها الولايات المتحدة ومفادها أن بن لادن يستعد لشن هجمات إرهابية على مصالح أمريكية في العالم. ورد السفير الأفغاني على ذلك قائلا: إن بلاده لا تعتبر الولايات المتحدة بمثابة عدو،

وبالتالي فهي لا يُمكن أن تسمح لخصوم واشنطن باستعمال الأراضي الأفغانية ضد الولايات المتحدة. وأوضحت الوكالة أنها المرة الأولى التي يزور فيها السفير الأمريكي سفارة طالبان في باكستان، إحدى الدول الثلاث مع الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، التي تعترف بنظام طالبان الحاكم في كابول.

وفي عددها الصادر بتاريخ 27 نيسان/أبريل 2001، أوردت صحيفة المحرر العربي تنبؤات لفقهاء حركة طالبان، جاء فيها: «أن الغرب بلغ تلك النقطة التي تُنبئ بزواله... انتظروا، إن 'طالبان' ستصل عاجلاً أم آجلاً إلى هذه المدينة 'المقصود بهذه المدينة هي مدينة نيويورك' . إرم ذات العماد، التي تحدث عنها القرآن'. والملا إسماعيل، وهو أحد فقهاء الحركة، يعتبر أن ناطحات السحاب المسننة هي تحد صارخ للسماء، ويفترض أن تُرغم للانحناء للباري عز وجل. كيف؟ بنسفها من جذورها...»

وهنالك تقارير ديبلوماسية تشير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تستعد 'لشن حرب منفردة' على أفغانستان منذ حزيران/يونيو 2001، أي قبل ثلاثة أشهر من أحداث 11 أيلول/سبتمبر في نيويورك وواشنطن للقضاء على ابن لادن وتنظيم القاعدة ومؤيديه من قادة طالبان، بعدما أجمع محللو وخبراء وزارة الدفاع (البنتاغون) ووكالة المخابرات الأمريكية (سي آي إي) على أنه بات 'يشكل خطراً داهماً وقريباً على مصالح الولايات المتحدة الأمريكية الحيوية في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، وخصوصاً على منطقة الخليج النفطية وعلى باكستان النووية'، ولم تُفد التقارير إلى أنه بات يُشكل خطراً على الأمن الأمريكي الداخلي، وأن الهجمات الجوية الانتحارية على نيويورك وواشنطن، 'التي فاجأتهم بشكل كامل، عجلت في وضع الاستعدادات العسكرية الأمريكية موضع التنفيذ، على الرغم من أن 'كل التقديرات كانت تتحدث عن شن حملة عسكرية أمريكية ضد أفغانستان قبل نهاية هذا العام، دون تشكيل تحالف أو ما يشبه ذلك.'

وقال التقرير إن المحللين والخبراء العسكريين الأمنيين والسياسيين أوصلوا في 'مستند مشترك رفعوه إلى جورج دبليو بوش في أوائل حزيران/يونيو' بوجوب القضاء على بن لادن والنظام القائم في كابول لأسباب رئيسيه هي:

- أن هنالك نشاطات واسعة لابن لادن، وصلت أخبار عنها من بعض الدول الخليجية، تُفيد وجود استعدادات فاعله لـ 'القاعدة' ولجماعات سعودية داخلية فاعلة من مشارب مختلفة، للبدء بموجة تفجيرات واغتيالات وفوضى على نطاق واسع في المدن الرئيسية كالرياض والمنطقة الشرقية ومكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة، تكون من الحدة والعنف بحيث تؤدي إلى إفلات زمام السيطرة الأمنية للنظام.

- إرتفاع حمى المعلومات حول إمكانية وقوع انقلاب عسكري في باكستان، يُطيح بالرئيس برويز مشرف ويُقيم حكومة مطعمة من عسكريين وقادة أحزاب إسلامية

متشددة، يضع الترسانة النووية في أيدي الجناح الإسلامي المؤيد بقوة لابن لادن وطالبان.*

- أكدت معلومات الـ"سي آي إي" أن غزلا يجري بين التيار المحافظ الإيراني وابن لادن.

- وأكدت أيضا أن تشاور وغزل شبيه يجري بين الأحزاب والجماعات الإسلامية في تركيا وابن لادن.

- أن هنالك معلومات حول نشاط واسع النطاق لتنظيم القاعدة الذي يتزعمه ابن لادن، في كل من طاجكستان واوزبكستان وتركمنستان وفي الصين والشيشان.

- أن هنالك خطة طموحة لابن لادن للسيطرة على الطاقات الثلاث الهائلة — النفط الخليجي، والقوة النووية الباكستانية، والقوة النفطية والتسليحية الإيرانية مع القوة العسكرية التركية، لإقامة ما يشبه امبراطوزية إسلامية، تمتد من حدود أوروبا شمالا حتى تخوم الهند شرقا.

استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية الحركات الأصولية أثناء الحرب الباردة في مواجهة الإتحاد السوفيتي. وكانت الحركة الشيوعية العالمية والحركات الوطنية التقدمية تمثلان العدو الأول للغرب. وراهنت أمريكا بشكل خاص على هذه الحركات الدينية لتساعدها على محاصرة المد التقدمي الذي شهده الوطن العربي والعالم الإسلامي في سنوات الستينات والسبعينات، حيث أعتبر الرئيسان الراحلان جمال عبد الناصر وهواري بومدين عدوين للغرب. وقدمت أفغانستان لتكون ساحة مناسبة لشن حرب ضروس لاهوادة فيها ضد أعداء الولايات المتحدة، بشكل خاص، والغرب بشكل عام. وهنا في أفغانستان، في الحقبة المشار إليها سابقاً، التقت مصالح الطرفين، الولايات المتحدة والحركات الإسلامية الأصولية المتطرفة. دُرِّبت عناصر هذه التنظيمات الإسلامية الأفغانية، من أفغان وكما يسمونهم "أفغان عرب"، على أيادي الإستخبارات الأمريكية لمقاومة الجيش السوفيتي المنتشر على أراضي أفغانستان. كما مدت أمريكا وحلفاؤها من دول النفط هؤلاء "المجاهدين" بالدعم المالي وبالعتاد المتطور، وأهمها صواريخ "ستنقر" المضادة للحوامات. ومنذ تلك المرحلة، خُلقت علاقات متشابكة ومتداخلة ومعقدة بين الولايات المتحدة الأمريكية وهذه الحركات الإسلامية الأصولية.

وها هي اليوم المصالح تفترق وتتناحر بين طالبان وحركة القاعدة، من جهة، والولايات المتحدة الأمريكية، من جهة أخرى. وجاء هذا الافتراق، في مرحلة قدم فيها

* وفي هذه النقطة، يؤكد التقرير أن سفيرة الولايات المتحدة في باكستان حملت إلى مشرف قبل أيام قليلة من بدء الحملة العسكرية هذه المعلومات والوثائق الأمريكية، ما أدى إلى اتخاذ قراره المفاجئ، الذي اتخذه في الانقلاب على حليفته "الطالبان" وفتح أبواب باكستان أمام القوات الأمريكية، في الوقت الذي قام فيه بعمليات إعتقال وتغييرات واسعة داخل قيادته العسكرية (نحى فيما بعد 3 من كبار جنرالته بينهم رئيس المخابرات).

إلى البيت الأبيض، اليمين الأمريكي المتطرف، الذي جاء بهدف تحويل النظام العالمي الجديد إلى نظام أمريكي عالمي جديد. جاء جورج دبليو.بوش، ممثلا لاحتكارات، لا سيما منها احتكارات ترسانات صناعة الأسلحة، جاء يريد الإستحواذ على كل شيء في العالم. ومن يدري فهل كان يمكن أن يختار جورج دبليو بوش زدا رمزيا لو جاء الهجوم الجديد على بلاده في صورة تفجير سفارة أو اغتيال سفير أو استهداف قطعة بحرية، كما فعل كلينتون. لكن المهاجمين، 'أيا كانوا'، ذهبوا أبعد هذه المرة. نقلوا الحرب إلى الأرض الأمريكية وزرعوا أرض نيويورك بالجثث. ظهروا في صورة من يرغب في إلحاق الهزيمة بأمريكا، هيبة وازدهارا، ولم يكتفوا بالتسبب في جرح صغير في الجسد الكبير.



وأنا ملاك الرحمة ـ البحرية الأميركية : حرب ، حرب ، حرب ... (عن «ال باس الاسبانية»)



أنا جورج بوش ابن جورج بوش ، ورئيس أميركا !



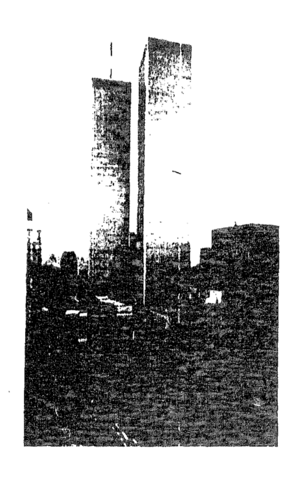
وأنا راعي البقر و.. العالم (عن «الفاينش

الولايات المتحدة الأمريكية

قبل وبعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر

« إن الولايات المتحدة قضت على سكانها الأصليين عبر القرون، واجتاحت نصف المكسيك وتدخلت بعنف في المنطقة واحتلت هاواي وفيتنام، وقامت خلال الخمسين سنة الأخيرة بااللجوء إلى القوة في جميع أنحاء العالم تقريبا .. هذه هي المرة الأولى التي توجه فيها البنادق إلى الاتجاه الآخر.. لا يمكن اعتبار الولايات المتحدة ضحية بريئة إلا إذا تجاهلنا لائحة أفعالها وأفعال حلفائها .. علينا أن نعير اهتماما أكبر لما نفعل في العالم. علينا أن نتساءل: لماذا حصل لنا ما حصل ».

المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي



شهدت مرحلة الحرب الباردة صراعا مستميتا بين قطبين كبيرين في العالم، هما قطب المعسكر الاشتراكي بزعامة الاتحاد السوفيتي، والقطب الغربي، بزعامة الولايات المتحدة. وكانت جميع المبادرات الكبيرة، إن كان في السياسة الداخلية أو الخارجية للولايات المتحدة، كانت تصب بهدف احتواء الشيوعية وهزيمتها، وعندما كان هذا الهدف يتصارع أو يتناقض مع أهداف أو مصالح أخرى، كان يجب على هذه الأخرى أن تصبح في المقام الثاني.

ومن هذه المبادرات الكبرى: حلف الناتو؛ وبرنامج المساعدات التي قدمت إلى اليونان وتركيا في الخمسينات والستينات، مكافأة لهما على الانظمام لحلف الناتو ولتركيا بشكل خاص، لأنها كانت في الخمسينات القطب الأساسي في الأحلاف التي شكلتها أمريكا في الشرق الأوسط للضغط على الدب الروسي للحيلولة دون تحقيق مصالحه فيها؛ ومشروع مارشال للنهوض الاقتصادي بأوروبا، بعد الحرب العالمية الثانية؛ والحرب الكورية؛ والأسلحة النووية والصواريخ الاستراتيجية؛ وحرب النجوم؛ وجميع المساعدات الخارجية، العسكرية منها والاقتصادية؛ وعمليات المخابرات، ابتداء من التجسس مرورا بأعمال الاغتيالات، وصولا إلى عمليات تدبير الانقلابات العسكرية؛ تقليص الحواجز الجمركية؛ التحالف العسكري مع كل من اليابان وكوريا الجنوبية؛ ودعم إسرائيل اللامتناهي؛ ونشر قوات وأساطيل عسكرية في الخارج؛ والانفتاح على الصين؛ ودعم 'المجاهدين' الأفغان، وغيرهم من حركات التمرد المعادية للشيوعية؛ وبناء المؤسسة العسكرية الضخمة إلى حد لا سابق له.

وعندما انتهت الحرب الباردة، وتعليقا على ما ستؤول إليه حالة أمريكا في تعاملها مع العالم، انطلاقا من مسلمة ضرورة وجود عدو* ، علق جورجي أرباتوف، أحد مستشاري غورباتشيف قائلا، موجها كلامه للأمريكيين: «**إننا نفعل شيئا رهيبا لكم، فنحن الآن نحرمكم من عدو.**» وفي الجانب الآخر، يرى هينتغتون أن الحرب الباردة كانت قد رعت الهوية المشتركة بين الشعب الأمريكي وحكومته، ويرى أن انتهاء هذه الحرب من المرجح أن يضعف هذه الهوية.

---

* وإذا ما توقفنا عند هذه النقطة الحيوية بالنسبة للتفكير الغربي الاستراتيجي، فإن وجود العدو هو مسألة غاية في الأهمية. وفي حال انتفاء هذا العدو، فإن الأوساط المعنية بإدارة الصراع لا بد أن تبحث عن عدو حقيقي، أو حتى وهمي. وذلك في خدمة أهداف بعيدة تصب في خانة المصالح الغربية.

ومن وجهة النظر السياسية الدفاعية من منطلق استراتيجي، أصدرت إدارة بوش الأب عام 1991، وثيقة بعنوان 'نظرة إلى القدرة العسكرية الأساسية'، تضمنت مبدأً جديداً بات يتوقع 'نزاعين إقليميين كبيرين'. وأكدت إدارة كلينتون هذا التوجه عام 1993 في تقويمها الشمولي، وفي عام 1997 في وثيقة رئيسية، أطلق عليها 'سياسة الدفاع في مسرح العمليات' (أربع سنوات)، حيث أطلق على هذه النزاعات اسم 'حروب رئيسية في مسرح العمليات'.

هكذا نجد أن نهاية الحرب الباردة أتت بتساؤلات كثيرة حول مستقبل المصالح الأمريكية وطبيعتها ومصير هذه الولايات ودورها المستقبلي في العالم. ففي أمريكا يطرح اليوم ذلك السؤال الذي طرحه سولا أحد قادة الرومان، بعد أن أكمل الأخيرون غزوهم للعالم بهزيمة جيوش ميثراديتس، وذلك في عام 84 ق.م، حينما قال: **«الآن والعالم لا يُقدم إلينا أي أعداء آخرين، ماذا سيكون مصير الجمهورية»**. هذا وقد جاءت الإجابة على ذلك سريعاً، فقد أخذت هذه الامبراطورية تتداعى بعد ذلك بسنوات قليلة. وبالنسبة لأمريكا فإنه من غير المتوقع أن يحدث لها الشيء ذاته، لكن الأمر الحقيقي يكمن في أن الانتصار الحقيقي لليبرالية وسواد الديمقراطية الحقيقية في العالم قاطبة، هي من الأمور التي لا تصب في صالح المصالح الاستراتيجية للإدارة الأمريكية، مهما كانت طبيعتها، لأنها بالنتيجة كانت وما زالت تمثل الأقلية الأوليغاركية القليلة من المجتمع الأمريكي، التي تتحكم بالاقتصاد الأمريكي والعالمي إلى حدٍ كبير، وهي لا تُمثل بالجوهر المصالح الاستراتيجية الإنسانية للشعب الأمريكي.

شهدت السنوات التي انقضت على نهاية الحرب الباردة مناقشات عنيفة واسعة النطاق يسودها الخلط حول المصالح القومية الأمريكية، نشأ قدر كبير منه من تعقد العالم بعد انتهاء الحرب الباردة، وتعدد التفسيرات للبيئة العالمية الجديدة. شملت هذه التفسيرات: نهاية التاريخ 'فوكوياما'، والصراع بين قطبين جديدين هما الدول الفقيرة والدول الغنية، وصراع الحضارات 'هينتغتون'، وحركة العودة إلى سياسة استخدام القوة التقليدية التي لا يزال المستقبل أمامها، والتفسير الذي ينطلق من حقيقة تقسيم العالم إلى أعراق، والصراع بين الاتجاه نحو الاندماج والاتجاه نحو التفتت. ونحن نعتقد أن العالم الجديد هو كل هذه الأشياء (صموئيل هينتغتون). لذا فإن هنالك أسباب كافية لعدم التأكد من المواقع والمواقف الصحيحة والحقيقية للمصالح الأمريكية، ضمن هذه الكتلة الكبيرة من القش. وهنالك أمر آخر لوجوب الخلط، حيث قبل أن ننطلق لتحديد مكامن المصالح القومية لأمة من الأمم، يجب أن نعرف هويتها القومية، لأن المصالح القومية دائماً وأبداً كانت مستمدة من هذه الهوية.

إن الهوية الأمريكية من الناحية التاريخية، لها مكونان أساسيان: الثقافة والعقيدة. يحدد مايكل ليند في كتابه 'الأمة الأمريكية التالية' معالم التطور في الثقافة الأمريكية،

في ثلاثة أطوار: أمريكا الإنجليزية (1789 . 1861)، وأمريكا الأوروبية (1875 . 1957)، وأمريكا المتعددة الثقافات (1972 حتى الوقت الراهن). والمكون الثاني للهوية الأمريكية هي مجموعة الأفكار والمبادئ الكلية، توضحها الوثائق الأساسية التي وضعها زعماء أمريكا: الحرية والمساواة والديمقراطية والتقيد بالدستور والنزعة التحررية (الليبرالية) والحكومة ذات المسؤولية المحدودة والأعمال أو المهن الحرة. هذه الأمور مجتمعةً أطلق عليها جانز ميردال 'العقيدة الأمريكية'، التي توجت على مر العصور بالإجماع الشعبي عليها. وهنا في أمريكا يمكننا القول أن الايديولوجيا تنّحت عن مكانها لصالح الأمة 'قدرنا باعتبارنا أمة هو أن لا تكون لدينا ايديولوجيات، بل أن نكون أمة واحدة. 'يرتبط هذان المصدران (الثقافة والعقيدة) للهوية ببعضهما البعض ارتباطاً وثيقاً. فالعقيدة هي نتاج الثقافة. 'لكن الآن، أدى انتهاء الحرب الباردة والتغييرات الاجتماعية والفكرية والديمغرافية في المجتمع الأمريكي إلى إثارة النقاش حول سلامة المكونين التقليديين للهوية الأمريكية وعلاقتهما بها. وقد أصبح الأمريكيون بغير شعور مؤكد بالهوية القومية، الأمر الذي جعلهم عاجزين على تحديد مصالحهم القومية، أو أنهم يخطئون بذلك. لذلك هيمنت على السياسة الخارجية مصالح تجارية لقوميات فرعية ومصالح عرقية غير قومية وتعلو على القوميات . هينتقتون'، ومصالح لوبيات* من قوميات أخرى.

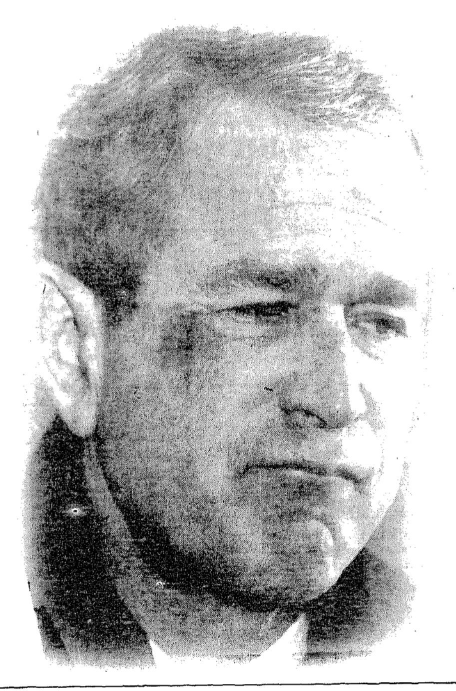
أمريكا قصبة العالم وحاضرته، لكنها منفاه الريفي النائي، وآخره القاصي. حتى نيويورك* التي تريد لنفسها أن تُصبح عاصمة الأمم قاطبة، جامعة للأعراق والأديان

---

* على سبيل المثال: هل النهج في السياسة الخارجية الذي تنتهجه الإدارات الأمريكية المتتابعة في تأييدها الأعمى لإسرائيل في منطقة الشرق الأوسط، من جراء ضغط اللوبي اليهودي في أمريكا عليها، هل يؤدي في المستوى البعيد والاستراتيجي إلى صون المصالح القومية الأمريكية في العالم بشكل عام ومنطقة الشرق الأوسط بشكل خاص.

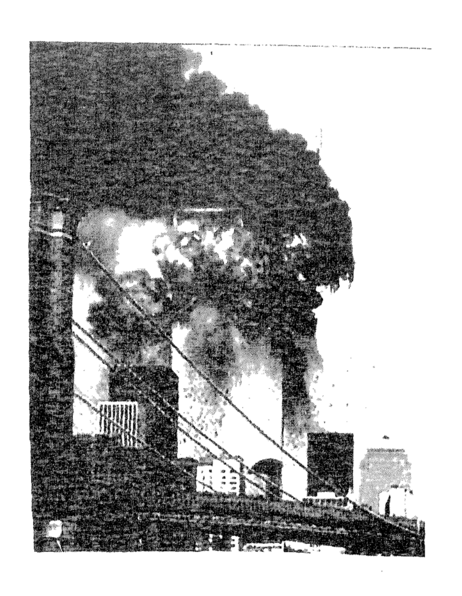
* بدأت بعد 11 لا أيلول/سبتمبر تتوالى المراثي على نيويورك. لكن قبل هذا الفجر الذي دمرت فيه هيبة هذه المدينة، صاحبة أعلى ناطحات سحاب في العالم، كانت هذه المدينة محط هجاء الشعراء ولعناتهم. قد نقول أن الشعراء رومانسيون وحالمون ونيويورك قاسية وقلبها من معدن. قد نقول إنه المال والجبروت هو ما يكرهه الشعراء. لكن الاجماع على هجائها وبلغات شتى، يعني أن في هذه المدينة أمراً ما تعوزه البراءة.. وأن في قلبها قابلية للعطب. لقد نُظر إليها أنها المدينة الوحش، محطمة أضلاع الأحلام البشرية، وكاسرة 'النظافة الرعوية'، بآلاتها وضجيجها وتلوث هوائها والمياه تحت الجسور وفي الأنهار. ولعلها النقيض لأشعار ولت ويتمان 'أوراق العشب'. لا ننسى قصيدة 'قبر من أجل نيويورك' لأدونيس. لا ننسى ايضاً هجاء نيويورك للشاعر العراقي الراحل عبد الوهاب البياتي. لكن الشكوى العربية من هذه المدينة لا تُعادل ما أحاطها به بهذا الصدد من شعراء أمريكيون وفرنسيون واسبان من لعنات ومن رغبات شعرية في تدميرها. فنيويورك ليست ملكة أحلام شعرية، بالتأكيد، على غرار غرناطة، مثلاً.. أو دمشق. فمن قصائد المرحلة النيويوركية للوركا، يقول في قصيدة عيد الميلاد على الهيديسون: تلك الاسفنجة الرمادية/ذلك البحار الذي انتحر حديثاً/ذلك النهر العظيم/تلك الحدود المظلمة للنسيم/تلك الشفرة/البحارة الأربعة حينما صالحوا العلم/ذلك البتار الذي تراه كل العيون/ذلك العالم الذي لا أستطيع عبوره دون خيول/واحد.مائة..ألف بحار/ يصارعون العالم ذا السرعات المتقاطعة/جاهلين أن العالم كان وحيداً في السماء. ويظهر هذا الشعر مختلف عن 'غرناطية لوركا'، فنيويورك في نظر لوركا 'مسلخ

والقوميات، تبقى رغم ناطحات سحابها وجاداتها العريضة، عبارة عن اتحاد أرياف مدينية، كل ريف هو على قناعة تامة بأنه هو الأغنى والأخصب (Only in N ew York) في نيويورك دون غيرها.



كبير». ففي كل يوم يذبحون في نيويورك أربعة ملايين بطة، خمسة ملايين خنزير، ألفي حمامة..إنها متعة الاحتضار: مليون بقرة، مليون حمل ومليون ديك، تجعل السماء فُتاتاً«. ويرى لوركا أن للفجر في نيويورك قسوة. هو بمثابة فجر الذبح 'الفجر في نيويورك يئن'. محمد علي شمس الدين. مجلة الشاهد، عدد تشرين الثاني/نوفمبر 2001.

هم يريدون الثأر بأي ثمن، بايعوا رئيسهم جورج بوش وأخذوا ينظرون إليه كـ 'قائد ثورة'، رغم تأكدهم أن الرئيس سيخوض حرباً دون تحديد سقفها وهدفها. تركوا له قيادة الحرب العسكرية والدبلوماسية والمالية لكنهم في الداخل الأمريكي هم على قلقهم، يستيقظون على رعب وينامون على خطر.



'شيء ما في حياتنا قد تغير إلى الأبد، حتى كلاب التفتيش التي كانت تحفر في سراديب مركزي التجارة الدولية قد أصيبت بالاحباط حينما أخفقت في ايجاد أي شخص لانقاذه، لدرجة أن بعض رجال الانقاذ طمروا أنفسهم تحت الأغطية في الركام معطين فرصة للكلاب لانقاذهم كي لا تيأس، بينما الآخرون ينظرون ويربتون على ظهورها لحثها على هذا العمل'. هكذا يُلخص أحد الأمريكيين الذي كان شاهداً على آخر عمليات رفع الأنقاض. ويعتبر الأمريكيون أنهم اليوم يعيشون على ظهر برج آخر'ثالث'، بني على أنقاض البرجين المنهارين، وهو برج مهتز يحوطه الخطر من كل جانب.

هكذا كان واقع المجتمع الأمريكي عشية الحادي عشر من أيلول/سبتمبر. بات الأمريكي يتحدث كمن أُصيب بمرض خبيث، يشعر بالسعادة في كل يوم زيادة يعيشه في الحياة، ويعتبره بمثابة الهدية، لكنه لا يعرف ولا يدري مدى هذه 'الهدايا'.

قبل الهجوم على الولايات المتحدة كان الكونغرس الأمريكي يُحضر لتشريعات تحمي الأفراد من خروقات تمس بمبدأ الحرية الشخصية، أما اليوم فقد استبدلت بتشريعات مضادة* تعطي صلاحيات للشرطة بالتنصت على كل شيء حتى وفي الدخول إلى الحسابات الشخصية للأفراد والبنوك، والدخول أيضاً إلى البيوت في غياب أصحابها.

بعد 11 أيلول/سبتمبر 2001، تغير كل شيء في أمريكا حتى على مستوى العلاقات في البيوت؛ وأمور أخرى كثيرة أُجلت، لدرجة أن 40٪ من طلبات الطلاق في منطقة هيوستن قد تم التراجع عنها في المحاكم وذلك عندما بدت الخلافات الشخصية لا تساوي شيئاً أمام المسائل الخطرة كالجمرة الخبيثة وتوقع هجمات انتحارية جديدة.

انسحب التغيير على الرياضة والسفر وشركات الطيران، حتى أن الصحافة المتخصصة بالكاريكاتير والقضايا غير الجادة لم تجد مادة منوعة تجبر قراءها على الإقبال عليها، ولم يعد المزاح من سمات سكان العاصمة الأمريكية. ومؤخراً مر عيد الـ'هلوين' وبدلاً من شراء ثياب السحرة والغجر كانت المحال التجارية تبيع ملابس الشرطة ورجال الاطفاء وأنكل سام وتمثال الحرية. حتى أن الأطفال عبروا عن

---

* بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001، وافق أعضاء الكونغرس الأمريكي على مشروع قانون لمكافحة الارهاب، وصفه المدعي العام الأمريكي جون آشكروفت، بأنه يزيد من قدرة الولايات المتحدة على ملاحقة ومنع أعمال الارهاب، وقد ووفق بالعمل حسب هذا القانون لمدة 4 سنوات، ويتضمن القانون:

1. تجريم إيواء إرهابيين وزيادة العقوبات على عدد من أفعال الإرهاب.
2. السماح بتسجيل اتصالات هاتفية من أجل تقديم أدلة عن انشطة إرهابية خارجية، بدلاً من مراقبة جهاز تلفون محدد للقضاء على التحايل على قانون التسجيلات بتغيير أجهزة الهاتف.
3. تسهيل عمل المحققين الجنائيين الأمريكيين وضباط المخابرات لتبادل المعلومات الاستخباراتية

شعورهم في ذلك اليوم وقالوا أنهم يريدون أن يكونوا أبطالاً فوق العادة مثل باتمان ووندرووممان وسوبرمان، اعتقاداً منهم أنهم بذلك يحمون أمريكا.

الأعلام الأمريكية اليوم هي في كل مكان، في العيادات والمنازل والشركات. هذا وقد أشارت صحيفة الواشنطن بوست مؤخراً إلى أن الصين تلقت طلباً لتصنيع 900 ألف علم أمريكي إضافي.

وبعد نجاة الأجساد، بدأ الأمريكيون يُعانون نفسياً، فوقعوا بحالة من الذهول بعد وقوع اللامعقول والذي لم يحلموا أنه يمكن أن يتحقق في الواقع، ما عدا القلة القليلة منهم التي كانت تصدق ما تعرضه هوليود من أفلام خيالية. شاع بين الأمريكيين ما يسمى بالرضة النفسية، التي تولد ضغطاً نفسياً قوياً، يزداد أثره من شخص إلى آخر كلما كان احساس ذلك الشخص بالأمان أكثر قبل وقوع عمل العنف. وهذا ما يُسمى في علم النفس بـ 'ظاهرة ما بعد الضغط النفسي'*.

ليس من غير الواقعي أن تتلاحم الأمم وشعوب أية دولة في الملمات والخطب، لكن الأمر المخيف أن يتحول ذلك إلى غطرسة وجبروت، ذلك حينما قادة ومثقفو هذه الشعوب والأمم لا يرون الأسباب الجوهرية الكامنة وراء هذه الخطوب، أو الذي يسمونه 'إرهاباً'. فعلى لسان وزير الخارجية الأمريكي، كولن باول، جاء بعد ضربة أيلول/ سبتمبر: 'نحن الآن القوة الأعظم، نحن الآن اللاعب الرئيس على المسرح الدولي، وكل ما يجب علينا أن نفكر به الآن هو مسؤوليتنا عن العالم بأسره، ومصالحنا التي تشمل العالم كله'.

وبهدف تغيير الاستراتيجيا العسكرية** لكي تتواءم مع الظروف المستجدة لما بعد 11 أيلول/سبتمبر، وفي 31 كانون الثاني/يناير 2002، عرض وزير الدفاع الأمريكي

---

* يصيب هذا الاضطراب فئات عدة من الناس، خصوصاً الجنود والأسرى والمساجين، وفي حالات الكوارث العامة، مثل الزلازل أو سقوط الطائرات أو غرق البواخر أو حوادث السير الكبيرة، والنساء اللواتي يُساء إليهن جسدياً أو يُغتصبن، والمدنيين الذين يتعرضون لعنف مفاجئ، كما هو الحال باقتحام البيوت والمؤسسات من قبل قوى الأمن وما إلى ذلك. أما أعراض هذا المرض النفسي، فتنحصر بـ: اضطراب النوم مترافقاً مع كوابيس تتعلق بالحدث؛ التذكر المتكرر للحادثة يرافقه انفعالات تُشبه تلك التي رافقته أثناء الحدث؛ التجنب المستمر للأشياء والأحوال التي تُذكر بالحدث. فعلى سبيل المثال وجد العديد من سكان حَيّ مانهاتن، الذين نجوا من الحادث أنفسهم يقودون سياراتهم لساعات طويلة بعيداً عن الحي. يترافق كل ذلك مع قلق وتوتر، يجعل الإنسان مشدود الأعصاب على مدار الساعة. أضف إلى الكآبة التي تسيطر على المريض.

** مرت أهداف السياسة الدفاعية الاستراتيجية الأمريكية بثلث مراحل أساسية. فقبل السبعينيات كانت تضع نصب عينيها الاستعداد لخوض 'حربين ونصف'. فمن ضمن روحية الحرب الباردة، حيث كانت البلدان الشيوعية تشكل كتلة واحدة، كان من المفترض لأمريكا الإستعداد لخوض حرب محتملة مع الاتحاد السوفيتي وأخرى من الصنف نفسه مع الصين، وثالثة في الوقت نفسه لكن بحجم إقليمي ضد بلدان عدوة، لا تُقاس قدرتها العسكرية بالجبارين الآخرين، مثل كوريا الشمالية، فيتنام، لبنان، غواتيمالا وسانتا دومينو. وقد دفع الطلاق بين الاتحاد السوفيتي والصين، إلى تحويل هذه الاستراتيجيا إلى 'حرب ونصف'، وذلك في عهد الرئيس نيكسون. وبعد انتهاء الحرب الباردة، أصدر الرئيس جورج بوش عام 1991، وثيقة بعنوان 'نظرة إلى القوة العسكرية الأساسية' تتضمن مبدأ جديداً يتوقع 'نزاعين اقليميين كبيرين' ـ بول ماري دولاغورس، الخبير الاستراتيجي العسكري الفرنسي.

دونالد رامسفيلد أمام ضباط متدرجين في جامعة الدفاع الوطني في واشنطن، عرض العقيدة العسكرية الجديدة للولايات المتحدة، وأعلن: 'علينا التحرك الآن لكي تكون لدينا القدرة على الردع في أربع مواقع مهمة'، مضيفا أنه يجب التمكن 'من التغلب على عدوين يشنان هجوما متزامنا مع امكان قيامنا بهجوم مضاد كبير واحتلال عاصمة العدو لاقامة نظام جديد فيها'.

وبهذا الصدد، تعرض مفكرون غربيون لدرس ظاهرة التعامل بغطرسة مع شعوب الجنوب الذي تمارسه دول الشمال الغنية، لا سيما الإدارات الأمريكية المتعاقبة، منهم على سبيل المثال الكاتب الفرنسي جاك أتولي، المستشار السابق لرئيس الجمهورية الراحل فرانسوا ميتران، الذي يرى **'أن الولايات المتحدة هي البلد الأكثر عرضة للخسارة بين باقي الدول، ذلك أن ظهور اقتصاد السوق بما حمله ويحمله من امكانيات تشكل كيانات دول عدوانية (الشركات العملاقة والمافيا وكارتلات المخدرات ومهربي المواد الانشطارية) يهدد على المستوى الداخلي الأمريكي باستبدال الإناء الأمريكي المتناغم بمركب هجين وغير فاعل عماده المنفعة الذاتية. أما على المستوى الخارجي فسوف لا تتعرض للخطر قطاعات واسعة من المصالح الأمريكية وحسب، وإنما ستمس كذلك الركائز الايديولوجية التي تحفظ استمرار قيادتها للعالم. وباختصار سوف يكون انهيار الحضارة الأمريكية سابقا لسقوط الحضارة الغربية.**

أجل، إن المجتمع الأمريكي وصل إلى حالة من الموزاييك، لم يعد فيها نستطيع الحديث عن شخصية أمريكية بالمعنى الجمعي أو القومي أو الثقافي. والأمريكيون اليوم يدركون هذه الاستحالة، لذلك طرحوا ما يسمونه: 'نمط الحياة الأمريكية'، الذي أصبح نابعا من فكر براغماتي تحضنه المنفعة الذاتية وما يتشعب عنها.

أجل إنه عمل ارهابي كبير، أقلق وهز وفجر حياة عشرات الملايين من المواطنين الأمريكان، إنه نوع فج من أنواع التطرف والأصولية. وقد كان التطرف الأصولي في حياة البشرية، قد هز كيانها مرات عدة، وفتح الباب أمام تغييرات استراتيجية، قضت على امبراطوريات وحلت محلها أخرى، وحصدت في طريقها ملايين الضحايا الأبرياء. فحسب هينتغتون* مؤلف كتاب 'صراع الحضارات'، قد أدى التطرف المسيحي إلى اندلاع الحروب الصليبية واستعادة الأندلس (اسبانيا)، كما أن التطرف الإسلامي أدى إلى مد نفوذ حكومات المسلمين من المغرب العربي إلى بواتييه في فرنسا، فيما حاصرت الامبراطورية العثمانية العاصمة النمساوية فيينا. غير أن هينتغتون يعتقد أن سبب اندلاع الصراع بين الإسلام والثقافة الغربية هو المادية المفرطة التي يعتنقها الغرب، وهو رأي يقتسمه معه بن لادن ذاته. ويرى هينتغتون أن من شأن السياسات الغربية أن

---

* استاذ علم الحكومة، ومدير معهد جون اولينا للدراسات الاستراتيجية في جامعة هارفارد.

تُفسد غالبية المسلمين، إذا ما توافرت الظروف الملائمة لتحقيق التنمية. ولعل الأكثر دلالة وتفسيراً على ما قصده هينتغتون، ما قاله رئيس جنوب افريقيا السابق نيلسون مانديلا، حين لاحظ أن الفصل العنصري الذي عانت منه جنوب افريقيا كان يُمكن أن يخلو من اعتراضات السود، لو كان مسموحاً لهم باقتناء سيارات وامتلاك مساكن* ، أي أن يكون لديهم شيء يشعرون بأنهم قد يفقدونه إذالم يحافظوا عليه جيداً.

ونحن هنا نعتقد أيضاً أن الرأي القائل بأن الصراع اليوم هو بين الإسلام والغرب هو رأي ليس قريباً من الصواب، فالصراع الذي يدور هو صراع بين تطرفين: الأصولية الإسلامية المتطرفة الزميتة والتطرف اليميني الأمريكي، الممثل لشركات النفط والسلاح العملاقة، المساند من قبل الصهيونية واللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، هذا الصراع الذي نعتقد أنه سيجُر إثره صراعات أخرى غير منظورة إلى الآن:

- صراع بين الأصولية الإسلامية الزميتة والعقلانية الإسلامية، التي ستتوائم مع التفسير العقلي والمنطقي والعلماني المعاصر للنصوص الإسلامية، سواء منها الوضعية أو اللاهوتية، المتمشي مع الحداثة** ، وذلك في الحالة التي تستنهض فيها القوى الإسلامية المعتدلة، تساندها بذلك القوى القومية والتقدمية، للدفاع عن حقيقة الإسلام ومبادئه السمحة وأصوله البعيدة عن الإرهاب والعنف.

- صراع في المجتمع الأمريكي ينتقل فيه الأخير إلى الاهتمام بالسياسة، ممثلاً بمثقفيه ومصالحه الحقيقية ومستقبله الذي أخذ يهدده الخطر، والتطرف اليميني في الإدارات الأمريكية المتتابعة، التي كانت وما زالت تدافع وتحمي مصالح الكارتلات الاقتصادية الأمريكية والعالمية ومؤسسات صناعة الأسلحة، لا مستقبل المواطن الأمريكي ولا أمنه. هذه السياسات التي تتبعها الإدارات الأمريكية، جعلت من أمريكا

---

* إنني أرى أن هذه الأمور تُشكل جزءاً من المسألة وليس كلها، وأخالف الإثنين، هينتيغتون ومانديلا، الرأي، لأن هنالك قضايا أخرى تتعلق بالأوطان والكرامة الإنسانية والعدل والمساواة، لا تقل أهمية عن الشؤون المادية، التي إن أُمنت إلى هذا الحد أو ذاك، قد تجعل حالات المواجهة والصدام لا تصل إلى مستوى استخدام العنف.

** في رد على سؤال طرح على فوكوياما (صاحب كتاب نهاية التاريخ والإنسان الأخير)، حول مدى تلاؤم الإسلام مع الحداثة، يُجيب قائلاً: «أنا أرى أن التوفيق بين الإسلام والحداثة ممكنٌ. فالإسلام يُمثل ديناً ونظاماً ثقافياً معقداً للغاية وقد اثبت الإسلام قدرته على التوافق مع الحداثة في العديد من المجتمعات، ولدى كثير من الأفراد، ولا أرى أن هنالك سبباً يمنع وجود شكل 'حديث' للإسلام. غير أن نوع 'الإسلام' الذي يروج له المتشددون وأسامة بن لادن وحركة طالبان، لا يمكن أن يتفق مع الحداثة. وأنا أعتقد أن القضية الأساسية هي في إمكانية ايجاد دولة علمانية. ولكن يجب أن نفهم، قبل ذلك، أن العلمانية ليست فكراً موروثاً عن الحضارة الغربية، فمنذ خمسة قرون لم تكن هنالك علمانية في الغرب المسيحي، كان هنالك أمراء وأديان للدولة. ولكن المجتمعات الغربية تعلمت المبادئ العلمانية في إطار عملية التنوير في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، والتي تقرر بناء عليها فصل الدين عن مجال السياسة. وفي اعتقادي أن هذا الأمر، ليس فقط ممكنا، لكنه أيضا ضروري ومطلوب في إطار التقاليد الإسلامية. فالإسلام السياسي أو المسيس يؤدي إلى الصراع المستمر. كما أن العلمانية يمكن توفيقها مع الإسلام، وهي أيضا ضرورية لتحديث المجتمعات الإسلامية، كما حدث في تركيا ومصر وبعض الدول التي قبلت هذا المبدأ الأساسي للحداثة».

العدو رقم واحد لعدد كبير من الشعوب والأمم والدول. فلا غرو أنك في كل عاصمة من عواصم العالم تجد السفارات والمقرات الأمريكية مسورة بأسوار حديدية ارتفاعها أكثر من عشرة أمتار.

ـ خلافات، لا تصل إلى مستوى الصراعات، بين روسيا وأمريكا، بين أوروبا وأمريكا، بين الصين وأمريكا، بين العالمين العربي والإسلامي وأمريكا وحليفتها الصهيونية العالمية.

عندما نطق الرئيس الأمريكي كلمته 'الخطيئة الكبرى'، التي أعلن فيها إعادة الاعتبار للحروب الصليبية، فإنه بذلك كان يمثل جناح الصقور في أمريكا، المدعوم من اللوبي اليهودي، الذي رأى في هذه الأحداث فرصة سانحة له لتحقيق أهدافه وتحريض الإدارة الأمريكية والدول الغربية عامةً ضد الإسلام والمسلمين. فهل يا ترى، جاء الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، مما تعلمه في كتاب التراتيل، الذي يُدرس في المدارس الأمريكية، في الإنشاد على الصفحة 219: 'إلى الفرسان في الأيام الخوالي الذين يحرسون المرتفعات الجبلية، جاءطيف الكأس المقدسة وصوت عبر الليل المنتظر منادياً: اتبعوا، اتبعوا الضوء، الرايات المرفوعة في العالم أجمع، اتبعوا، اتبعوا، وميض كأس القربان، إنه الكأس المقدسة. إنها إذاً انشودة الاحتفاء بالصليبيين المسيحيين في الأراضي المقدسة: إنهم الأبطال وإن ذبحوا الأبرياء'!! ... 'طاف رجالنا شاهري السيوف في أرجاء المدينة، لم يُبقوا على أحد .. وخاضت الخيول في الدماء حتى ركبها، بل حتى اللجام .. وكان ذلك حكماً عادلاً..'!! وفي كتاب مدرسي آخر نجد: '..إن شعباً أمياً وبدائياً وميالاً إلى العنف يعيش في مناطق صحراوية، في الأراضي المقدسة، ويعبد إلهاً غريباً (محمديون) .. وليسوا مثلنا.'

إن الإسلام والمسلمون ليسوا بهؤلاء أيها السادة، فليس الإسلام هو الذي أمر بضرب برجي المراقبة والبنتاغون، والمسلمون ليسوا ميالين إلى العنف، لكنهم عنيفون حينما تُنتهك مقدساتهم ومحرماتهم ويُداس على كراماتهم وتُغتصب حقوقهم وديارهم. ولا المسيحية الحقة هي التي أمرت باشهار السيوف وعدم الابقاء على أحد من العرب المسلمين، حتى خاضت الخيول في الدماء حتى اللجام. إنه التطرف الأعمى والمصالح المادية اللاإنسانية والغلواء.

يقول بول فندلي، عضو الكونغرس الأمريكي، عن الإسلام، بعد رحلة قام بها إلى اليمن في عام 1974: 'وجدت ديانة توحيدية عالية متعددة الأعراق والثقافات.' ويتابع قائلاً: 'أنني أنسب إلى الأفكار النمطية المزيفة مسؤولية المفاهيم الخاطئة والصور المشوهة عن الإسلام والمسلمين، والتضليل المنهجي الذي يصور الإسلام زوراً، قوة رجعية خطرة، ويُقدم المسلمين على غير حقيقتهم، جماعة غريبة متخلفة تشكل خطراً على قوة المجتمع الأمريكي.' ويقدم لنا فندلي مثالاً على الكيفية التي يُشذب فيها

الإسلام معتنقيه، حينما يتكلم على لسان كلنتون سايبس، الذي كان أحد أهم رجال العصابات : 'كنت داعية متحمساً لنشر الكراهية ومتورطاً بعمق في عمليات إحراق الصلبان التي تقوم بها منظمتي .. وكنت أشارك بهجمات وأنتهاك حرمة الأملاك .. ولم ينهني عن ذلك سوى اعتناقي للدين الإسلامي.'

وإذا عدنا إلى أحداث 11 أيلول/سبتمبر، فإننا نجد هنالك تحليلات أكثر عمقاً لدرجة أنها تشير باصبع الاتهام لفريق من الإدارة الأمريكية على أنها هي التي تسير لاشعال حرب عالمية ثالثة: **هنالك قوى موجودة في داخل الولايات الأمريكية وفي انجلترا - ومن ضمنهم بريجينسكي - يريدون إشعال حرب لعرقلة هذه التحولات الجديدة الجارية في آسيا. هذا ما صرح به ليندون لاروش**، مرشح الحزب الديمقراطي للرئاسة في الإنتخابات القادمة في الولايات المتحدة الأمريكية لعام 2004. وكان لاروش يتوقع أن تنشب الحرب في آب/اغسطس، بدلاً من أيلول/سبتمبر: **إن شهر اغسطس أفضل توقيت لاشعال مثل هذه الحروب، وسيعلنون أن هذه الحرب هي حرب بين الغرب والإسلام. علينا أن نمنع وقوع مثل هذه الحروب. ولهذا علينا أن نوقف شارون في إسرائيل. الحرب هي الهواية الوحيدة لهذا الرجل. علينا أن نوقفه ونؤمن السلام في الشرق الأوسط، وأن نحيي نظامنا ونتحول إلى النهضة على طريقة روزفلت.** هذا هو التصريح الذي ألقاه لاروش قبل حادثة الهجوم، الأمر الذي يبين مدى بعد نظر هذا السياسي.

وبعد اسبوع من وقوع الهجوم، صرح لاروش في مقابلة إذاعية بما يلي:**«إن عملية 11 سبتمبر هي عملية مكياج، صنعت في فترة تسود فيها أزمة مالية ونقدية في العديد من الدول. لم تقم بهذه العملية قوة من خارج الولايات المتحدة الأمريكية أبداً. يحتمل أن هنالك أفراداً من بلدان أخرى قد تم استخدامهم فيها. ولكن الذي قام بهذه العملية عبارة عن قوى موجودة في داخل الولايات المتحدة والهدف منها القيام بانقلاب إداري فيها، وزج الولايات المتحدة في الحرب. وهذه القوى مستعدة للقيام بعمليات أخرى لتحقيق أهدافها، وستقوم بإثارة الجماهير لدفع الحكومة وجرها إلى الحرب. عليكم أن لا تصدقوا أبداً الأخبار التي تُذيعها قنوات FOX TV, CNN والقنوات المشابهة لهما. علينا أن لا نفكر بالتدخل في افغانستان، وعلينا إيقاف إسرائيل عند حدها، لأنها تُشكل خطراً على الولايات المتحدة الأمريكية وعلى غيرها من الدول، وأن نؤسس السلام في الشرق الأوسط، لأن التوتر الموجود في هذه المنطقة هو جزء من الحرب المخطط لها في آسيا».**

وفي تصريح لاحق لمدير تحرير(Execlusive Intelligence Review)، قال لاروش: «إن هذه العملية معقدة ورفيعة المستوى جداً، ولا يمكن لأحد خارج الولايات المتحدة القيام بها، والمشكلة لا تنحصر في هذا فقط، فنحن نعلم أنه إن حدثت مثل هذه العمليات فإن أمور أخرى ستسير باتجاهات خاطئة... نحن هنا لا نحاول اكتشاف

مُقترفي العملية لعقابهم فقط، بل للحيلولة بينهم وبين القيام بما ينوون من اقتراف مثل هذه العمليات، بل بأسوأ مما حدث في 11 سبتمبر».✦

وبهذا الصدد انتقل الحديث عن احتمالات أن تكون بعض أطراف الإدارة الأمريكية والمخابرات المركزية الأمريكية، لها ضلع بما جرى يوم 11 أيلول/سبتمبر، انتقل إلى البحث عن الجانب التكنولوجي والمعرفي والمنظوماتي العسكري. فعلى صفحات الإنترنيت، بدأنا نُشاهد صفحات عديدة تتحدث عن هذا الجانب، ونحن حينما نورد بعض التحليلات ، التي ترى أن الفاعل يوم 11 أيلول/سبتمبر هو ليس ذلك الذي يُدَّك الآن في جبال تورا بورا، ليس بالضرورة أن يكون هذا التحليل يُشكل كلَّ قناعاتنا، بل جزءاً منها فقط. فالعملية هي عملية مُركبة ومُعقدة، تتشابك بالأطراف وبالسبل والوسائل. و هذه التحليلات انطلقت من أسئلة عديدة، بعضها ذو جانب فني والآخر ذو جانب سياسي:

«كيف استطاعت أربع طائرات الخروج عن المسار دون أن تقع حادثة اصطدام واحدة في سماء مُكتضة بالطائرات؟ لماذا لم يُرسل أي طيار من قائدي الطائرات الأربعة أية إشارة إنذار عن حدوث عملية الاختطاف؟ أين تسجيلات الاتصالات، ولماذا لم تُنشر أو تُذاع؟ لماذا لم تكن الصناديق السوداء تحتوي على أية حوارات؟» هذه نماذج من إشارات الاستفهام المتعلقة بالنواحي التكنولوجية. وهنا يُطرح السؤال الآتي: إذا كانت الطائرات لم تُختطف، فكيف جرى الأمر إذن؟

يعرف من يُتابع التطورات التكنولوجية، أن الولايات المتحدة بدأت منذ عام 1984 بتجارب للسيطرة عن بعد على الطائرات والتحكم بسيرها، وأنها نجحت بتجاربها هذه في العام 1993. هذا وقد أجرت تجربتها الناجحة الأولى على طائرة بوينج، خالية من الركاب ومن طاقم الطائرة، وقد أقلعت هذه الطائرة باستخدام هذه التكنولوجيا، ثم هبطت بسلام في إحدى القواعد.

✦ لمزيد من الاستعلام عن آراء هذا السياسي الأمريكي، نقدم عنوان صفحته على الإنترنيت، علماً بأنها اصبحت تحتوي على قسم عربي، اعتباراً من 11 ايلول/سبتمبر: (WWW.Lar ouchein2004.net). ويخصوص انه ليس قريباً من المنطق أن تُقدم دولة على ضرب نفسها ضرباً موجعاً لتبرير سياسات او حرب تشنها، يُمكننا ان نُعيد القارئ إلى ما كان سيحدث إبان أزمة خليج الخنازير، التي نشبت بين كوبا وأمريكا، وذلك بعد ان أُميط اللثام عن الوثائق السرية العائدة للبنتاغون والإدارة الأمريكية، والتي تخص تلك المرحلة. ففي 13 آذار/مارس 1966 قدم رئيس الأركان الأمريكي آنذاك، الجنرال لايمن لامنتزر ملفاً للرئيس كينيدي تحت عنوان: 'شرح الأعذار الموجبة للتدخل العسكري في كوبا'، جاء فيه: «ستبدأ العملية بعد زيادة حدة التوتر بين الولايات المتحدة وكوبا، بعد سلسلة من العمليات تجعل الرأي العام الأمريكي والعالمي والأمم المتحدة، تحت تأثير وقناعة أن الحكومة الكوبية تتصرف بشكل غير مسؤول وانها تُشكل تهديداً للغرب وللعالم.....ومن هذه العمليات قيام الجيش الأمريكي بإلباس الموظفين من أصل كوبي العاملين في القاعدة البحرية الموجودة في خليج 'جوانتانامو'. من الذين سبق أن هاجروا إلى الولايات المتحدة. الملابس العسكرية الكوبية، ثم قيام هؤلاء باشعال حريق في القاعدة العسكرية والهجوم على عدد من الطائرات واحراقها وكذلك إغراق سفينة حربية فيها. اي أن رئيس الأركان الأمريكي كان يُخطط لاغراق بعض سفنه وإحراق بعض طائراته».

يتم التحكم بالطائرات المدنية والحربية، على حد سواء، عن بعد، باستخدام نظام يدعى(JPLS). وقد أنفقت الولايات المتحدة على اكتشاف هذا النظام الخطير وتصنيعه مبلغ 3.2 مليار دولار، وتعاونت وزارة الدفاع مع مجموعة شركات رايثون RAYHEON، وهي عبارة عن عشرين شركة متخصصة في نظم الصواريخ والدفاع الجوي ونظم السيطرة على حركة المرور الجوية والنظم الالكترونية. هذا ويتم تشغيل هذا النظام. أي نظام التحكم بالطائرات عن بعد . بواسطة الأقمار الصناعية. فإذا دخلت طائرة. سواء كانت مدنية أم عسكرية. مجال هذا النظام، استطاع مشغل النظام فك رموز وشفرات نظام الطيران في الطائرة، حتى وإن لم يقم الطيار باعطاء هذه الرموز، ثم يكمل، أي مشغل النظام، السيطرة على الطائرة وتوجيهها إلى الهدف الذي يريده. كما يتم إسكات جميع أجهزة الاتصال والتخابر الموجودة على الطائرة. ومن هنا، نجد أن صاحب هذا التحليل يريد أن يقول أنه يتبين من تسلسل أحداث الهجمات. التي تمت على نيويورك وواشنطن. أن الطائرات لم تختطف بل تم التحكم بها عن بعد، وأجبرت على السير نحو الأهداف المرسومة لها من قبل* . لذا فإن مكتب التحقيقات الفيدرالي قام بعد الأحداث باستجواب رئيس مجموعة الشركات السابقة الذكر واسمه دانيال بورنهام ورئيس المهندسين المشرف على نظام JPLS واسمه بروس سولومون، الذي يدل اسمه على أنه يهودي. وحسب هذا التقرير يصبح من العبث البحث عن خاطفين، ويكون اتهام العرب والمسلمين بهذه العمليات ما هو إلا شرط من شروط هذه اللعبة الكبرى للقرن الحادي والعشرين، الأمر الذي ينذر بحدوث توترات شديدة بين العالم الإسلامي والولايات الأمريكية، حتى أنها حدت بالبعض للقول بأنها صراع حضارات، التي تنبأ بها هينتغتون.

وأصحاب هذا التحليل، يقدمون بعض التساؤلات حول ما جرى بعد 11 أيلول/سبتمبر، تؤكد حسب ما يدعون صحة تحليلهم السابق الذكر: »**لماذالم تحتو لائحة أسماء الركاب الأولى التي أصدرتها الخطوط الجوية الأمريكية على أي اسم لراكب عربي، ثم جرى تغيير اللائحة فجأة؟ من يقف وراء تغيير هذه اللائحة؟ تبين أن اللائحة الثانية كانت مزيفة، إذ وردت فيها اسماء لأشخاص توفوا قبل سنتين، وأشخاص أثبتوا لاحقا على أنفسهم أنهم يعملون في بلدان أخرى.** كيف يمكن تصديق الخبر الذي بثته المحطات الأمريكية، بأنه تم العثور بين الأنقاض في أحد أبراج مركز التجارة، على

---

* في أواسط تشرين الأول/اوكتوبر 2001، منعت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا عرض فيلم (SWORDFISH) وهو من بطولة جون ترافولتا... ربما كان السبب في ذلك في أن حوارا ساخنا يدور في الفلم بين سيناتور في الكونجرس الأمريكي وعميل سري يكلفه هذا السيناتور بانجاز بعض المهام السرية المنوعة من النواحي القانونية. يقول السيناتور في هذا الحوار: «.. أجل... أجل سنقوم باسقاط طائراتنا... وسنقوم بضرب مبانينا.. وسنعرض الوجه القبيح لأمريكا أمام الأنظار.. وبهذا نحصل على تأييد الرأي العام العالمي لشن حرب على الدول الارهابية.» أليس هذا ما حدث بالفعل؟

جثة أحد قائدي الطائرة ويداه مربوطتان، مع العلم أن الأعمدة الفولاذية للبناية كانت قد ذابت؟ لماذا **ألغى شارون، رئيس الوزراء الإسرائيلي*** ، زيارته لمدينة نيويورك يوم **الهجوم؟** لماذا شهدت حركة البورصة في نيويورك حركة ونشاطاً كبيرين، في اليومين السابقين للهجوم؟ ألا يدل ذلك على أن أناساً كانوا يعرفون ما سيحدث فبدأوا ببيع الأسهم؟ كيف استطاع بعض المصورين من القيام بتصوير هجوم الطائرة الأولى على مركز التجارة تصويراً حياً؟



مواطن يحمل يافطة كتب عليها: عودة الى الحياة الطبيعية، ولا يجد من يقلّه.

* تقول بعض وسائل الاعلام أن رئيس الوزراء الإسرائيلي شاررون اتصل بالرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش في 11 أيلول/سبتمبر ودار بينهما الحديث التالي:

شارون: سيدي الرئيس! أرجو أن تقبل تعازي الحارة. يا له من حادث فضيع! هؤلاء الألوف من الضحايا الأبرياء.. تلك المباني العالية..

بوش: أي ضحايا؟ أي مباني؟

شارون: كم الساعة في أمريكا عندكم الآن؟

بوش: إنها الثامنة صباحاً.

شارون: عذراً، عذراً. سأعود إليك بعد ساعة.

أفغانستان

تورا بورا أولى حروب القرن

تقع أفغانستان جنوب آسيا، يحدها من الشرق والجنوب الشرقي باكستان، ومن الغرب و الجنوب الغربي إيران ومن الشمال الشرقي الصين، ومن الشمال طاجكستان واوزبكستان وتركمانستان.

تبلغ مساحة أفغانستان 650000 كيلومتر مربع وعدد سكانها 23738085 نسمة. كما تُعرف أفغانستان بـ'سقف العالم' لارتفاع أرضها. وتحتل أفغانستان مكانة شاذة بين بلدان العالم الثالث من الناحيتين الجغرافية والتاريخية. فهي تاريخياً، أحد البلدان القليلة العدد التي لم يتم اخضاعها للإستعمار، وهي هنا شبيهة باثيوبيا واليمن 'الشمالي' سابقاً والمملكة العربية السعودية. ومن الناحية الجغرافية، لاتتمتع أفغانستان بأي منفذ بحري، وأقرب مرفأ إليها هو كراتشي الذي يبعد عنها مسافة 450 ميلاً، كما أن معظم أراضي البلاد ترتفع عن سطح البحر حوالي 1200 متر.

كانت أفغانستان معبرا للغزاة وبناة الإمبراطوريات، سيطر عليها الأخمينيون في القرن السادس ق.م. وتمكن الإسكندر المقدوني ما بين عامي 336 و 330 ق.م من أن يقضي على الإخمينيين وأن يسيطر على المناطق التابعة لهم في إفغانستان (آرية 'هراة'، باكترية'بلخ'، ساتاغدية 'غزنة حتى السند'، أراكوسيية 'قندهار'، ودرنغيانا 'سجستان'). وبعد موت الإسكندر (323 ق.م)، دخلت المنطقة تحت سيطرة السلوقيين. وفي عام 305 ق.م، هزم هوبتا موريا، مؤسس السلالة المورية في الهند، سلوقس وسيطر على ولايات أفغانستان الشرقية. وفي عام 250 ق.م استقل حاكم باكترية اليوناني ديودوتس عن السلوقيين وأسس مملكة مستقلة، شملت منطقة كابول. وفي القرن الأول الميلادي ظهرت قوة غازية أطلق عليها إسم الكوشان، سيطرت على مناطق من أفغانستان ككابول وباكترية. وفي القرن الرابع الميلادي تعرضت المنطقة لغزو الهياطلة، الذين تحطمت قوتهم عندما تحالف الأتراك الغربيون القادمون من آسيا الوسطى مع كسرى أنو شروان (565 م)، واستمر حكم الأتراك إلى أن هزموا أمام الصينيين (658م)، في الحقبة نفسها التي بدأ فيها العرب فتوحاتهم في المنطقة.

قبل الفتح الإسلامي، كانت مناطق أفغانستان تابعة لنفوذ الصينين ولم تقم فيها حكومة مركزية، وإنما كانت محسوبة على إقليم خراسان. وبدأت صلة العرب بمناطق أفغانستان منذ العهد الراشدي، لأنه عندما استولى العرب، في عهد الوالي عبدالله بن عامر (29 ـ 36هـ) على منطقة هراة، استولوا على ذلك الربع من خراسان المعروف اليوم بأفغانستان، وقد وصل الأحنف بن قيس سيد بني تميم إلى بلخ حاضرة

طخارستان، وقد ترك العرب للحكام المحليين في هراة وبلخ وكابول أمر الإدارة المدنية مع الاعتراف بسلطان العرب. ولم تختف السلالات العربية من كابول إلا في القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين). حيث شهد هذان القرنان ضعف سلطة الخلافة العباسية في هذه المناطق من جهة، وظهور عدد من السلالات الإسلامية المحلية التركية والإيرانية من جهة أخرى، كان أقدمها الطاهرية، التي كانت تسيطر على بلخ وهراة من مركز حكمها في خراسان، ثم تلتها السلالة الصفارية. أما في الشمال، فإن الأمراء المحليين أصبحوا موالين للسامانيين، الذين ازدهرت في عهدهم بخارى وسمرقند وبلخ، حيث واصلت الأخيرة تقاليدها الهيلينية (ثقافة اليونان بعد الإسكندر) وطورتها بالثقافة الإسلامية، وظهر العديد من العلماء والفلاسفة المنسوبين إليها يتقدمهم أبو زيد البلخي وهو شخصية موسوعية، جمع بين الفلسفة والأدب والعلوم، كما كان ابن سينا، الغني عن التعريف من أعلام هذه المدينة. ويأتي أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن الزوتي، الذي لا يزال يعتبر من أعظم الفقهاء وأكبرهم عقلا وأكثرهم تحررا، والذي ينتسب إلى مدينة كابول، العاصمة الحالية.

كان أبو حنيفة متحررا ومنفتحا إلى ذلك الحد الذي فيه لم يتحمله أتباعه فغيروا كثيرا من أحكامه، فضلا عن خروجهم على سلوكه المتسامح مع الناس وعدم تزمته في الحياة الاجتماعية، فهو الذي وضع أحسن الحلول وأكثرها تحضرا لمشكلة الخمرة، وساوى بين المسلم وغير المسلم في القصاص والدية، وكذلك بين المرأة والرجل وبين الحر والعبد. وكان يوافق على آية تحريم الاكتناز وعدم اعتبارها منسوخة، والتزم بحكمها في ماله الشخصي.

ومنذ منتصف القرن الرابع، استولى الأتراك على المناطق الأفغانية وأسسوا الإمبراطورية الغورانية، ووصل الحكم في هذه المرحلة أوج ازدهاره على يد الوالي محمود الغزنوي، وأصبحت غزنة مدينة مزدهرة بالقصور والمساجد والمباني الراقية وجداول المياه مما لا يضاهيها فيه مدينة أخرى، كما ازدهرت العاصمة الثانية بست المجاورة للشكرغاه الحالية. بعد وفاة الغزنوي، انهارت امبراطورية الغوريين، واحتل السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه (أفغانستان)، لكن جحافل المغول بقيادة جنكيز خان لم تمهله كثيرا، حيث أخذوا يستولون على المدن، الواحدة تلو الأخرى، ويعيثون فسادا وقتلا وتدميرا فيها، عقابا للمقاومة التي كان يبديها أهلها، الأمر الذي حول المنطقة كلها مابين هراة إلى بلخ وقندهار وغزنة إلى قفار. بعد وفاة جنكيز خان (1227م)، تداعت امبراطوريته، ونجح بعض الزعماء الأفغان في تأسيس إمارات مستقلة، كما اعترف بعضهم الآخر بسيادة المغول. واستمر هذا الأمر حتى نهاية القرن الرابع عشر، حينما هاجم تيمورلنك قسما كبيرا من البلاد وكرر فضائع الغزو المغولي، وإن كان على نطاق أضيق، إلا أن التيموريين خلفاء تيمورلنك، كانوا من رعاة الفنون

والآداب، حيث أغنوا مدينتهم هراة بالمباني الجميلة، وتمتعت أفغانستان أثناء حكمهم (1404 ـ 1507م) بالهدوء والازدهار.

في عام 1507م، دخل الأوزبك، وهم من الشعوب التركية في آسيا الوسطى، مظفرين، مدينة هراة بقيادة محمد خان شيباني، الذي لم يستمر في السيطرة عليها طويلا، حيث هاجمة إسماعيل الصفوي (1510م) وحاصره في مرو وقتله. لكن المغول أخذوا يحاولون إعادة نفوذهم إلى المدن الأفغانية التي طردوا منها، وتمكنوا في المئتي سنة التالية من السيطرة على المناطق الواقعة جنوب هندوكوش، في حين سيطر الصفويون على هراة وفرح، أما قندهار فقد بقيت موضع نزاع بين الطرفين.

يبدأ تاريخ أفغانستان الحديث مع ازدياد المقاومة الأفغانية للفرس، ففي سنة 1709م نجح ميرويس خان زعيم قبيلة هوتاكي غلزائي في أن يقود ثورة على حاكم قندهار الفارسي حيث قتل كل الفرس الموجودين فيها، وفي سنة 1716م تمكن الأبدال في هراة بقيادة زعيمهم أسد الله خان من تحرير ولايتهم، وفي سنة 1722م قاد محمود بن ميرويس خان الأصغر جيشا مؤلفا من 20 ألف مقاتل ضد أصفهان. فلم تستطع حكومة الصفويين المقاومة. واستسلمت بعد حصار دام ستة أشهر، وعمد محمود مباشرة إلى تنظيم الإدارة والإقتصاد، ولكنه توفي سنة 1725م، فخلفه ابن عمه أشرف الذي واجه صعوبات متعدد في إيران، فقد بدأ الروس يزحفون من الشمال، والأتراك العثمانيون من الغرب، ومما زاد الأمور تعقيدا، الصراعات الداخلية بين الزعماء الأفغان، ومع ذلك نجح أشرف في إيقاف التقدم الروسي في دربند سنة 1726م، وأوقع هزيمة ساحقة بالأتراك، ولكنه لم يستطع أن يقف في وجه الزعيم نادر قولي بك الذي هاجم طوس، متوجها بعدها إلى مشهد وهراة، وهزم أشرف عند دامغان في 2 تشرين الأول سنة 1729م، ثم لم يلبث أن اغتاله زعيم من البلوج في أثناء تراجعه. وفي سنة 1732م استولى نادر قولي بك على هراة على الرغم من المقاومة العنيفة، وبعد أن انتخب شاها لإيران سنة 1736م، توجه في السنة التالية بجيش ضخم (80 ألف) نحو قندهار، واستسلمت المدينة بعد حصار دام سنة، ومن ثم اصطدم مع امبراطورية المغول في الهند، فاستولى على غزنة وكابول، وتوجه بعدها إلى الهند، وانتصر على المغول سنة 1739م، وفي أثناء عودته عبر أفغانستان إلى إيران، واغتيل في خابوشان سنة 1747م.

تداعت إمبراطورية نادر شاه إثر وفاته، ودخل أحمد خان الأبدالي مع فرقة مؤلفة من 4000 رجل من الأفغان قندهار، وأنتخب ملكا سنة 1747م من قبل مجلس قبلي، فغير أحمد شاه الاسم القبلي من أبدالي إلى دراني، وبرهن بسرعة على أنه حاكم قدير استطاع أن يحظى بمحبة شعبه، وأن يجعلهم أمة قوية، وتمكن خلال 25 سنة من أن يحرر أفغانستان من الحكم الأجنبي، وأن يقود جيوشه من مشهد إلى كشمير ودلهي، ومن جيحون إلى بحر العرب، كما حظي، نتيجة شمائله الطيبة ومزاياه الأخرى إضافة إلى شجاعته الخارقة، باسم بابا، أي والد الأمة.

توفي أحمد شاه عام 1773م، فخلفه ابنه تيمور الذي لم يحظ إلا بالولاء الاسمي من الزعماء الإقطاعيين، وأمضى مدة حكمه في قمع ثوراتهم، وحينما أحس بكراهية الشعب له في قندهار، نقل العاصمة إلى كابول. بعد موت تيمور عام 1793م، بدأ نفوذ أسرة البركزائي بالازدياد، حينما دعم باياندا خان أحد زعمائهم زمان بن تيمور الخامس، وأوصله إلى العرش، ولما سجن زمان في قلعة بالاحصار وأصبح أخوه محمود حاكما، ترك أمر الدولة في يد وزيره فتح خان، ولكن بعض الأمراء الذين كانوا يناوئون محمود ووزيره، جمعوا قواتهم ودعوا شقيق زمان شجاع الملك إلى كابول، وأدى استمرار الخلاف بين الأخوين إلى عدم الاستقرار وإلى اضطراب الأوضاع وازدياد نفوذ البراكزائيين، على الرغم من الاعتداءات المتكررة لاقصائهم من مواقعهم. وحين سملت عينا فتح خان ثم أعدم، ثار إخوته وعددهم واحد وعشرون، بمن فيهم دوست محمد الذي شن حملة عسكرية عام 1818م واستولى على بيشاور وكابول. ووزعت أفغانستان بين آل بركزائي. وعانت أفغانستان كثيرا من آثار الفوضى التي أعقبت هذا النزاع، فاستولى حكام بخارى على بلخ، واستولى السيخ على الولايات الأفغانية لنهر السند، واستقلت ولايات الأطراف، السند وبلوجستان، واستولى دوست محمد على غزنة وكابول وجلال أباد، وأصبح أقوى رجل من البركزائي، وأسس ما سمي بسلالة محمد زائي. وبعد أن وطد سلطانه في كابول، قرر استعادة بيشاور من السيخ، فانضم إليه جيش من المسلمين (1836م)، ولكن السيخ نجحوا في نشر بذور الخلاف في جيشه، فتفرق الجيش وخسر الأفغان بيشاور.

وفي تشرين الثاني/اوكتوبر 1837م حاصر شاه إيران 'محمد شاه' هراة التي كان البريطانيون يعدونها مفتاح الهند، ودعم الروس الفرس، مما حفز البريطانيين، لخوفهم من ازدياد النفوذ الروسي في إيران، إلى إرسال بعثة بريطانية برئاسة السير الكسندر بيرنز استقبلها دوست محمد في كابول، ولكن البعثة أخفقت في مهمتها عندما رفض بيرنز إعطاء دوست محمد تأكيدات بمساعدته على استعادة بيشاور، وأمر حاكم الهند البريطاني بشن هجوم على أفغانستان بهدف إعادة شجاع الملك إلى العرش. ونجح البريطانيون في الدخول إلى قندهار وتتويج شجاع الملك في المسجد المجاور لضريح أحمد شاه. كما استولوا على غزنة وكابول مابين تموز/يوليو وآب/اغسطس عام م، حيث توج شجاع الملك ثانية. ولكن الأفغانيين لم يكن لديهم القدرة على احتمال الأجنبي، أو قبول ملك مفروض عليهم من قبل سلطة أجنبية، لذلك اندلعت الثورات، وتمكن دوست محمد أن يهرب من سجنه ويعود إلى أفغانستان ليقود مناصريه ضد البريطانيين. ومع أنه انتصر عليهم في 2 تشرين الثاني/نوفمبر عام 1840م في براواندارة فإنه استسلم في اليوم الثاني للبريطانيين في كابول حيث عاملوه باحترام ونقلوه إلى الهند مع القسم الأكبر من أسرته، ولكنهم سمحوا له بالعودة إلى أفغانستان

بعد مقتل شجاع الملك، واستمر دوست محمد بالحكم حتى وفاته عام 1863م، واستطاع في سنوات حكمه أن يستعيد قندهار ومزار شريف وكاتغان وهراة.

وفي 21 تشرين الثاني/نوفمبر 1878، دخلت الجيوش البريطانية الممرات الثلاثة المؤدية إلى أفغانستان عندما رفض شير علي الإبن الثالث لدوست محمد استقبال بعثة بريطانية في حين استقبل بعثة روسية، واستولى البريطانيون على جلال أباد وقندهار، وحينئذ توجه شير علي إلى روسية ساعيا إلى الحصول على المساعدة، ولكن روسية نصحته بمصالحة الإنكليز. وبعد أن توفي شير علي في 21 شباط/فبراير 1879م اعترف الإنكليز بموجب معاهدة غاندماك (26 أيار/مايو 1879) بيعقوب خان ابن شير علي أميرا على أفغانستان، وتم الاتفاق على وجود سفارة دائمة للبريطانيين في كابول، وأن تكون علاقاته الخارجية مع الدول الأخرى متفقة مع رغبات الحكومة البريطانية ومصالحها. ومقابل هذه الامتيازات وعدت الحكومة البريطانية بمنح المساعدة لمجابهة أي اعتداء خارجي على أفغانستان. ولكن هذا الانتصار البريطاني كان قصير الأمد، ففي الثالث من أيلول/سبتمبر 1879 اغتيل المندوب البريطاني ومرافقه في كابول، وأرسلت قوات بريطانية احتلت كابول ثانية، وأجبر يعقوب خان على التنازل، واعترف البريطانيون بمحمد عبد الرحمن خان، حفيد دوست محمد أميرا على كابول. فلما توفي سنة 1901خلفه ابنه الأكبر حبيب الله خان، وفي عهده دشنت المدرسة الحبيبية كما شقت الطرق، واتخذت إجراءات لإدخال الآليات والوسائل الحضارية الحديثة، وظهرت جريدة أسبوعية بالفارسية »سراج الأخبار« كان لها أثرها المهم في اليقظة القومية، وفي شباط/فبراير 1919 طلب حبيب الله من المندوب البريطاني في الهند الاعتراف بحرية أفغانستان واستقلالها المطلق في مؤتمر باريس، ولكنه اغتيل في ليلة 20شباط/فبراير 1919 في معسكره في كالاغوش قرب جلال أباد، فاستولى ابنه أمان الله على الحكم، وأعلن نفسه ملكا. وأعلن استقلال أفغانستان. ونظرا لأن حكومة الهند تلكأت بالاعتراف بهذا الاستقلال، فقد نشبت حرب ثالثة بين أفغانستان وبريطانية، وحينما وقع السلم في راولبندي في الثامن من آب/اوغسطس 1919 اعترف باستقلال أفغانستان، وأقام أمان الله* علاقات دبلوماسية مع العالم الخارجي، كما تابع منهاج والده الإصلاحي.

وفي عهد نادر خان، ابن عم أمان الله (1929 . 1933) أنشأت كلية عسكرية، وأخرى طبية. وأرسل بعض الطلاب الأفغان إلى الخارج لمتابعة دراستهم العليا، وحينما

---

* قياسا على الملوك الأفغان، كان أمان الله أكثرهم اطلاعا وثقافة وإقامة للصلات مع الملوك والرؤساء. أعجب بكمال أتاتورك في تركيا، كما أعجب برضا خان في ايران، وخطط لتحقيق تطوير في المجتمع التركي أسوة بما كان يحصل في تركيا. فبدأ منذ العام 1921 بناء مدارس للبنات واستقدم مدرسين أجانب لتدريب العناصر الثقافية والإدارية. وفي أول قانون للأحوال المدنية خفف من اضطهاد المرأة وأعطاها حريتها، ومنع زواج القاصرات والزواج المتفق عليه بين الأهل، كما حرم الزواج بين الأقارب ودعا لنزع الحجاب وارتداء الأزياء الغربية. وأعتبر أن تحرر المجتمع وتقدمة ينطلق من تحرر المرأة. وسعى أمان الله لابعاد الدين عن الدولة فشدد على احلال نظام مدني مكان التشريع الإسلامي. ثم أعلن دستور 1923 الذي اقترح فيه أن تنقل السلطات الأساسية إلى المجلس الوطني الذي سينتخب من جميع الرجال الراشدين وكل النساء الراشدات.

اغتيل نادر خان في أثناء توزيعه الجوائز لطلاب المدارس في 8 تشرين الثاني/نوفمبر 1933، خلفه ابنه الأوحد محمد ظاهر* الذي تابع سياسة والده في تثبيت كيان أفغانستان القومي.

وفي سنة 1956 وضعت خطة خمسية لتحسين الطرق ووسائل المواصلات ولتطوير المناجم والصناعة والثقافة والزراعة، واضطرت أفغانستان من أجل تمويل هذه المشاريع، إلى توقيع اتفاقيات مع الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، كما أنها استقدمت الخبراء الأجانب وشركات البناء والمختصين لمساعدة الأفغانيين في تنفيذ منهاجهم التقدمي، وفي سنة 1961 وضعت خطة خمسية ثانية لتطوير المواصلات والصناعة الثقيلة مع اعتماد ملحوظ على المساعدة الأجنبية، ولاسيما على الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي السابق، ولأن الحكومة الأفغانية بدأت تشعر بالخطر المحدق بها نتيجة لهذه المساعدات الضخمة التي قد تخلق ضغطا يهدد استقلالها، فقد تبنت في سنة 1963 سياسة خارجية أكثر مرونة، فأعيدت العلاقات الدبلوماسية مع باكستان، بعد أن كانت قد انقطعت سنة 1961، وبقيت علاقتها مع الاتحاد السوفييتي رسمية وودية، كما قبلت المساعدة من الصين ومن الولايات المتحدة وبريطانية وألمانية الغربية وفرنسة والسويد والبنك الدولي.

وفي سنة 1964 أعلن الدستور الجديد الذي وافق عليه مجلس أعلى يضم كل الزعماء والأشراف، وبموجب هذا الدستور، أصبحت الملكية في أفغانستان دستورية وأضحى هناك فصل كامل وواضح بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية.

استمر الحكم ملكيا دستوريا حتى تموز/يوليو 1973 حينما أعلن النظام الجمهوري في أفغانستان نتيجة انقلاب غير دموي، قاده الجنرال محمد داوود خان، ابن عم الملك محمد ظاهر شاه، بينما كان الملك يقوم بزيارة إلى إيطاليا، وأصبح داود خان رئيسا للجمهورية ورئيسا للوزراء.

وفي 27 نيسان/ابريل 1978، حدث انقلاب دموي يساري أدى إلى مقتل داوود خان ومعظم أفراد أسرته، وأصبحت أفغانستان جمهورية ديموقراطية، وأبرمت اتفاقية مع الاتحاد السوفييتي وانتخب نور محمد تراقي رئيسا للمجلس الثوري ورئيسا للوزارة وأمينا عاما لحزب الشعب الأفغاني الديموقراطي. وانتخب بابراك كرمال زعيم حزب برشام وحفيظ الله أمين من زعماء حزب الخلق، نائبين لرئيس الوزراء، وقد أكد زعماء الحكومة الجديدة أنه لاسيطرة للاتحاد السوفييتي على حكومتهم، وأعلنوا سياستهم القائمة على المبادئ الإسلامية، والقومية الأفغانية، والعدل الإجتماعي والإقتصادي، والإحترام لكل الاتفاقات والمعاهدات الموقعة سابقا من الحكومات الأفغانية.

---

* ولد محمد ظاهر شاه في 15 تشرين الأول/اوكتوبر 1914 وأمضى شبابه في فرنسا، حيث كان والده الذي أصبح الملك نادر شاه وزيرا مفوضا لبلاده في فرنسا. وحصل ظاهر شاه المولع بالثقافة الفرنسية دروسه الثانوية في ثانوية جانسون دي سابي في باريس، ثم في مونبولييه. وفي عام 1930، تبوأ والده العرش فعاد إلى أفغانستان، حيث أصبح بعد عامين مساعد وزير الدفاع هناك. في 8 تشرين الثاني/نوفمبر 1933 وبعمر 19 عاما، أصبح ظاهر شاه ملكا بعد اغتيال والده. وقد حكم الملك الجديد افغانستان بحذر ونجح خصوصا في جعل بلاده بمنأى عن الحرب العالمية الثانية.

وفي 28 آذار/مارس 1979 أصبح حفيظ الله أمين رئيساً للوزارة، واحتفظ تراقي بمناصبه رئيساً للمجلس الثوري، وأميناً عاماً لحزب الشعب الأفغاني الديموقراطي، ولكن الثورات التي كانت قد بدأت عندما أعلنت حكومة تراقي منهاجها الإصلاحي، اتسعت واستمرت، وانهار الجيش الأفغاني، مما دفع حكومة حفيظ الله أمين إلى طلب العون المتزايد من الاتحاد السوفييتي الذي أرسل خبراء وأسلحة وإمدادات، وقتل تراقي في مواجهة مسلحة مع أنصار حفيظ الله أمين في 14 أيلول/سبتمبر 1979.

حاول أمين أن يوسع قاعدة الدعم الداخلي، وأن يثير اهتمام باكستان، والاتحاد السوفييتي بأمن أفغانستان. وعلى الرغم من جهوده فإن الروس بدؤوا هجومهم على أفغانستان في ليل 24 كانون الأول/ديسمبر 1979، وقتل أمين وكثير من أتباعه في 27 كانون الأول/ديسمبر 1979. وعاد بابراك كرمال إلى أفغانستان من الاتحاد السوفييتي رئيساً للوزارة ورئيساً لمجلس الثورة وأميناً عاماً لحزب الشعب الأفغاني الديمقراطي، ولكنه اصطدم بمعارضة شديدة وقامت المظاهرات في وجهه، ممل استدعاه ليطلب تدخل السوفيت، الأمر الذي دفع الأخيرين إلى التدخل العسكري المباشر بقوات جرارة*،. وتفاقمت أعمال العنف سنة 1980 وخاضت القوات السوفييتية حرباً ضروساً استمرت نحو تسع سنوات، تكبدت فيها نحو 15 ألف قتيل.

في 14 نيسان/ابريل 1988 تم التوقيع في جنيف وبإشراف الأمم المتحدة على انسحاب القوات السوفييتية وإقامة حكومة أفغانية محايدة وإعادة اللاجئين. بيد أن المجاهدين رفضوا الاتفاق وصمموا على متابعة القتال، في حين تابع السوفييت الانسحاب من جانب واحد وأتموه في 15 شباط/فبراير 1989، وظل الصراع محتدماً بين فصائل المجاهدين بزعامة صبغة الله مجددي رئيس مجلس الشورى والحكومة المؤقتة من جهة وقوات الحكومة بزعامة نجيب الله من جهة أخرى.

وبعد محاولة انقلاب غير ناجحة في آذار/مارس 1990 وتخلي نجيب الله عن منصبه ولجوئه إلى مقر الأمم المتحدة، خلا الجو لفصائل المجاهدين من أجل السيطرة على كامل البلاد، لكن الأمور ساءت من جديد وتجدد الصراع بين المجاهدين أنفسهم من أجل السلطة على الرغم من المحاولات الجادة التي بُذلت لإعادة الهدوء والاستقرار إلى البلاد. ومنذ ذلك الحين أصبحت أفغانستان مقسمة الولاءات بين جنرالات الحرب الأهلية، إلى أن 'انتخب' رباني على رأس البلاد، وهو الأمر الذي لم يغير شيئاً في أوضاع البلاد، من حيث تعدد الولاءات والفقدان لحكومة مركزية تسيطر على البلاد .وأخذت الأحزاب والجمعيات والحركات ذات الطابع الإسلامي، الموالية لمختلف الطوائف والقبائل والعشائر في أفغانستان تتقاسم السيطرة على أراضي هذا البلد، والحروب والنزاعات المسلحة لم تتوقف يوماً بين بعضها البعض.

إن غالبية سكان أفغانستان (أكثر من 90٪) هم من المسلمين السنة (مذهب أبي حنيفة)، كما هو الأمر في باكستان، أما البقية من السكان (بين 8 و 10٪) فهم من المسلمين الشيعة، ويعيش فيها أقليات كالأرمن والتركمان وسواهم. ورغم بعض التمييز الذي مورس تاريخياً ضد الأقليات، إلا أن أفغانستان لم تشهد حروباً طائفية، بل كانت أغلب الصراعات التي دارت فيها، تنطلق من خلافات قومية، ذلك أنه يوجد في أفغانستان أكثر من 20 قومية. ويمكن توزيع هذه المجموعات العرقية إلى أربع مجموعات رئيسية وأقليات.

<u>المجموعة الأولى هي الباشتون</u>: وصل هؤلاء إلى أفغانستان من جراء الغزو المغولي واستقروا في واحات قندهار وفي كابول (في الجنوب والشرق وبعض مناطق وسط البلاد)، حيث أنشأوا دولتهم في أواخر القرن الثامن عشر. وهم ينحدرون من أصل آري ويعتبرون أنفسهم سكان أفغانستان الأصليين. استمر الباشتون يعيشون ضمن بنى قبلية، وقسم منهم مازال من البدو الرحل. وتقدر نسبتهم من مجموع السكان ما يُقارب من 55 إلى 60٪. يجتمع الباشتون كمجموعات من القبائل، حول نظام من القيم أهمها: الشجاعة في الحرب وروح الثأر. كما يملك الباشتون جمعية يُطلق عليها 'الجيرغاخ' وهي عبارة عن مجلس لرؤساء القبائل ومهمة هذا المجلس حل المشاكل التي تنشب بين القبائل.

قفز الباشتون إلى مرتبة الهيمنة على الاقتصاد الأفغاني العام، بعدما أمنوا تفوقهم السياسي والعسكري منذ بداية قيام الدولة الأفغانية لكنهم لم يتمكنوا من فرض ثقافتهم فظلت لغة «الداري» رسمية إلى جانب لغة «البوشتو».. أما دين الباشتون فهو الاسلام في مذهبه السني - الحنفي[✦] .

<u>المجموعة الثانية هي الطاجيك</u>: وهؤلاء أحفاد لفرع ايراني عريق كانوا من أول القادمين إلى أفغانستان. عددهم حوالي 20٪ من عدد السكان ولغتهم الداري، أي الفارسية القديمة، وهي لغة ثلثي سكان البلاد. وقد قطن الطاجيك المدن والمجمعات التجارية إضافة إلى بعض الجهات الشمالية من البلاد، وشهرتهم التجارية طبقت الآفاق، ويعزى إليهم بالذات تكوين «طبقة» من التجار في كابول والمدن الأفغانية الأخرى.

✦ في المقابل برز في الأعوام الأخيرة جدال بين باحثين ومؤرخين وعلماء سلالات ولغات حول أصول الباشتون، فهنالك من قال أن أصول الباشتون يعود إلى الآريين، فيما ذهب آخرون إلى القول ان أصلهم يعود إلى سلالة الصحابي خالد بن الوليد. وآخرون يرون أن أصلهم من اليهود، ومن هؤلاء الحاكم البريطاني السابق لمناطق الباشتون ولف كابرو الذي الف كتاباً ضخماً بعنوان 'الباتان'، محاولاً إثبات الأصل اليهودي للباشتون. وأخيراً تدخلت الأوساط الصهيونية لتلعب على هذا الوتر بإقدام الحاخام الياهو أبيحايل من مؤسسة رابطة 'عميشاف' المتخصصة في بحث القبائل والعشائر اليهودية في العالم على تقديم مذكرة يوضح فيها أن الباشتون من رجال 'طالبان' أقرب إلى اليهود أكثر مما هم يعتقدون. وذكر في مقابلة مع صحيفة 'يديعوت أحرنوت' في ملحقها الأسبوعي ان قبل 135 عاماً على خراب 'الهيكل' الأول، سُبيت أسباط على يد الأشوريين على مراحل باتجاه أطراف الامبراطورية الأشورية، وأنه في إحدى موجات التهجير هذه جاءت عملية الاندماج في الإسلام. أي أن الباشتون، حسب أبيحايل، دخلوا في الإسلام حقاً، إلا أنهم حافظوا على علاقاتهم بأشكال مختلفة مع اليهودية.

المجموعة الثالثة هي مجموعة قبائل تنحدر من أصل تركي ويبلغ عددها حوالي 10٪ من عدد السكان، ويسكن هؤلاء المقاطعات الشمالية من البلاد وأهم هذه القبائل:

- الأوزباك، أقل من مليون نسمة ويتعاطون الزراعة في المناطق الشمالية.
- التركمان، حوالي 125 ألفاً نصفهم من سكان المدن ونصفهم من البدو الرحل (رعاة أغنام).
- القيرغيز، وهم بضعة آلاف يقطنون منطقة جبال بامير.
- الإيماق، وعددهم بضعة آلاف. ولغة هؤلاء جميعاً هي التركية مع اختلاف ملحوظ في اللهجات، ودينهم الاسلام السني.

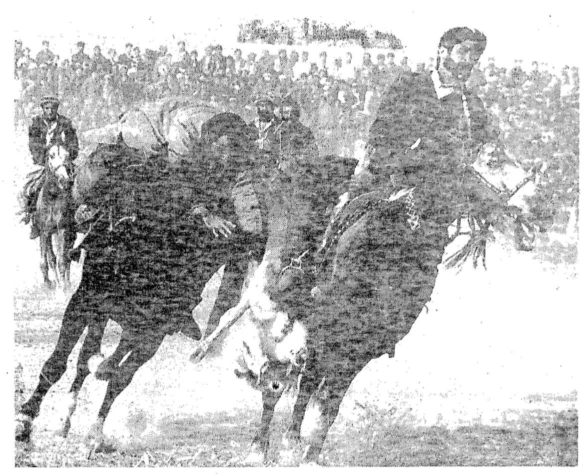
المجموعة الرابعة هي الهازارا: ويشكل هؤلاء 8٪ من مجموع سكان البلاد، يتكلمون لغة الداري ويعودون بنسبهم إلى المغول ومعظمهم من الشيعة، وبعضهم اسماعيليون وقسم قليل منهم سنة، وهم يعيشون قرب الحدود مع ايران في منطقة هيرات كما يعيش البعض منهم في كابول وفي وسط البلاد.

- الأقليات ويتراوح عددهم بين 5 و 7٪ من مجموع سكان البلاد.
- البلوش وعددهم حوالي 600 إلى 700 الف نسمة، وهم نصف متحضرين ونصف رحل ويتفرعون إلى قبائل عديدة جداً وهم من المسلمين السنة.
- البراهانيون، وعددهم أكثر من 100 الف نسمة بقليل.
- النوريستانيون وعددهم كذلك حوالي 100 ألف نسمة. ويمتاز هؤلاء بقاماتهم الطويلة ولونهم الأشقر وعيونهم الزرقاء، وتشير بعض الروايات أنهم بقايا سلالة جيوش الاسكندر الكبير، وقد ظل هؤلاء وثنيين ثم اعتنقوا الاسلام عام 1896 على يد الأمير عبد الرحمن خان الذي أطلق على مقاطعتهم اسم «نوريستان» أي بلاد النور. وهناك من يقول أن البلاد الأفغان عرفت سابقاً باسم بلاد «الأريانا» الاسم الذي مازال مستخدماً، فشركة الطيران الأفغانية اسمها «أريانا» كما يتم اطلاق هذا الاسم على العديد من الفتيات...

إلى هذه القوميات تُضاف أقليات صغيرة جداً من اليهود والسيخ والأرمن* وهؤلاء يعيشون في المدن ويسيطرون على قسم مهم من التجارة في البلاد.

---

* لم تتوفر لدينا مصادر عن تاريخية الاقليات في أفغانستان، ما عدا ما اختص بالطائفة الأرمنية فيها. في زمن حكم ملك الملوك شابوه الأول (243 . 273) وصل الأرمن إلى أفغانستان. سجل التاريخ وجود وزراء أرمن في الحكومات الأفغانية، في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي، الذين تم ابعادهم مع رجال الدين الأرمن في عام 451م. وفي النصف الأول من القرن السادس الميلادي عاد الأرمن ليستوطنوا في جنوب البلاد. وبقي الأرمن كسواهم من الأقليات لهم وزنهم في الشؤون الأفغانية، إن كان أيام السلم أم في أيام الحروب. وكانت أكبر الهجرات الأرمنية إلى أفغانستان تلك التي نظمها تيمورلنك عام 1370م. في عام 1886، قدر المؤرخون عدد الأرمن في أفغانستان بعشرة آلاف عائلة. انحل عدد كبير من العائلات الأرمنية بين سكان نوريستان في الشمال. أخذ الأرمن، أيام العثمانيين يعيشون بانزواء، ولاحقاً تم ابعادهم في عام 1897 بأمر من السلطان عبد الحميد. اعداد الاستاذ أسيد مانجيكيان باللغة الأرمنية، وترجمتها لنا إلى العربية مشكورة الدكتورة نورا آريسيان.



"بوزكاشيه" رياضة العنف الأفغاني

■ استمد الأفغان من الطبيعة القاسية لبلادهم أنواعاً من الرياضات البرية، يصاحبها عنف رمزي لم يسبق للمرء ان شهده في اكثر أنواع الرياضات عنفاً. انها لعبة الـ«بوزكاشيه» أي شد الماعز. والمباراة تقام هذه الأيام في ملاعب كرة القدم، حيث فريقان، اعضاؤهما فرسان متقابلون على احصنتهم.

يرتدي اللاعبون نياباً سميكة تحميهم من آثار السقوط عن احصنتهم، وهو امر وارد جداً. الاحصنة تدرب خصيصاً لهذه اللعبة منذ ولادتها، وقد يفوق سعر الحصان الواحد المدرب قيمة سيارة، فاللعبة شعبية واسعة في الوسط الأفغاني، وغالباً ما تجري المباريات بين منتخبات الولايات المختلفة.

يذبح كبش ماعز ويرمى في وسط الملعب على الارض مبللاً بدمائه. يقف اعضاء الفريقين في مواجهة بعضهما بعضاً، ثم يطلق الحكم صفارته فتتجه الاحصنة بسرعة مخيفة باتجاه كبش الماعز المذبوح. يتقاتل الفرسان لالتقاط الكبش من على احصنتهم، اذ يميل الفارس بجسمه ويطلق يده محاولاً التقاط الكبش الذبيح، وأحياناً قد يتطلب الأمر نزوله عن جواده ثم الصعود اليه بحركة بهلوانية. في هذا الوقت يجب على اعضاء الفريق الخصم منع الفارس من التقاط الذبيحة عبر تصد عنيف لمحاولاته.

عندما يحكم الفارس قبضته على الكبش الذبيح، يتوجه به الى المرمى. وفي الطريق الى المرمى يحاول اعضاء الفريق الخصم عرقلة تقدمه، ومحاولة انتزاع الكبش منه. وفي حال نجاح احدهم بذلك يكون قد وفر على نفسه عناء إمالة جسمه لالتقاط الكبش عن الارض والأخطار الناجمة عن ذلك. اما الهدف فهو ان تنجح في رمي الكبش في المرمى فتكون قد حققت بذلك هدفاً في مرمى خصمك.

لهذه اللعبة شعبية كبيرة اذ يأتي المشجعون لحضورها من الولايات البعيدة. ويتم تدريب المنتخبات على نفقة الموازنة الرسمية لكل ولاية.

عن صحيفة الحياة

أما إذا تحدثنا عن الصفات التي تسم الشخصية الأفغانية، فيجدر بنا أن نأخذ بنظر الاعتبار تلك الجبال الشامخة والشاهقة، التي منذ عصور سحيقة، كانت تُراكم جبلاً في طباع الأفغان. فالطبيعة الأفغانية بكل مكوناتها لا تعرف الاعتدال، وإنما تجنح إلى التطرف وعدم التوسط. فالأفغاني، إما مُقلد جامد يرسف في أغلال العادات، والتقاليد القديمة، وإما حر منطلق ينزع نحو الابتكار والتجديد. وهو صديق وفي يضحي بكل شيء في سبيل نصرة صديقه وعونه. وإما عدو يقتنص كل فرصة وكل سبب حتى يروي (ظمأ) غضبه ويُطفئ نار ثأره.

والأمة الأفغانية تعشق الحرية الفردية وتقدس حرية الوطن، وفي سبيل ذلك يضحي الأفغاني بكل غالٍ ونفيس. كما يشتهر الأفغاني، بجانب الشجاعة والبسالة والفداء والتضحية بتمسكه الشديد بدينه الحنيف. وخير مثال على تقديس الأفغاني لمعاني الحرية والاستقلال، نراه في تلك الرسالة التي حملها جمال الدين الأفغاني* .إلى العالم، حين انطلق حاملاً راية الحرية، يجاهد في سبيل الشعوب الشرقية والإسلامية.

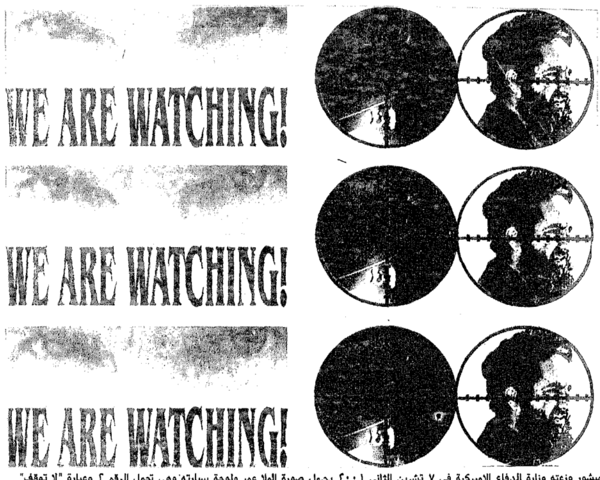
كما يجدر القول أن ارتباط الإنسان الأفغاني بماضيه العريق، ليس محصوراً بذلك الماضي السحيق أو عصر ماقبل الإسلام، بل أنه يعتبر أصالته الحقيقية تبدأ مع دخوله الإسلام. ومما يُلاحظ على الطبيعة الأفغانية، ثقتها العالية بالنفس، والتي تتجلى بقدرتها على الصمود والتحمل والعناد والاصرار الذي يغذيه الإباء والشمم.

يقول أحد الكتاب عن الشعب الأفغاني: »رأيت في أفغانستان إن الأفغاني يعتقد في قرارة نفسه أنه من أرقى الشعوب ومن أقواها جسماً ومن أصفاها طبعاً وأذكاها فؤاداً. ويرى أن تأخرة عن ركب الحضارة لايرجع إلى نقص في طبعه، بل إلى الوضع الجغرافي لبلاده مما عزلها عن العالم في جبالها الشماء وتعرضها للكثير من الغزوات الأجنبية. وعامل الطبيعة هذا لم يعزل الأفغان عامة عن العالم فحسب، بل عزلهم في الماضي عن بعضهم بعضاً. فالأفغاني يعيش داخل قبيلة أو عشيرة، تعيش كل منها حياة منعزلة، محافظة على عاداتها وتراثها وتقاليدها. ولقد كان من فضل الإسلام على سكان هذه البلاد أن وحّدهم وأصبح لاحقاً مصدر عاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم.

---

* الأفغاني (جمال الدين) (1838 ـ 1897): فيلسوف الإسلام في عصره. وُلد في أسعد اباد (افغانستان). جال في الشرق والغرب وأحرز ثقافة واسعة. خطيب دعا إلى الوحدة الإسلامية. له: (ابطال مذهب الدهريين وبيان مفاسدهم). نقله الشيخ محمد عبده من الفارسية إلى العربية. دُفن في اسطانبول، عاصمة الدولة العثمانية، بعد أن صلي عليه في جامع التشويقية، إثر وفاته عام 1897. ونشير إلى أنه دُفن في مقبرة المشايخ (شيخلر مزارلفي بالتركية) في تلة 'نشانطاش' على مقربة من البيت الذي أسكنه فيه السلطان عبد الحميد.

حركة طالبان



مشور وزعته وزارة الدفاع الاميركية في ٧ تشرين الثاني ٢٠٠١ يحمل صورة الملا عمر ولوحة سيارته وهي تحمل الرقم ٢ وعبارة "لا توقف" بالعربية، وتحذير "اننا نراقب"، وقد القته الطائرات الاميركية فوق افغانستان لتقويض معنويات مقاتلي طالبان. (أ ف ب)

الملا* محمد عمر:

هو بشتوني، من قبيلة غلزاني المنتشرة في جنوب أفغانستان.ولد الملاّ عمر في العام 1959، في نوده، وهي قرية قرب قندهار. حتى العام 1992، لم يكن أحداً قد سمع بالملاّ عمر، لا في أفغانستان ولا في غيرها. وكان محمد عمر مجرد عضو في 'الحزب الإسلامي' الذي يتزعمه مولوي يونس خالص، أحد قادة الفصائل الأفغانية. كان له من العمر عشرون سنة عندما اجتاح الجيش السوفياتي أفغانستان لمساعدة الشيوعيين في كابول. وكانت عائلته تقيم في مخيم بالقرب من بيشاور حيث تابع الفتى دروسه القرآنية قبل أن يلتحق بالجيش لمحاربة 'الكافرين'. تشكلت فرق الجهاد آنذاك من مجموعات مقاومة ضد الاحتلال السوفياتي، تدربت على حرب الغُريلا (العصابات) في مركز تسيطر عليه الـ سي آي أيه، والأمن الباكستاني، وفيه تلقى الملاّ عمر تدريبه. حارب محمد عمر سنتين ضد الاحتلال السوفياتي حسب شهادات عدة، وأكد أنه دمر عدة دبابات مما سمح له بترأس وحدة مجاهدين، حتى اليوم الذي فقد فيه عينه اليمنى. بعد انسحاب الجيش السوفياتي وسقوط النظام الشيوعي، ووفاة والده، عاد وأقاربه إلى أفغانستان ليقيم في سنغسار حيث كان يُعطي دروساً في القرآن، وفي ذلك الحي الفقير بدأت قصة طالبان وصعود الملاّ عمر.

بعد تحرير البلاد، بدأت الحرب الأهلية في العام 1989، بين الباشتون، أكثرية في الجنوب والشرق، والأقليات الإثنية في الشمال. اشمئز عمر من هذا الوضع ومن الفساد والنهب والاغتيال، فقرر فتح مدرسة، وقد تميزت خطبه فيها بالقساوة ضد الحاكمين، ودعا لتحرير ثانٍ للبلاد من المجاهدين الجدد الذين لا علاقة لهم بالاسلام. وفي العام 1994، بدأ بالتنفيذ. جذب مئات الأفغان العاطلين عن العمل، ونال على دعم كامل من السكان، خاصة وأن أحداً لم يتجرأ قبله على تحدي المجاهدين. وقد أدى التقاء مصالح الملاّ عمر ونصر الله بابا وزير الداخلية في حكومة بنازير بوتو، إلى التقريب بين الطالبان وحكومة اسلام أباد. أبدى الملاّ عمر فعالية في تنظيف البلاد من سلطة المجاهدين المسيطرين، وساهم في استتباب الأمن بعد سيطرته في غضون سنتين على

---

* هذا اللقب بالباشتوني هو لمن لا يزال يُتابع دراسته في المدارس الدينية التي تشمل المراحل الابتدائية حتى الجامعية وإن كان يستطيع نقل معرفته إلى الطلاب فيها كمدرس، مقارنة بلقب'مولوي' الذي يحمله من تخرج من هذه المدارس.

أكثر من نصف البلاد. وكان العامل الأساسي لانتصار الطالبان هو الامكانيات المادية الهائلة والأسلحة المتعددة المقدمة من باكستان، وبطريقة غير مباشرة، من الولايات المتحدة الأميركية.

رُفع علم الطالبان الأبيض الذي يحمل الشهادة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" فأصبح الملا وجيشه، بعد عقدين من الحرب، رمزاً للسلام والأمن. وبعد السيطرة على كابول أصبحت أفغانستان "إدارة إسلامية" وصارت الشريعة قانون البلاد.

إن حركة الملاّ هي مزيج من التقليد والتجديد: طريقته باستخدام التقسيم القبلي للجنوب واستغلال شبكات السلطة القائمة (سلطة المجاهدين) لفرض قانون أخلاقي صارم. واستند التجديد على تطلعات الشعب لدعم سلطة كانت ضعيفة ترتكز فقط على صدق أفرادها. وهؤلاء ليسوا متحدرين من عائلات عريقة ولادينية معروفة. أكد الملا عمر إرادته لتحقيق هدف أخلاقي - أسلمة المجتمع - خارج أي تطلع سياسي.

بعد تربعه على سدة الإمارة، تغيرت حياة الملاّ عمر من غموض إلى آخر، ومن عزلة إلى عزلة كبرى، ومن شورى قليلة إلى شورى أقل. مع بدايات الحركة، كان الملاّ يُقيم الصلاة في مسجد قندهار الرئيسي ويختلط بالناس ويسير في الشوارع بلا حراسة. وكان يُدير جميع أعماله من مكتبه الصغير في مبنى بسيط متواضع، كان هو أيضاً مقر إقامته. مجلسه مفتوح، ولكن ليس لغير طالبان أو من يسمحون له. يدخله قادة الحركة ويتحركون به ببساطة. يأكلون من وعاء مشترك ويناقشون الأمور بحرية. وكان الملاّ عمر يجلس إلى جانبهم على الأرض وبجانبه هاتف لاسلكي للاتصال بالقادة الميدانيين وصندوق يفتحه متى شاء ليغمس منه من "الأفغاني" (العملة الأفغانية) ويعطيه لمن له حاجة أو طلب. ثم يُعيد المفتاح إلى جيبه تحت العباءة.

وبعدما صار أميراً للمؤمنين ظل فقيراً ويسكن في بيت متواضع كما كان، لكنه أصبح نادراً ما يُغادر مقره في قندهار، وعندما يزور قريته، ففي رفقة عشرات من الحراس وبمواكبة ضخمة من الجيبات اليابانية الصنع ذات النوافذ الغامقة. وفي مجلسه صار يجلس على السرير، فيما زواره على الأرض. وصندوق الأفغاني لا يزال على حالته. لكن بعد انتصار طالبان، زاد عليه صندوقاً آخر، لكنه أصبح يحتوي على دولارات أمريكية - إنها ميزانية طالبان.

وإذا كان وصول طالبان إلى أميرهم ممكناً، فإنه كان ولا يزال من شبه المستحيل للأجانب، من دبلوماسيين وصحفيين: كتب عبد الحليم غزالي عن لقائه إياه في 17 أيلول/سبتمبر 1998: استغرق اللقاء 20 دقيقة فقط وأنه لم يخرج في أسئلته معه عن الأسئلة التي كان قد أرسلها إليه سلفاً، وأن أجوبة الملاّ عمر كانت مقتضبة مثل اللقاء. وأنه أومأ إلى الملاّ وكيل أحمد عمر معلناً انتهاء المقابلة. ومن لقاءاته النادرة، كان هنالك لقاء مع مراسل "البي.بي.سي"، أجري من خلف ستار.

على أية حال، نجح الملاّ عمر في أن يُعمم صورته على أفغانستان، فكما كان هو معزولاً فيها، أصبحت أفغانستان معزولة انعزالاً شديداً عن العالم. وهو لم يضع جانباً كل الزعماء التقليديين وزعماء العشائر والقبائل وسلم البلاد إلى الملالي فحسب، بل طبق فيها مفهوماً للإسلام لعله الأكثر تشدداً وصرامةً.

وإذا كان الملاّ عمر طرح نفسه أولاً مصلحاً اجتماعياً وتأمل الأفغان أن يكون وطالبان كذلك، فسرعان ما تبين أنه يعبر عن مشروع لإسلام متطرف جداً هو أيضاً شكل متطرف من أشكال الديوباندية التي هي فرع من المذهب الحنفي، نشأت في الهند عام 1867 وانتشرت كثيراً في أفغانستان وباكستان وخصوصاً في الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي. وإذا انطلقت ببضع مدارس في الهند، فإنها بعد مئة عام على ذلك كان لها تسعة آلاف مدرسة مسجلة في جنوب آسيا وكان فيها طلاب أفغان كثر. وزاد تأثير هذه المدارس على الأفغان نتيجة لجوئهم إلى باكستان وتعلمهم في هذه المدارس التي ارتفع عددها من 900 عام 1971 إلى ثمانية آلاف مسجلة و25 ألف غير مسجلة عام 1988.

أصبحت كلمة الملاّ عمر هي القانون. فكل قرار يعود اليه. يحكم بالفتاوى، التي يلقيها في قندهار. لم يسكن أبداً في العاصمة، ولايخرج من بلدته إلا نادراً. حتى أنه لم يشارك في الاجتماع الكبير للعلماء لاتخاذ قرار بحق بن لادن، واكتفى بإرسال نص مع أحد رسله.

لايظهر علناً إلا نادراً، ولايدخل مسكنه أحد إلا المقربين. ويرفض أن يصوره أحد. والذين قابلوه وصفوه بأنه 'رجل طويل القامة، نحيل ومتين البنية. بشرته فاتحة اللون وله لحية سوداء ولولم يكن أعوراً لكان جميلاً جداً' وعينه اليسرى ثاقبة كعين الصقر، وصوته منخفض، قليل الكلام، يكتب، غالباً، على ورقة مايريد من وزرائه، حتى ولو كانوا بقربه. وهو متواضع للغاية. يرفض لقب الملاّ ويفضل أن يسمى 'طالباً' لأنه أجبر على توقيف دراسته لمحاربة السوفيات.

الملاّ محمد عمر وأسامة بن لادن؟

لكن أي حديث عن الملا عمر ومشروعه لا يكتمل من دون أسامة بن لادن ودوره العضوي، إن لم يكن في توجهات طالبان وزعيمها فعلى الأقل في مصيرها. فهل هو مجرد 'ضيف' كما وصفه الملا عمر مراراً 'علينا احترامه وحمايته'، أم أنه جزء من مشروع إسلامي متطرف جداً التقى الرجلان عليه عنوانه إحياء الخلافة؟ هل هو صديق للملاّ عمر صارت صداقته مكلفة للغاية، أم أنه الرأس الحقيقي لطالبان؟

لكن الأكيد أن العلاقة توثقت كثيراً وخصوصاً بعدما ساهم بن لادن بمئات من مقاتليه في معركة طالبان في الشمال حيث الغالبية الشيعية، وكان تأثير بن لادن على

طالبان بدأ يتضح تدريجاً مع مناقشات طويلة كان يجريها مع قادة الحركة. ولاحظ متتبعو تطور طالبان أنه شيئاً فشيئاً أخذت وجهات نظرة بن لادن إلى العالم تسيطر على تفكير قيادة طالبان، وبدأت تظهر في مواقفهم وبياناتهم لهجة متشددة لم تكن موجودة من قبل وخصوصاً من أمريكا التي كانوا يسعون إلى اعترافها بهم ومن الأمم المتحدة وحتى من السعودية والأنظمة الإسلامية الأخرى. بل أن البعض يرى تأثيراً للفكر الوهابي المتشدد الذي يحمله بن لادن على الفكر الذي يحملة الملا عمر، تجلى في تحطيم طالبان التماثيل البوذية التاريخية في باميان على أساس أنها 'أصنام'.

وكان التحدي الأول للعلاقة بعدما اتهمت أمريكا بن لادن بتفجير سفارتيها في تنزانيا ودار السلام في آب/اوغسطس 1998. قصفت أفغانستان وضغطت على طالبان لتسليمه وكذلك حاولت السعودية. ومع أن كلاماً كثيراً قيل في حينه عن أن الملا عمر غضب من بن لادن وأنه أخذ منه وعداً بعدم القيام بأي نشاط ضد أميركا أو غيرها، فإن النتيجة كانت واحدة. لم يستطع الملا اتخاذ قرار بتسليم بن لادن ولا حتى إلى دولة مسلمة واستمر بن لادن يصدر بيانات عن 'الجهاد ضد الصليبيين واليهود' وعن 'المسلمين الخونة'. ولايزال الوضع كما هو مع بدء الحرب على أفغانستان بعد اعتبار أمريكا بن لادن المشتبه به الرئيسي في تفجيرات نيويورك وواشنطن في 11 أيلول/سبتمبر، ومع استهداف نظام طالبان.

قال الملاّ عمر لإذاعة 'صوت أميركا' في 24 أيلول/سبتمبر الماضي أنه لايستطيع تسليم بن لادن و 'إذا فعلنا هذا فيعني أننا لسنا بمسلمين وأن الإسلام قد انتهى'. وفي أفغانستان من يقول أن لبن لادن شعبية كبيرة بين عدد من قادة طالبان وأن مقاتلين كثراً أفهموا هؤلاء أنهم سيرفعون السلاح في وجه من يقرر تسليمه. فمن كان يدير هذه العلاقة الصعبة أو يتحكم بها؟ الملا الفقير شبه الأمي أم رجل الأعمال المجاهد الغني المتعلم؟

سواء أكان هذا أم ذاك، فإن الرجلين تكاملا في مشروع هو الأخطر على الإسلام نفسه قبل أن يجعل مصيرهما متداخلاً كما علاقتهما.

الطالبان

تعني كلمة طالبان في لغة الباشتون أو الباتان الدارسين في المدارس الدينية. وتعد هذه المدارس إحدى العلامات المميزة للتعليم الإسلامي في شبه القارة الهندية وقد أسهمت تاريخياً في الحفاظ على الهوية الدينية لمسلمي المنطقة إلى الحد الذي جعل البعض يطلق عليها أزهر آسيا. حيث تخرج منها الكثير من علماء الهند.

بعد التدخل الروسي في أفغانستان عام 1979 هجر الملايين من الأفغان ديارهم إلى باكستان المجاورة التي استقبلت قرابة خمسة ملايين منهم في المناطق والمدن الحدودية بشكل خاص. بيشاور. كويتا (عاصمة إقليم بلوشستان) ولم يجد هؤلاء اللاجئون المعدمون وسيلة لتعليم أبنائهم غير هذه المدارس، التي لا تكلفهم شيئاً، فهي تختلف عن المدارس الحكومية الباكستانية التي يتطلب الالتحاق بها تكاليف ليست في استطاعتهم كما أن المدارس التي أنشأتها بعض الأحزاب الأفغانية في باكستان في إطار الأعمال الإغاثية للاجئين لم تكن لتستوعب الأعداد الغفيرة منهم. وجزء كبير من هذه المدارس التي التحق بها أبناء اللاجئين الأفغان مدارس (ديوبندية) تتبع جمعية علماء الإسلام الباكستانية والتي يتزعمها مولانا فضل الرحمن.

تعتبر المدارس الدينية هي المحاضن التي تربى فيها أفراد حركة طالبان، وفيها تشكلت شخصياتهم وثقافتهم وبنائهم الايديولوجي وفكرهم. تنتشر هذه المدارس في مختلف الأراضي الباكستانية والأفغانية، وتدار من قبل شخصيات دينية معروفة، وتمول عن طريق جمع التبرعات من داخل وخارج باكستان، بالإضافة لما تتلقاه من دعم من الحكومة الباكستانية، منذ عهد الرئيس الباكستاني الأسبق ضياء الحق. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المدارس مستقلة، ولا تخضع للرقابة.

عوامل ظهور حركة طالبان

هنالك عوامل عديدة، أدت وساهمت في ظهور حركة طالبان واستيلائها على السلطة في كابول خلال فترة قصيرة من ظهورها لم تتجاوز العامين. من هذه العوامل ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي.

العوامل الداخلية: منذ القضاء على النظام الشيوعي في كابول، الذي كان آخر من تزعمه نجيب الله، بتخلي الأخير عن السلطة، بعد تأكده من عدم قدرته على السيطرة

عليها، في كابول بشكل خاص وأفغانستان بشكل عام، منذ ذلك الحين، أخذ الصراع يدور بين الأخوة الأعداء الذين استولوا على السلطة وخلفوا الشيوعيين. حيث سرعان ما نشبت حرب أهلية بين هذه الفصائل، أخذت تأكل الأخضر واليابس. فخلال عامين بلغت عدد الخسائر البشرية من مختلف الفرقاء المتصارعة أربعون ألفاً، الأمر الذي جعل أهالي أفغانستان يتذكرون نظامهم الشيوعي السابق بالخير، مقارنةً مع ما جرى لهم في عهد رباني ومن ناصره ومن عاداه. فخلال عامين من حكم الفصائل المتحاربة لأفغانستان: دبت الفوضى وانعدام النظام؛ وغاب الأمن والاستقرار؛ وساد الفساد الأخلاقي؛ وشاعت عمليات ابتزاز أموال الناس؛ وظهرت طبقة ما كان يسمى بـ'أثرياء الحرب'؛ وسيطرت المافيات الفصائلية على مختلف جوانب الحياة.

العوامل الخارجية : لعب الموقع الجغرافي الاستراتيجي لأفغانستان دوراً كبيراً في جعل أمريكا تعيد الاعتبار مع حليفتها باكستان بترتيب البيت الأفغاني، بما يتناسب مع مصالح البلدين، لاسيما بعد انفراط عقد الاتحاد السوفيتي، وتخفيف قبضته على الدول المشاطئة لبحر قزوين، تلك الدول التي تمتلك على الاحتياطي الثاني للعالم بالنفط والغاز. وبالنسبة لباكستان أصبح من الحيوي لها أن تصنع حكومة قوية في أفغانستان موالية لها، الأمر الذي أصبح أكثر ضرورة بعد أن أصبحت تخوض ما يُسمى بحرب حساسة ضد الهند، بعد امتلاك الأخيرة لأسلحة الدمار الشامل. بالإضافة إلى حاجة كل من الدولتين، باكستان وأمريكا، إلى احتواء الخطر والنفوذ الإيرانيين في المنطقة، الأمر الذي غذاه تطلعات القادة الأصوليين المستقلة عن الحدود المرسومة ضمن الأهداف الأمريكية. وهذا ما حدا بالحليفين: أمريكا وباكستان، إلى التطلع لقيام حكومة صديقة لباكستان وتوفير عمق استراتيجي لأمريكا تجاه الهند، وفتح الطريق أمام السلع الباكستانية نحو أسواق آسيا الوسطى.

أما المصالح الأمريكية الخاصة فكانت تتمثل: بضرب الإسلام الأصولي المتمثل بالأحزاب 'الجهادية' وحرق وتشويه هذه التجربة التي انتقلت إلى مناطق أخرى من العالم، بعد أن انتفت الحاجة الأمريكية لها، التي تمثلت بمقاومة الإتحاد السوفيتي في أفغانستان، ومقاومة النفوذ الإيراني في المنطقة وتشديد الحصار عليها من جهة الشرق، واستقرار الوضع في أفغانستان في ظل حكومة تتمكن من منع زراعة المخدرات، والقيام بجمع الأسلحة، ومنع نشاط الأفغان العرب، الذين أيضاً انتفت الحاجة إليهم، والذين أخذت أمريكا تخشى من الخطر الذي يُمكن أن يشكلوه للمصالح الأمريكية في مختلف أرجاء العالم، وإيجاد حكومة لا تعارض السياسة و المصالح الأمريكية، فقد تقبل واشنطن بحكم إسلامي في أفغانستان يجلد الظهور ويقطع الرؤوس والأيدي، لكنها لا تقبل بحكم يقطع المصالح الأمريكية، أو يقرع أجراس الخطر ضد الهيمنة الأمريكية.

في ظل هذه العوامل الداخلية والخارجية، ظهرت حركة طالبان، بعدما وصلت الحالة الأفغانية إلى ذروة الأزمة، مما جعل الظروف مواتية لظهور هكذا حركة، التي كان يُحظى أعضاؤها بتقدير واحترام كبيرين من قبل الأفغان، باعتبارهم أكثر قطاعات الشعب نزاهة وأمانة وديناً.. الذين بامكانهم ملاحقة الفساد المستشري ووضع حد له.

هذا ويُجمع المراقبون والمحللون السياسيون أن حركة طالبان ظهرت بدعم سياسي ولوجستيكي باكستاني وبتمويل نفطي وبتسليح أمريكي، وكانت باكستان هي المستفيدة رقم واحد من إنشاء هذه الحركة، لذا فهي قد قامت حينها بتكليف أجهزة مخابراتها بمهمة الإشراف على تشكيل الحركة والتنسيق بينها وبين الحكومة الباكستانية والإدارة الأمريكية ممثلة بالـ سي. آي. أي. والأطراف الداعمة مادياً. ويؤكد هذا الرأي المسؤولون الباكستانيون ومنهم رئيس جهاز الاستخبارات الباكستاني السابق الجنرال حميد جل، الذي يرى أن حركة طالبان نبتة 'أمريكو - باكستانية'، زُرعت في أفغانستان. وذهب حميد جل أبعد من ذلك حينما قال في الندوة التي نظمها مركز الدراسات الاستراتيجية باسلام أباد بتاريخ 18 تشرين الأول/اوكتوبر 1995: «إن سياسة باكستان في أفغانستان تديرها المخابرات المركزية الأمريكية، وأن حركة طالبان زُرعت زرعاً في أفغانستان».

يشير المراقبون إلى الجولة التي قام بها وزير داخلية باكستان الجنرال نصير الله بابر في جنوب وغرب أفغانستان في الأمكنة التي تكونت فيها حركة طالبان، وذلك في شهر تشرين الأول/اوكتوبر 1994 - أي قبل الإعلان عن قيام الحركة - حيث التقى في هذه الجولة بالقادة الميدانيين والمسؤولين في الولايات من قندهار وصولاً إلى هيرات، وأرسل بعد عودته قافلة تضم 30 شاحنة محملة بالمساعدات ومواد الإغاثة لسكان قندهار وهيرات، وكانت القافلة بقيادة كولونيل من الاستخبارات الباكستانية، فتعرض لها القائد منصور آغا مع بعض رفاقه في قندهار، وانتشرت أخبار سلب القافلة ونهب أموالها في وسائل الإعلام الباكستانية والغربية، فتحركت مجموعة من طلبة المدارس الدينية لتخليص القافلة، وأعدم القائد منصور آغا مع رفاقه تحت ترويج كبير مقصود من قبل وسائل الإعلام الباكستانية والعالمية، وكان هذا هو أول ظهور إعلامي كبير لحركة طالبان. أما مباشرة الحركة لعملها فكان قبل حادثة القافلة بأربعة أشهر.

غير أن حركة طالبان تنفي هذه الإتهامات حول نشأتها* ووقوف جهات خارجية وراء ذلك، وتدعي أنها مخاض طبيعي ونتيجة محتمة للظروف التي كانت تسود البلاد،

---

* كنت أدرس في مدرسة ببلدة سنغسار في قندهار، مع حوالي 20 من زملائي الطلاب، فسيطر الفساد على وجه الأرض، واستشرى القتل والنهب والسلب، وكان الأمر بيد الفسقة والفجرة، ولم يكن أحد يتصور أنه من الممكن تغيير هذا الوضع وإصلاح الحال. ولو فكرت أنا أيضاً وقلت في نفسي: «لايكلف الله نفساً إلا وسعها» (البقرة: 286)، لكفتني هذه الآية، ولتركت الأمر لأنه لم يكن في وسعي شيء، لكنني توكلت على الله التوكل المحض، ومن يتوكل على الله لايخيب أمله أبداً.

وأنها أفغانية بحت، وأتت لتخلص البلاد والناس من قطاع الطرق والفساد المستشري والنهب والقتل، وإحلال السلام والأمن في عموم أفغانستان. وعلى أية حال، ومهما كان عليه تضارب الآراء حول مكامن وآليات إنشاء حركة طالبان، فإن هذه الحركة ليست دخيلة على الواقع الأفغاني ولا على القضية الأفغانية، فهي إفراز طبيعي للسياق الذي جاءت فيه، وسبق لقادتها أن شاركوا ضمن الأحزاب 'الجهادية' في فترة التدخل

(...) لعل الناس يتساءلون: متى بدأت هذه الحركة؟ ومن كان وراءها؟ ومن يمولها؟ ومن يوجهها ويديرها؟ وأقول: بداية الحركة أنني طويت الكتب في المدرسة في سنغسار وأخذت معي شخصاً آخر وذهبنا مشياً على الأقدام إلى منطقة زنغاوات، واستعرت من هناك دراجة نارية من شخص اسمه سرور، ثم ذهبنا إلى تلوكان هذه هي بداية الحركة، وأخرجوا كل تصور غير هذا من أذهانكم.

بدأنا نزور الطلاب في المدارس وحلقات الدرس في صباح ذلك اليوم، وذهبنا إلى حلقة درس يدرس فيها حوالي 14 شخصاً، فجمعتهم في دائرة حولي وقلت لهم: أن دين الله يداس تحت الأقدام، والناس يجاهرون بالفسق، وأهل الدين يخفون دينهم، وقد استولى الفسقة على المنطقة كلها، يسلبون أموال الناس، ويتعرضون لأعراضهم على الطرق العامة. يقتلون الإنسان ثم يسندونه إلى حجر على قارعة الطريق، وتمر به السيارات، ويرى الناس الميت ملقى على قارعة الطريق ولايجرؤ أحد على أن يواريه التراب.

قلت لهم: لايمكن الاستمرار في الدراسة في هذه الظروف، ولن تحل هذه المشكلات بالشعارات المجردة، نريد أن نقوم - نحن الطلبة - ضد هذا الفساد. إن أردتم العمل لدين الله حقيقة فلنترك الدراسة. وأصارحكم القول بأنه ما وعدنا أحد بأن يساعدنا بروبية واحدة، حتى لاتظنوا أننا سنوفر لكم الطعام، بل سنطلب الطعام والمساعدة من الشعب.

قلت: أن هذا ليس عمل يوم ولا أسبوع ولاشهر ولا سنة، بل سيأخذ وقتاً طويلاً. هل تستطيعون القيام بذلك أم لا؟ وكنت أشجعهم وأقول لهم: أن هذا الفاسق الجالس في مركزه مثل القدر الأسود لشدة الحر (وكانت تلك الأيام في فصل الصيف شديدة الحر) يحارب دين الله علانية، ونحن ندعي أننا من أهل دين الله ولانستطيع أن نقوم بعمل شيء لنصرة شرعه.

قلت لهم: أننا إن فتحنا منطقة سندافع عنها، ثم لا تعترضوا لعدم وجود دراسة أو لعدم توافر المال والسلاح. فهل تستطيعون القيام بهذا العمل، أم لا؟ فلم يوافق أحد من هؤلاء الـ 14 على القيام بهذا العمل، وقالوا يمكن أن نقوم ببعض الأعمال أيام الجمعة. فقلت لهم: من سيقوم به في الأيام الأخرى؟

أشهد الله على أن الحقيقة هي هذه، وأنني سأشهد بذلك أمام الله عز وجل يوم الحشر. هذه الحركة نتيجة للتوكل المحض، لأنني لو قست على هذه الحلقة باقي المدارس والحلقات لعدت إلى مدرستي، لكنني وفيت بالعهد الذي كنت قطعته على نفسي لله تعالى فعاملني بما ترون. فذهبت إلى حلقة درس أخرى وكان فيها حوالي 7 طلاب، فعرضت الأمر عليهم كما عرضت على طلاب حلقة الدرس الأولى فاستعد الجميع للعمل.

هؤلاء كلهم أمة واحدة، لم تكن بينهم فروق الشباب والشيخوخة أو الطفولة والشباب أو الذكورة والأنوثة، لكن هذا العمل كان مبنياً على حكمة من الله تعالى. فأوقعني منذ بدايته في الإمتحان، فتجولنا على هذه الدراجة إلى صلاة العصر على المدارس، وحلقات الدرس، حتى استعد 53 شخصاً من أهل التوكل المحض، فعدت إلى مدرستي وقلت لهم: تأتون غداً في الصباح. لكنهم جاؤوا في الساعة الواحدة ليلاً إلى 'سنغسار' فكانت هذه البداية. بدأ العمل قبل أن تمضي على الفكرة 24 ساعة، وكان أحد أصدقائي يصلي بالناس، فلما صلى بهم صلاة الفجر قال أحد المأمومين: أنني رأيت الليلة في المنام أن الملائكة دخلت إلى سنغسار، وكانت أيديهم ناعمة، فطلبت منهم أن يمسحوني بأيديهم (للتبرك). وطلبنا في صباح الغد الساعة العاشرة سيارتين من الحاج بشر (أحد تجار المنطقة) فأعطانا سيارتين: سيارة صغيرة، وسيارة شحن كبيرة، فنقلنا هؤلاء الطلاب إلى منطقة كشك نخود وانضم الينا آخرون. ولما كثر العدد استعرنا الأسلحة من الناس، فكانت هذه هي بداية الحركة حتى استمرت.

وكان اللقاء في قرية كشد نخود الجمعة 1415/1/15 هجرية الموافق 1994/6/24. وكان يوم تأسيس طالبان.

السوفيتي، حتى أن الملاّ عمر نفسه زعيم الحركة كان قد شارك في القتال ضد السوفييت وأصيب وقت إذٍ بجراحٍ طالت إحدى عينيه وإحدى قدميه، كما ورد معنا سابقاً.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو الجانب الفني العسكري في إدارة المعارك واستخدام الأسلحة، التي تتطلب امكانيات علمية كقيادة الطائرات وصيانتها، فيبدو أن هذه الأمور كان يتولاها عناصر الجيش الأفغاني القديم الذي تم إعداده في الاتحاد السوفييتي السابق أو من قبل الخبراء الروس في أفغانستان، هذه العناصر التي أخذت لاحقاً توالي فصائل مختلفة من الباشتون.. الذين يشكلون عصب حركة طالبان، ومن هذه العناصر من يعمل كمرتزقة، يخدمون من يدفع أكثر.

في 12 تشرين الأول/اوكتوبر 1994، ضرب الملاّ محمد عمر ضربته الأولى الكبيرة، عندما هاجم نحو 200 من مقاتليه موقع سبين بولدك على الحدود الأفغانية مع باكستان، فهي محطة لنقل البضائع الرئيسية في تجارة الشاحنات وكان يسيطر عليها رجال قلب الدين حكمتيار، فطرد عناصر طالبان هؤلاء واستولوا على 18 ألف 'كلاشنكوف' وقطع مدفعية والكثير من الذخائر. وفي اليوم ذاته هاجمت طالبان قندهار واستولت عليها بلا مقاومة تُذكر، وبدأ الملاّ محمد عمر منها رحلة فتوحاته.

يوماً بعد يوم تسقط مدينة ومقاطعة، ويرتفع عدد طالبان، خمسة آلاف، عشرة آلاف، عشرون آلفاً من أفغانستان ومدارس باكستان، أعمار أكثرهم بين 14 و24 عاماً،. وخلال ثلاثة أشهر كانت طالبان قد استولت على 12 من أصل 31 مقاطعة، وكان قادة تلك المقاطعات يفرون أو يرفعوا الرايات البيضاء.

وفيما هذه الإنتصارات تتكرر، حصل مشهد في قندهار، لم تر المدينة ولا أفغانستان مثيلاً له في تاريخها الحديث، وصفه بدقة الصحفي الباكستاني أحمد رشيد في كتابه 'طالبان' (يال 2001): »ربيع 1996 - سيارات بيك أب يابانية الصنع تتقاطر إلى المدينة تنقل الملالي من مناطق أفغانية باشتونية مختلفة، حتى بلغ عددهم 1200 ملاّ. فُتحت المباني الحكومية كلها وفُرشت أراضيها بالسجاد وتحولت مهاجع لهم. جاؤوا جميعاً 'أهل الحل والعقد' بدعوة من الملاّ عمر لمناقشة أمور المستقبل، بعد أن استعصت عليه كابول بعد عشرة أشهر من الحصار ووسط خلافات طالبانية بين من يريد الاستمرار في الحرب ومن يريد التهدئة. ولحسم هذه الخلافات سارع القندهاريون، مؤيدو مواصلة الحرب، إلى مبايعة الملاّ عمر أميراً للمؤمنين. وفي 4 نيسان/ابريل، طلّ الملاّ عمر من سطح مبنى من وسط قندهار وقد لف نفسه بعباءة النبي محم وتركها تتماوج في الهواء لمزيد من الهيبة والهالة. وعلى الطريق كان الملالي يهتفون 'أمير المؤمنين. وأصبح الملاّ عمر بذلك ثالث* من يُخرج عباءة الرسول من

*وهنا تجدر الاشارة إلى أن عباءة الرسول قد ظهرت للمرة الرابعة، حين رُفعت على صارية، قرب مسجد مزار الشريف في مدينة مزار الشريف، حينما احتفل الأفغان بعيد النيروز (رأس السنة)، بحضور رئيس وزرائهم الجديد، حميد قرضاي، وذلك في 20 آذار/مارس 2002.

مقامها في القرن العشرين، بعدما لبسها الملك أمان الله عام 1929 في محاولة تعبئة القبائل حوله، وبعد اظهارها عام 1935، عندما ضرب وباء الكوليرا المدينة.

بعد استيلاء قوات طالبان اللافت على ولاية هيرات الأفغانية الواقعة على الحدود مع تركمانستان وإيران في 5 أيلول/سبتمبر 1995 روى الملا محمد يار أحد مساعدي القائد الملاّ محمد عمر زعيم الحركة لأهالي المدينة أن الأخير رأى في منامه بعد صلاة سنة العشاء الرسول صلى الله عليه وسلم يأتيه ويأمره أن ينهض وينهى الفساد والظلم* في قندهار وكابول.. وتكررت الرؤيا ثلاث مرات فرواها على رفاقه في المدرسة الدينية فرآها بعضهم مرة أخرى.. فبايعه طلبة المدارس الدينية أميراً وانطلقوا يعملون من أجل هذه الغاية. في غيبة أدبيات فكرية مدونة للحركة تجد هذه الرواية تتكرر كثيراً على ألسنة أنصارها وهي تعبر عن حجم الإستياء الشعبي وحالة الفوضى والبؤس التي تقاطرت على البلاد منذ سقوط كابول في «أيدي المجاهدين» عام 1992 واحتدام الصراع على السلطة بين حكمتيار والرئيس برهان الدين رباني ممثلاً في وزير دفاعه أحمد شاه مسعود.. ومن ثم بدأ ما يمكن تسميته «بالجهاد على الجهاد»: الإسلام التقليدي ممثلاً في طلبة المدارس الدينية.. والإسلام الحركي ممثلاً في الحزب الإسلامي الذي يعد امتداداً للجماعة الإسلامية في باكستان.

كانت المناطق الجنوبية في أفغانستان والتي انطلقت منها حركة طالبان أكثر المناطق التي تعرضت لفساد كومندات السلاح قبل سيطرة طالبان عليها.. فبينما انغمس «الأخوة الأعداء» حلفاء الأمس في حرب ضروس للسيطرة على العاصمة كابول «حكمتيار - مسعود»، وتأكد إجهاض الحلم الأفغاني في إعادة الأمن والإستقرار، وعم الظلم والفوضى والفساد الأخلاقي جنوب البلاد، ونصّب بارونات السلاح نقاطاً للتفتيش على طول الطرق مهمتها السلب والنهب.. ظهرت قوات طالبان - أصحاب العمائم البيضاء - تبشر بوضع حد لهذه المأساة.

نموذج من مراسيم طالبان:

نموذج من مراسيم طالبان صدر عن الرئاسة العامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الوزارة) في كابول في 17 كانون الأول/ديسمبر 1996 كما أوردها فهمي هويدي في كتابه ' طالبان: جند الله في المعركة الغلط':

---

* لم يتحلق الطلاب حول الملاّ محمد عمر مصادفةً، فاسمه كان قد بدا يتردد وسمعته تنتشر. وثمة قصص كثيرة كانت تُروى عن صعود نجمه، أكثرها انتشاراً حادثتان: يُروى أنه في مطلع ربيع 1994؛ جاء جيران الملاّ محمد عمر في سنغسار يبلغون إليه أن أحد القادة المحليين خطف فتاتين مراهقتين وحلق لهما شعرهما ونقلهما إلى معسكره واغتصبهما مراراً. فما كان من الملاّ إلا أن جمع حوله 20 طالباً معهم 16 بندقية فقط وهاجموا المعسكر وحرروا الفتاتين وشنقوا القائد الخاطف على مدفع دبابة وعادوا بأسلحة وذخيرة. والثانية تروى أنه بعد فترة من الحادثة الأولى، اختلف قائدان محليان في قندهار على غلام أرادوه للمتعة، فدارت معركة بينهما راح ضحيتها مدنيون، فتدخلت مجموعة الملاّ محمد عمر وحررت الغلام.

1 . منع الفتنة وسفور النساء: يحظر على سائقي سيارات الأجرة السماح بالركوب للنساء اللاتي يرتدين «البرقة» الإيرانية (العباءة التي تغطي الرأس والجسم ولاتغطي الوجه). وكل سائق سيارة يخالف هذا التوجيه يعرض نفسه للسجن. كذلك يحظر على السائقين السماح بالركوب للنساء اللاتي يرتدين ثياباً مثيرة للانتباه، ويخرجن إلى الشارع بغير محرم. وإذا ماشوهدت إمرأة في الشارع وهي مرتدية «البرقة» فإن زوجها سوف يتعرض للعقاب.

2 . حظر الموسيقى: الموسيقى ممنوعة في المحلات التجارية والفنادق والسيارات. وبعد خمسة أيام من صدور هذا الإعلان، إذا عثر على شريط موسيقي في أي محل فإن صاحبه سوف يتعرض للسجن، فضلاً عن أن المحل سيغلق. وسيفرج عن الشخص في حالة ما إذا تقدم لضمانه خمسة أشخاص. والشيء نفسه يسري على صاحب أي سيارة يضبط فيها شريط للموسيقى.

3 . منع حلق اللحى: بعد شهر ونصف شهر من صدور هذا الإعلان، فإن أي شخص يحلق لحيته أو يقصها سوف يلقى القبض عليه، وسيودع في الحجز حتى تنمو لحيته.

4 . أداء الصلوات في المساجد: حين يرفع الأذان للصلوات يتعين على الجميع أن يتوجهوا إلى المساجد لأداء الفريضة. وينبغي إغلاق المحلات وإيقاف المواصلات قبل موعد الصلاة بخمس عشرة دقيقة. وإذا عثر على أحد في متجره فسوف يودع في الحجز، وسيطلق سراحه إذا ضمنه خمسة أشخاص، وإلا فإن احتجازه سوف يستمر لمدة عشرة أيام.

5 . تمنع تربية الحمام واللعب بالطيور، وبعد عشرة أيام فإن من يخالف الأمر سوف يسجن وتذبح طيوره.

6 . منع تعاطي المخدرات: إذا ضبط أي مدمن للمخدرات فإنه سوف يودع السجن، وسوف يتم التحري عن الجهة التي حصل منها على تلك المخدرات، وسيعاقب البائع ويغلق متجره.

7 . يحظر اللعب بالطيارات الورقية أو المراهنة عليها، وما يترتب على ذلك من مخاطر تصيب الأطفال وتلهيهم عن دراستهم. وعلى المحلات التي تبيع الطائرات الورقية أن تكف عن الترويج لها.

8 . صناعة الأصنام: على أصحاب المحلات التجارية والفنادق والسيارات أن لا يرفعوا أي تماثيل أو صور للأشخاص، ومن يخالف ذلك سيعرض نفسه للعقوبة.

9 . المقامرة ممنوعة، وكل من يضبط وهو يلعب القمار سوف يسجن لمدة شهر.

10 . يمنع إطلاق الشعر على الطريقة الإنكليزية أو الأميركية، ومن يخالف الأمر سوف يلقى القبض عليه. وعلى المسؤولين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يحلقوا شعره، وأن يحصلوا منه أجرة الحلاقة.

11 . يمنع التعامل بالفائدة على القروض أو على أي معاملات مالية أخرى، حيث أن ذلك يعد مخالفة صريحة للتعاليم الإسلامية، ومن يخالف الأمر سيودع السجن لمدة طويلة.

12 . يمنع على النساء غسل الثياب على ضفاف الأنهار، ومن تخالف هذا الأمر سوف تعاد إلى منزلها محاطة بالاحترام اللائق بالأخلاق الإسلامية، أما زوجها أو ولي أمرها فسوف يعاقب بشدة.

13 . يمنع استخدام الموسيقى أو ممارسة الرقص في حفلات الزفاف، وفي حالة المخالفة فإن رب الأسرة سوف يلقى القبض عليه ويعاقب.

14 . يمنع استخدام موسيقى الطبول، ومن يخالف الحظر فسيقرر العلماء كيفية التعامل معه.

15 . يحظر على الرجال خياطة ثياب النساء وتحديد قياسات أجسامهن، والمخالف سيتعرض للسجن.

16 . تحظر ممارسة مهنة التنجيم والعرافة. والمنجمون سيودعون السجن حتى يعلنوا توبتهم، أما كتبهم فسيتم إحراقها.

17 . على الهندوس والسيخ وضع اشارات صفر على صدورهم ليجري تمييزهم عن المسلمين.

برنامج حركة طالبان:

في الوقت الذي لاتوجد فيه أدبيات منشورة لحركة طالبان منذ ظهورها في عام 1994، وحتى الآن لاهتمامها في المقام الأول ببسط سيطرتها العسكرية على البلاد، وإعلانها عنواناً عاماً لسياستها وهو تطبيق الشريعة الإسلامية، إلا أن ثمة كتيباً توزعه المكاتب الإعلامية المحدودة للحركة في باكستان، كتيب أصدره أحد مسؤولي المدارس الدينية في جامعة ميانشاه يتضمن بعض النقاط التي يمكن اعتبارها برنامجاً للحركة وقد حدد المؤلف 19 هدفاً تتمثل في الآتي:

. إقامة حكومة إسلامية على نهج الخلافة الراشدة.

. أن يكون الإسلام دين الشعب والحكومة معاً.

. أن يكون قانون الدولة مستنبطاً من الشريعة الإسلامية.

. اختيار العلماء والملتزمين بالإسلام للمناصب العامة في الحكومة.

. قلع جذور التعصبات القومية والقبلية.

. حفظ أهل الذمة والمستأمنين وصيانة أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ورعاية حقوقهم المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية.

. التركيز على الحجاب الشرعي للمرأة والإلزام به في جميع المجالات.

. تعيين هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع أنحاء الدولة.

. قمع الجرائم الأخلاقية ومكافحة المخدرات والصور والأفلام المحرمة.

. استقلال المحاكم الشرعية وفوقيتها على جميع الإدارات الحكومية.

. إعداد جيش إسلامي مدرب لحفظ الدول الإسلامية والجامعات وتدريس العلوم العصرية.
. التحاكم في جميع القضايا السياسية والدولية إلى الكتاب والسنة.
. تعيين العلماء الأتقياء للمحاكم الشرعية.
. أسلمة اقتصاد الدولة والإهتمام بالتنمية في جميع المجالات.
. طلب المساعدات من الدول الإسلامية لإعمار أفغانستان.
. جمع الزكاة والعشر وغيرها وصرفها في المشاريع الإسلامية والمرافق العامة.

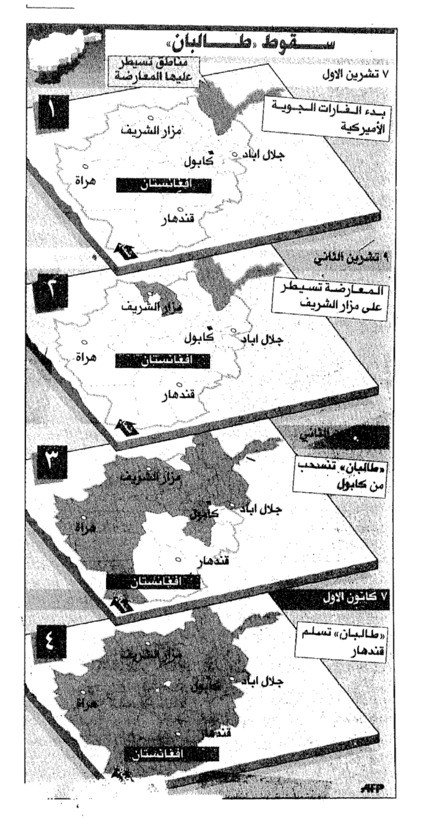
وفي مجال مساعي حركة طالبان، بعدما أصبحت الحاكم الفعلي لأفغانستان، بعد أن سيطرت على أكثر من 80٪ من أراضيها، ومن أجل تطبيق مشروعها 'الإسلامي'، أصدرت الحكومة ما يُسمى بـ 'مرسوم المحرمات'* بتاريخ 16 كانون الثاني/ يناير 1996.

يحرم هذا المرسوم على وسائل النقل، تحت طائلة السجن، نقل المرأة التي لا ترتدي 'البركة' السوداء، ويعاقب كل إمرأة لا ترتديها بالسجن، ويعاقب زوجها، وتوضع على منزلهما علامة للتشهير بهما.

بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001 ومباشرة أولى حروب القرن، التي ابتدأتها أمريكا في التصدي لحركة طالبان وأسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، أخذت حركة طالبان بما أنها تُعتبر بمثابة الحاكم لأفغانستان، لأنها كانت تُسيطر على أكثر من 80٪ من مساحة البلاد، أخذت تفقد مواقعها الواحد تلو الآخر، كما أخذت المدن الأفغانية تسقط بأيدي تحالف الشمال المؤيد من قبل أمريكا وقوات التحالف.

---

* يذكر أنه في التاريخ الإسلامي، صدر هنالك ما يُسمى بـ 'الاعتقاد القادري' الذي أصدره القادر بالله في بغداد في القرن الحادي عشر، و 'القانون الإسلامي الإيراني' الذي دخل حيز التنفيذ بتاريخ 9 تموز/يوليو 1996.


سقوط «طالبان»
مناطق تسيطر عليها المعارضة
٧ تشرين الاول
١
بدء الغارات الجوية الأميركية
مزار الشريف
كابول
جلال اباد
هراة
افغانستان
قندهار
٩ تشرين الثاني
٢
المعارضة تسيطر على مزار الشريف
مزار الشريف
كابول
جلال اباد
هراة
افغانستان
قندهار
الثاني
٣
«طالبان» تنسحب من كابول
مزار الشريف
كابول
جلال اباد
هراة
قندهار
افغانستان
٧ كانون الاول
٤
«طالبان» تسلم قندهار
مزار الشريف
كابول
جلال اباد
هراة
قندهار
افغانستان
AFP

أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة



أسامة بن لادن

ولد أسامة بن لادن، في الرياض سنة 1377هجرية 1957ميلادية، كما ورد في تقرير عن سيرته وزعه «المرصد الإعلامي الإسلامي» في لندن. لكن مجلة «تايم» الأميركية تفيد أنه من مواليد 1956 أو 1958. وهو من أصول يمنية، إذ هاجر والده، محمد عوض بن لادن، في بداية 1930 من موطنه في حضرموت إلى جدة، حيث عمل حمالاً في مرفأ المدينة التي لم تكن تأثرت بعد بالفورة النفطية وكانت لاتزال تعتمد إلى حدكبير على موقعها الاستراتيجي معبراً للحجاج الآتين إلى الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

كان محمد بن لادن طموحاً. إذ لم تمض بضع سنوات على انتقاله إلى المملكة حتى كان قد خطا خطوات واسعة في مشواره الطويل ليصبح واحداً من أبرز المقاولين في الخليج. وساعده في تحقيق غايته هذه شبكة العلاقات الواسعة التي بناها في المنطقة. ونجح في الحصول على عدد من عقود الإنشاءات في فورة إنشاء البنية التحتية للملكة. ومن بين المشاريع البارزة التي فاز بها مشروع التوسع الأول للحرمين الشريفين. كذلك يقال أنه ساهم في إعادة بناء المسجد الأقصى في القدس بعد الحريق المفتعل في 1969 (على يد متشدد إسرائيلي).

توفي محمد بن لادن في عام 1970، بعد أن سقطت طائرته خلال تفقده مشروع «طريق الهدى»، مخلفاً عدداً كبيراً من الأبناء والبنات. هذا المصير الذي لاقاه أنشط أبنائه، سالم في عام 1988، حينما كان يشارك في عرض جوي في مطار كيتي هوك، قرب سان انطونيو في تكساس، عندما قذفت الريح طائرته الخفيفة باتجاه أشرطة كهربائية. ويجدر بالذكر أن سالم بن لادن كان يمتلك مطاراً أمريكياً لتأجير الطائرات الخاصة.

كان أسامة الثالث والأربعين في الترتيب بين البنات والصبيان، والحادي والعشرين بين الصبيان (تقرير المرصد الإسلامي).

تجدر الإشارة إلى أن علاقة ابن لادن باللاذقية (مدينة ساحلية سورية) بدأت عام 1956 عندما حضر والده محمد بن لادن إلى ماكان آنذاك ميناءً صغيراً تحيط به قرى فقيرة. وذكر أفراد الأسرة أنه تزوج إمرأة محلية من أسرة غانم تُدعى عالية وكانت زوجته الرابعة والأخيرة، وأنجبت له ابناً واحداً هو أسامة. وعندما انتقلت عالية إلى

السعودية مع زوجها تركت في اللاذقية شقيقين وشقيقة. وفي كل صيف ومنذ ولادة أسامة كانت عالية تقضي فصل الصيف في اللاذقية في بيت ابن شقيقها ناجي البالغ من العمر 43 سنة وأسرته. وقال ناجي أن أسامة كان يصطحب أمه إلى اللاذقية كل سنة إلى أن بلغ من العمر 17سنة ثم توقف بسبب انشغاله بالدراسة والعمل. وقال ناجي وهو يجلس في غرفة معيشته تحت صورة لبيت الله الحرام «لقد كنا أسرة عادية. نخيم ونذهب إلى الشاطئ. كانت حياة عادية، مثل أي أسرة أخرى».

وبالطبع كانت هناك فروق كبيرة بين فرعي الأسرة في اللاذقية وفي السعودية. وعندما كان أسامة في الثالثة عشرة من عمره توفي أبوه في حادث سقوط طائرة هليكوبتر وورث ثروة تقدر بـ 80 مليون دولار. وبالمقارنة، فإن بعض أبناء أسرة غانم كانوا يكافحون من أجل لقمة العيش إذ كانوا يزرعون الحمضيات في قرية جبريون القريبة.

وإلى جانب وصفهم لأسامة بن لادن بأنه «أنيق» و «متواضع» فإن أبناء خاله يحتفظون بذكريات لاتزال في أذهانهم حول شخصيته. يقولون عنه أنه كان هادئاً ومنعزلاً وله مشكلة في إقامة علاقات مع الآخرين، كما كان يتحدث دائماً عن رغبته في أن يكبر حتى يتمكن من السيطرة على امبراطورية المال والأعمال التي يملكها والده. يقول سليمان غانم أن أسامة كان متعجلاً للشروع في العمل.

وفي عام 1974، عندما بلغ أسامة بن لادن ي الـ 18من عمره، اتصل طالباً إرسال عروسه نجوى (14عاماً). وأوفت الأسرة بالتزامها وأرسلت العروس. ومنذ ذلك الوقت تزوج ابن لادن من ثلاث نساء. يقول ناجي غانم، شقيق نجوى الأكبر، إن أسامة بن لادن ابن عمته وأنه قضى طفولته معهم حيث قابل نجوى وأعجب بها ثم طلب يدها للزواج. وأنجبت نجوى 11 طفلاً من أسامة بن لادن ولم تعد لزيارة أسرتها إلا قبل عامين فقط خلال فصل الصيف. وتقول ليلى غانم أن شقيقتها كانت ترتدي الحجاب باستمرار وكانت غير مرتاحة لرفضها (ليلى) ارتداءه، كما أنها كانت قليلة الحديث عن حياتها في أفغانستان، وكانت تكتفي بأن تقول إن «الحياة فيها بسيطة».

وكانت والدة أسامة بن لادن، التي تزوجت مرة أخرى عقب وفاة زوجها، قد تحدثت عن مخاوف على سلامة ابنها وذلك أثناء زيارتها الأخيرة لمدينة اللاذقية.

في عام 1991، أسقطت الحكومة السعودية الجنسية عن أسامة بن لادن، وبعدها مباشرة أنكرته أسرته في بيان منشور* .

* لقد لوث اسم العائلة. اصبحت اتخفى أنا واخوتي ولا نستخدم شققنا المملوكة لنا ولا كروت الإئتمان الخاصة بنا في أماكن إقامتنا في أمريكا وأوروبا، حتى لا يثير الاسم حنق وغضب من يقراه. فليس مستبعداً ان نُعامل بعنف يصل إلى حد التعدي علينا من جراء ما أتهم به أسامة من أعمال إرهابية في 11 ايلول/سبتمبر. وزاد الأمر سوءاً تهديده الولايات المتحدة بالترويع الدائم عبر قناة الجزيرة.. هذا ما صرح به عبد الله بن لادن، الأخ الأصغر غير الشقيق لأسامة والمقيم في بوسطن ضمن 22 فرداً من عائلة ابن لادن، يعيشون في أمريكا وخاصة

الغزو السوفياتي:

شكل الغزو السوفياتي لأفغانستان، في 11كانون الثاني/يناير 1979، صدمة لأسامة بن لادن. إذ رأى فيه احتلالاً من دولة كافرة ملحدة لدولة إسلامية وتشريداً لأهلها. أراد أن يرى بنفسه الوضع، فرتب - بحسب رواية (المرصد) - مع (الجماعة الإسلامية) الباكستانية رحلة إلى باكستان. اصطحبته (الجماعة) من كراتشي إلى بيشاور حيث قابل مجموعة من قيادات المجاهدين أمثال عبد رب الرسول سياف وبرهان الدين رباني. لم تكن أسماء بعض قادة المجاهدين غريبة عليه، إذ كان بعضهم يعرج على والده في السعودية خلال مواسم الحج.

حرص أسامة على إبقاء تلك الزيارة قيد الكتمان. أراد أن يعطيها (طابعاً استكشافياً). بقي هناك شهراً، خلص خلاله إلى أن قضية الأفغان تستحق المتابعة. وتقول رواية (المرصد) أنه باح بعد عودته إلى السعودية، بخبر الزيارة لإخوانه وأقاربه وزملائه في الدراسة وحدثهم عن مشاهداته وانطباعاته عن المجاهدين الأفغان. ثم بدأ حملة لمصلحتهم وجمع لهم «كمية هائلة من التبرعات المالية والعينية» حملها في رحلة أخرى إلى باكستان مصطحباً معه عدداً من الباكستانيين والأفغان. وبقي هناك شهراً مرة أخرى. وكرر رحلاته هذه مرات، وجلب معه أشخاصاً من جنسيات مختلفة. لكن تلك الزيارات اقتصرت على مخيمات الأفغان ومعسكراتهم داخل الأراضي الباكستانية.

المحطة السودانية

في عام 1992، انتقل أسامة بن لادن من أفغانستان إلى السودان، لأن السودان كانت، بعد حرب الخليج الثانية مرتعاً لكثير من الأحزاب والشخصيات والتنظيمات الإسلامية، التي كانت تريد أن تجد لنفسها مكاناً على الجغرافيا السياسية في العالمين العربي والإسلامي، الأمر الذي كان يتم من خلال لواء المؤتمر الشعبي السوداني، الذي كان هو الحاكم الفعلي آنذاك في السودان. ونظراً أيضاً لانتهاء مهمة 'الجهاد' ضد السوفييت والشيوعيين الأفغان في أفغانستان، بعد انسحاب القوات السوفيتية من ذلك البلد.

كان لأسامة بن لادن نشاطاً بارزاً في السودان، لاسيما في مجال الاستثمارات. بناء الطرق والمزارع والتجارة. كما استغلت بعض الشخصيات السودانية ، من داخل الحكومة ومن خارجها، ثروة المذكور.

في مدينتي بوسطن وهيوستن، لإدارة استثمارات العائلة. هذا وكانت هذه العائلة قد تعرضت لتحقيقات مكثفة منذ أحداث الثلاثاء الدامي، حتى أن طائرة تولت نقل بعضهم سراً من أمريكا إلى السعودية. ويقول عبد الله أن أخيه سالم أسس شركة في أمريكا مع الرئيس الأمريكي الحالي بوش عام 1978، اسماها 'ارتسيو ايزجي'، وقد شهدت هذه الشركة نجاحاً كبيراً وسريعاً. ويقول أن من الصفقات الناجحة لهذه الشركة صفقة شراء مطار هيوستن.

مع بداية وضع حد للتواجد السوفيتي في أفغانستان وتوجه أسامة بن لادن من بيشاور إلى أفغانستان، هنالك قصة تستحق أن تروى على لسان بن لادن، أدلى بها في إحدى لقاءاته الصحفية، التي أجريت معه في باكستان، يقول فيها: (تعرفت على ثلاث سودانيين أعضاء في الجبهة القومية الإسلامية التي يتزعمها الدكتور حسن الترابي ولم تكن الجبهة قد وصلت إلى مقاليد السلطة بعد، وكان بينهم شاب يُدعى الطاهر تخرج من كلية الهندسة من جامعة الخرطوم. وكان المهندس الطاهر عاطلاً عن العمل، فقرر الالتحاق بالمجاهدين في أفغانستان. توطدت العلاقة بيني وبين الطاهر، حيث كان الطاهر من أكثر المجاهدين ثقافة ولباقةً، وقد أغراني بضرورة استثمار أموالي في السودان. ثم جاء انقلاب البشير/ترابي في يوليو من عام 1989. في ذلك الوقت كنت قد علمت من أوساط المجاهدين العرب بمقتل الشيخ عبد الله عزام مع اثنين من أولاده بسيارة مفخخة في بيشاور في تشرين الأول/اوكتوبر 1989 بتدبير من المخابرات الامبريالية. وهنا شعرت بالخطر... وأحسسنا نحن المجاهدون أن هنالك احتمالات جادة لتصفية رموز الجهاد الإسلامي مع بداية انسحاب السوفيت من أفغانستان، وأن المخابرات الأمريكية وغيرها قد انقلبت علينا وتوحدت في القضاء علينا، حتى لا نُشكل خطراً عليها بما لدينا من وثائق. والمعروف كما مر معنا سابقاً أن الشيخ عبد الله عزام هو مؤسس أول كتيبة للمجاهدين العرب في أفغانستان، وكان يُدير مكتب للمجاهدين العرب في بيشاور). وهكذا اتجهت أنظار أسامة بن لادن إلى السودان، التي كانت بذورها تعود إلى عام 1984، حيث كان قد تم زفافه على ابنة اخت الشيخ حسن الترابي، الذي كان مستشاراً للرئيس السابق جعفر النميري، وفي عام 1984 استولت جبهة البشير/الترابي على السلطة إثر انقلاب عسكري أطاحوا بواسطته بجعفر النميري أثناء تواجده في القاهرة.

ارتبط أسامة بن لادن، بعد وصوله إلى السودان، بأواصر صداقة متينة مع كل من حسن الترابي وعمر البشير. فبعد فترة قصيرة، تم تنظيم لقاء له مع حسن الترابي، الذي دعاه إلى منزله، وقال له هناك، أثناء تناول الطعام: 'لقد قررنا تقديم كل العون والدعم لك وبالتالي قررنا قبولك مستشاراً منتسباً في الجبهة القومية الإسلامية'. وحرس أسامة منذ ذلك على دراسة المشروعات التي يُمكن استثمار أمواله فيها هناك. فقام لهذا الغرض بزيارات في عام 1990 لكل من وزارات الزراعة والصناعة والتجارة. وحظي منذ ذلك على رعاية واسعة من السلطات السودانية، لا سيما من حسن الترابي، حيث تم إعفائه من جميع الضرائب والرسوم الجمركية على جميع الآليات الهندسية التي استوردها من المانيا للعمل في المشاريع التي نفذها في صفقة بلغت قيمتها حوالي 25 مليون دولار.

وفي المقابل، كان أسامة بن لادن كريماً مع من أكرمه، فقد قدم شيكاً بمبلغ كبير للدكتور الترابي، مسحوباً على بنك فيصل الإسلامي، وذلك تبرعاً منه للتنظيمات الإسلامية ولأعمال الجهاد. هذه العلاقة من المنفعة المتبادلة بين الحكومة السودانية وأسامة بن لادن، تُرجمت بتنفيذ عدد من المشاريع الإنشائية الكبيرة في السودان، منها: سد الروصيرص، طريق التحدي، الذي يبلغ طوله 700 كم؛ إنشاء ترعتي الزهد وكنانة وبنك الشمال الذي يديره مقربون من الترابي برأس مال قدره 50 مليون دولار. وأصبح أسامة بن لادن بنك طوارئ متحركاً للاستعانه به وقت الحاجة في ظروف استمرار تردي الحالة الاقتصادية للسودان وحاجته إلى دعم سريع بالعملات الصعبة، في ظل الحصار الاقتصادي المفروض عليه وإدراج اسمه في لائحة الدول الراعية للإرهاب. ففي عام 1993، طلبت حكومة البشير قرضاً ميسراً من ابن لادن بقيمة 80 مليون دولار بهدف استيراد الدقيق بصورة عاجلة، لأن احتياطيه كان على وشك النفاذ من المخازن.

يثير الحديث عن أسامة بن لادن وعلاقاته مع القادة السودانيين واحداً من الملفات الساخنة، بل وأكثرها سخونةً، ألا وهو العلاقة السودانية مع كل من أمريكا ومصر التي ساءت إلى حد بعيد بسببه. ويقول الرئيس السوداني عمر البشير، في مجال تبرير علاقة بلاده بأسامة بن لادن: أنه أتى إلى السودان وليس في جعبته أي شبكات إرهابية بالمعنى المفهوم، حيث ظل بعيداً عن الاعلام والنشاط المعادي. وأن أمريكا، بعد محاولة اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك في أديس أبابا، جعلت من أسامه بن لادن بعبعاً وأخذت تُضخمه في كل مكان حتى بعد خروجه من السودان. ويبرر البشير خروج أسامة بن لادن من السودان بأن إقامته أخذت تسبب حرجاً للحكومة مع الحكومة السعودية، التي أعلنت تبرأها منه وسحبت منه جواز السفر وأسقطت عنه الجنسية، بعد أعماله المعادية لمصالحها في العديد من الدول بينها مصر.

ويقول الترابي عنه «إنه شخصية عادية جداً وأن الاتهامات الموجهة له أكثر بكثير من قدراته كفرد يجاهد في سبيل الله. وربما يُؤكد ذلك الطابع الخاص لقضية الأصولية والعنف والإرهاب شديد التعقيد والتي لا يمكن الحكم عليها بشيء من التبسيط دون حوار هادئ ومتعمق».

هذا وقد استخدمت الولايات المتحدة سياسة العصا والجزرة مع السودان لطرد أسامة بن لادن من أراضيها من خلال التهديد بالعقوبات والدعم الاقتصادي من جانب آخر.

وبالفعل طردت السودان المجاهدين العرب المتواجدين على أراضيها دون أن تفي أمريكا بوعودها في تخفيف العقوبات الاقتصادية التي فرضتها ضد السودان، بل زاد الأمر تسلطاً عندما ضربت الصواريخ الأمريكية مصنع الشفاء في 20 آب/اغسطس عام 1998، بحجة انتاج أسلحة كيميائية وعلاقة المسؤولين فيه بأسامة بن لادن.

ويعتبر المقربون من بن لادن أن قرار مغادرته السودان وتوجهه إلى أفغانستان مرتبط بسلسلة اعتبارات سياسية، أهمها الضغط الأمريكي الذي مورس على الرئيس البشير لكي يُبعده عن السودان. ومن جهة أخرى، رأى بن لادن أن في هيمنة حركة 'طالبان' على البلاد عام 1996 أصبح مدخلاً مريحاً له لاستعادة حرية النشاط، على اعتبار أن الملا محمد عمر لا يختلف عنه في النظرة إلى الدين والمرأة والفكر الأصولي المتزمت. وهكذا انتقل أسامة بن لادن إلى كهوف أفغانستان.

دراسة أسامة بن لادن

درس أسامة في المراحل الابتدائية* والاعدادية والثانوية والجامعية في جدة. تخرج من جامعة الملك عبد العزيز بعدما درس الإدارة العامة وتخرج بشهادة في هذا المضمار. وبدأ في هذه الفترة احتكاكه الجدي بالحركات الإسلامية وتياراتها ومعتقداتها وقادتها. ويقال أنه إطلع في تلك السنوات على أفكار سيد قطب، أحد أبرز قادة جماعة (الأخوان المسلمين) المصرية الذي أعدم في عام 1966 خلال حكم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. ولعل ذلك ما يفسر جزءاً من العلاقة الوثيقة الآن بين أسامة و(جماعة الجهاد) المصرية التي تتبنى فكر سيد قطب. ويعتبر الأخير الذي يقوم فكره أساساً على مبدأ (الحاكمية)، مرجعاً لكثير من التيارات الإسلامية (الجهادية) التي تكفر الأنظمة التي تحكم بقوانين وضعية وليس حسب الشريعة الإسلامية. ويبدي بعض السلفيين ملاحظات على بعض أفكاره، على رغم احترامهم الكبير له.

النهج الخطابي لابن لادن

في خطاب أسامة بن لادن (الأول) عام 1996 لم تكن فلسطين لتحتل أي مكان إلا في الإطار العام للتوعد بـ (اليهود والنصارى) حيث ركز (الشيخ) على حق الرد (على الأمريكان.. جميع الأمريكان.. ممن يدفعون الضرائب لدولتهم) ولم يخرج الخطاب عن الزهو بتفجير مؤسسات الدولة الأمريكية وشرعة العمل من منظور (الجهاد على الكفار) و(الانتقام للمسلمين)، وقد تجنب في هذا السياق توصيف الدولة الإسلامية أو العربية القائمة لكنه لم يبق شكاً في أنه يرفض هذه الدولة من الأساس دون أن يعرض قسمات دولته الموعودة البديلة أو البرنامج السياسي الذي يوصل إلى تلك الدولة، أو

---

* يؤكد لبنانيون من منطقة الشوف أن أسامة بن لادن كان قد تلقى جزءاً من تعليمه الابتدائي في لبنان. ففي عام 1963 اتفق نديم بو فخر الدين اللبناني الذي كان يعمل في السعودية، مع محمد بن لادن على أن يفتتح الأول للثاني في لبنان مدرسة ابتدائية خاصة لابنائة، يدرسون فيها اللغة الإنكليزية أيضاً. وتنفيذاً لهذا العقد افتتح نديم بو فخر الدين هذه المدرسة وكانت داخلية في قرية عين زحلتا التي كانت تبعد39 كلم عن بيروت. ويقول أحد ابناء البلدة أن عدد طلاب المدرسة من أبناء بن لادن كان 24 أخاً من امهات عدة، بينهم أسامة، الذي كان فتاً خجولاً ذا صوت خفيض، ويميل إلى العزلة في معظم الأحيان. ولم تعمر هذه المدرسة سوى عامين.

حتى ما إذا يريد إقامة دولة إسلامية التزاماً بفتوى السيد قطب القائلة (لايمكن أن تبقى مسلماً من دون الدولة أو النظام السياسي الذي يحكم بما أنزل الله).

وطوال السنوات الخمس، بين خطاب حزيران/يونيو عام 1996 وخطاب تشرين الأول/أكتوبر عام 2001 لم يطرح أسامة بن لادن شيئاً ذا قيمة سياسية تتصل بفلسفته السياسية للحال الإسلامية أو العالمية، وقد نسبت له أقنية إعلامية تصريحات مقتضبة لم تخرج عن أعمدة خطاب الوعيد للأمريكان واليهود وسط غياب تام لأنشطته الشخصية والدعوية باستثناء تقرير تلفزيوني أظهره بمناسبة زواج ابنه في كهف مجهول بأفغانستان.. وكان علماء دين ومشايخ وكتاب اسلاميون قد أبدوا حيرتهم إزاء ذلك المشهد المتكرر لظهور ابن لادن متلازماً مع رشاشه، مايقترب إلى صفة (الإرهابي) التقليدية أكثر منه إلى (داعية إسلامي). وسنعرف فيما بعد أن ابن لادن. عبر قصاصات أو تأويلات منسوبة له. كان يتقصد' الظهور بهيئة المسلح لتكريس الصورة التي كونها الإعلام الغربي عنه بوصفه إرهابياً، بل ويتقصد ترويج صفة (الإرهابي) حول شخصيته وشخوص أعوانه تمثلاً بالآية القرآنية (ترهبون به عدو الله) أو الآية الأخرى (وإياي فارهبون)، فيما سارع شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي إلى تخطئة التفسير الذي وقع فيه زعيم القاعدة وأنصاره لهذه الآيات.. تخطئة في الزمان والمكان والحالة والظرف والتطبيق والفرضيات.

ولكن كاتباً عربياً ذهب إلى أبعد من ذلك حين أسقط إصرار ابن لادن على الظهور، وسط غار جبلي مجهول، على رواية هجرة المسلمين الأولى (بدينهم) من مكة وواقعة (الغار) في الهجرة النبوية، والذين تأملوا الحالة ربما شاركوا الكاتب رأيه.

البرنامج السياسي:

إن البرنامج السياسي لأسامة بن لادن يمكن أن يلخص في كلمتين (إيذاء الأمريكان). وقد رفع هذا الفعل إلى مصاف أفعال الجهاد في قوله عن انتحاريي نيويورك وواشنطن (فتح الله عليهم فدمروا أمريكا تدميراً)، لأن (ماحدث هو بسبب السياسة الحمقاء التي تمارسها أمريكا في الخارج والتي تتمثل في العداء الواضح للإسلام والمسلمين) وأن (ماتذوقه أمريكا اليوم هو شيء يسير مما ذقناه منذ عشرات السنين) وهو (معاقبة بالمثل) جراء (القتل بما حرم الله) وقتل (مليون طفل عراقي.. والأخوان والأخوات في فلسطين ومقدسات المسلمين فيها وأرض محمد صلى الله عليه وسلم). والخلاصة فإن تدمير أعظم مباني أمريكا (هو منة من الله، مَنَّ بها على كوكبة مقاتلة ومجاهدة من فئة المجاهدين والمرابطين).. (الفئة التي خرجت تفر بدينها إلى الله سبحانه وتعالى).

تنظيم القاعدة

عند تطرقنا لتنظيم القاعدة، لا بد لنا من المرور المتأني عند ظاهرة **الأفغان العرب**، التي يُشكل أسامة بن لادن عنصرا من عناصرها. فتجليات ظاهرة الأفغان العرب، لم يكن لها أن تظهر إلى الوجود، لولا الإحباطات الكبيرة وحتى الانهيارات التي حلّت بالأمة العربية، والتي بدأت تأخذ معالمها الجلية منذ منتصف السبعينات. وقعت هذه الانهيارات على شرائح الطبقات الوسطى العربية كوقوع الصاعقة، لا سيما أنها ترافقت بسيطرة الرأسمال العربي الكبير على اقتصاديات تلك البلدان، الأمر الذي بدأ يظهر بالسحب التدريجي للبساط الاقتصادي من تحت أقدام هذه الشرائح. وإذا أخذنا بالحقيقة التي تقول بأن الطبقة الوسطى على مر القرون كانت هي الحامل السياسي والثقافي لجميع الأمم، فإن الطبقة الوسطى العربية، أخذت تبدو مشردة وتائهة بعدما أحاق بها وبأمتها ما أحاق. فمن كان من شرائح الطبقة الوسطى يُؤمن بالقومية العربية وبالأمة العربية الواحدة، التي حسب نظريتي تشكل الأمم الفرنسية والألمانية، هي بمثابة أمة واحدة، أخذ يرى الانهيارات التي أصابت هذه الأمة إن كان من حيث التنظير أو التطبيق، فهي أي هذه الأمة بدلاً من أن تسير نحو التكتل والتجميع وصولاً إلى إنشاء دولة واحدة، أخذت تنحو نحو التفتت والإنقسام، وأخذ عدد دولها يتزايد. وبدلاً من أن تمسك هذه الأمة بزمام وضعها الإقتصادي القوي جداً من حيث الإمكانيات، سلمت هذا الزمام للغرب وأخذت تقتات على الفتات.

أما تلك الشرائح التي كانت تؤمن بالأمة الإنسانية الجمعاء، وتتبنى الإشتراكية الأممية، ففي ذات المرحلة انهارت منظومة الأفكار التي آمنوا بها عالمياً، بانهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الإشتراكية، الأمر الذي ساهم في سقوطها في الوهن وتآكلها من الداخل، لأنها لم تر تحققاً فعالاً ونتائج ملموسة بعدما قدمت الغالي والرخيص، ابتداءً من السجون وصولاً حتى الحيوات.

والسيناريو السياسي الآخر الذي كان له وقعاً صاعقاً على هذه الشرائح هو سيناريو عملية السلام العربية - الإسرائيلية، التي باشر بها أنور السادات. فمن هذه الشرائح من انطوى على نفسه وابتعد عن الحياة السياسية، ومنهم من أخذ يبحث عن مخرج لأمته، فلم ير إلا المخرج الثالث الذي لم يجرب على أرض الواقع، وهو النظرية الإسلامية لتشكل الأمم والتي تقول أن الدين هو العامل الأساسي في تشكل الأمم، لهذا

يجب الانطلاق من الدين الإسلامي لتشكيل ما يُسمى بالأمة الإسلامية. وهكذا أخذت نسبة مئوية لابأس بها تتوجه إلى حيث تشكل النوى الثقافية الأولى للإسلام - إلى الجوامع، لأنها كانت محرومة من التعددية السياسية وحرية التعبير عن الرأي.

والحكاية بالأفغان العرب بدأت مع هذا المسلم، عندما أخذ شيخ الجامع في نهاية السبعينات يحثة ضد السوفيات الكفرة، الذين احتلوا بلداً مسلماً هو أفغانستان والذي هو جزء من أمته الإسلامية. وخارج الجامع هنالك لجان التبرعات لأفغانستان، ناهيك عن الحملات الإعلامية الكبيرة التي جُيشت لهذا الغرض. فمشروع المسلم هذا أخذ بالتدريج يُكثر من ارتياده للجامع، وأخذ يرى مثله الأعلى بإمام الجامع، الذي كان له من القدرات الكبيرة على استنفار المشاعر الباطنية ومحورتها باتجاه الركن الإسلامي الأعز إلى قلب المؤمن، ألا وهو الجهاد. وكان الهدف الأول للجهاد هو أفغانستان، تلك 'الحلقة الأضعف من سلسلة الدول الشيوعية'، على أمل أن يُتابع هذا الجهاد لاحقاً في فلسطين، لتحريرها والنزول في القدس.

وصل أخونا المسلم إلى أفغانستان، فوجد رفاق درب كُثر، منهم الطبيب ومنهم المهندس ومنهم الإستاذ الجامعي ومنهم المليونير، جميعهم توحدوا تحت راية واحدة وعاشوا ظروفاً متماثلة. كما أن رموز القيادة كانت هناك في أفغانستان تُرى كأنها مصدر إلهام، لما كانت فيه تتمتع من تواضع وصلابة واستعداد للتضحية بالنفس في سبيل الإسلام. فهنالك الشيخ عبد الله عزام وأسامة بن لادن وأيمن الظواهري ومحمد عاطف (أبو حفص) وعلي الرشيدي (أبو عبيدة البنشيري)، والقائمة تطول.

أخذ صديقنا المسلم بالتدريب العسكري، إلى جانب التربية الفكرية الجهادية، التي أقنعته بأن الدنيا داران: دار السلام ودار الحرب، حسب ابن تيمية، وأن المجتمعات التي يعيش فيها أهله ليست مسلمة، ويجب تقويمها وإقامة الدول المسلمة. أخذ أخونا المسلم يُقاتل ويُقاتل، موجهاً دائماً بندقيته باتجاه السوفيت فقط. ومع معالم انتهاء الحرب الباردة والهجوم الأمريكي الأمني على الإتحاد السوفيتي ودول المنظومة الإشتراكية، الأمر الذي أدى إلى تفتت الجسم الشيوعي وإصابة قلب هذا الجسم بالوهن، الأمر الذي أودى به إلى الانسحاب من أفغانستان، ليصبح هذا الإنسحاب بمثابة انتصار للإسلام السياسي المجاهد. وهكذا اعتقد صديقنا المسلم بأنه هو الذي هزم الإتحاد السوفيتي وأسقط الشيوعية من جبال تورا بورا، من دون أن يأخذ أو يعتبر الظروف الدولية بنظر الاعتبار.

في عام 1984، تأسس ما يُسمى بـ'بيت الأنصار' في بيشاور، وكان عبارة عن محطة استقبال أولى للراغبين في الالتحاق بالجهاد قبل توجههم إلى التدريب ثم إلى المشاركة في المعارك في أفغانستان. وفي هذه الأثناء لم يكن أسامة بن لادن يمتلك جهازه العسكري الخاص به، ولم تكن لديه بنية عسكرية تحتية من معسكرات تدريب ومخازن

ومؤخرات ووسائل اتصال. بل كان يكتفي فقط بارسال الشباب العرب الآتين إليه للالتحاق بإحدى جماعات المجاهدين، مثل جماعة قلب الدين حكمت يار (الحزب الإسلامي) وعبد الرب الرسول سياف وبرهان الدين رباني (الجمعية الإسلامية).

هذا وقد تزامن تأسيس 'بيت الأنصار' مع تأسيس الشيخ عبد الله عزام، الفلسطيني الأصل، 'مكتب خدمات' في بيشاور أيضاً، والذي أدى إنشاؤه إلى نوع من التكامل مع 'بيت الانصار'. فالأول يقوم بالمهمة الإعلامية وجمع التبرعات وحض المسلمين، لاسيما العرب منهم على الجهاد بالنفس والمال على أساس أن الجهاد في أفغانستان هو جهاد فرض وليس جهاد كفاية، في حين يتولى 'بيت الأنصار' المهمة العسكرية لجهة استقبال الراغبين بالجهاد وتوجيههم إلى معسكرات التدريب وجبهات القتال لاحقاً. وفي تلك الفترة توثقت علاقة أسامة بن لادن بالشيخ عبد الله عزام، لكنهما قررا أن المصلحة تقتضي عدم دمج عملهما.

في عام 1986، بدأ أسامة بن لادن وتنظيمه يتوسع عسكرياً داخل الأراضي الأفغانية، بعدما كان حتى ذلك الوقت يعتمد على دعم قوات المجاهدين علىجبهات القتال الأفغانية، فقرر بناء معسكرات خاصة به وخطوط ومؤخرات لقواته، وتمكن من تشييد 6 معسكرات، استطاع بفضل خبرته في الانشاءات، تحريكها ونقلها أكثر من مرة تبعاً لظروف المعارك التي كان يخوضها.

كانت تلك المرحلة فترة تقاطر العرب بكثافة إلى أفغانستان للمشاركة بالجهاد. لكن مشاركتهم في الجهاد كانت، في البداية خفيفة، والتي سرعان ماتطورت وتوجوها بخمس معارك عنيفة، نشبت بين عامي 1986 و 1989 وأبرزها معركة 'جاجي' قرب جلال أباد. كان ذلك بعدما حصل المجاهدون على دعم أمريكي كبير، لم يتمثل فقط في التدريب العسكري والعتاد الخفيف، بل تطور بتزويدهم بصواريخ 'ستنقر'، التي أفقدت الجيش السوفيتي سيطرته المطلقة على الأجواء، بعد أن تم اسقاط العديد من طائراته الناقلة للجند، مما تسبب بمقتل عدد كبير من صفوف قواته، الأمر الذي جعل الأصوات ترتفع عالياً في موسكو مطالبةً بسحب القوات السوفيتية من جمهورية أفغانستان، الأمر الذي دشن انعطافة خطيرة وكبيرة لصالح المقاتلين الأفغان ومناصريهم العرب 'الأفغان'. ويتردد أن بعض مقاتلي بن لادن بحوزتهم بعض قاذفات هذه الصواريخ.

يُعتبر أيمن الظواهري، المصري الحنسية، هو المنظر الحقيقي لتنظيم القاعدة، بعد أن قدم إليه ممثلاً عن جناح كبير من أجنحة تنظيم الجهاد المصري، وهو المسؤول الأول والأكبر عن التطرف الفكري الذي أحاق بابن لادن وجماعته. ففي كتابه الأخير 'فرسان تحت راية الفيحاء'، قدم أيمن الظواهري الوظيفة العدمية لثالوث 'الحاكمية والولاء والبراء': 'إزاحة الدساتير والقوانين واستبدالها بشريعة الإسلام، بما هي قضية

عقيدة عن أن الحاكمية لله وحده. ومن أشهر المسائل التي تُبنى عليها الحركة هي إجماع العلماء على كفر الحكام المبدلين للشرائع* ووجوب الخروج عليهم وخلعهم.



ونحن حينما نمعن التفكير في طروحات الجهاد الديني (الجهاد ضد النصارى واليهود)، التي طرحها أخيراً التنظيم الذي كان الظواهري من كبار منظريه والذي شُكل على أساس تحالف خمسة تنظيمات: تنظيم القاعدة الذي يتزعمه أسامة بن لادن؛

---

* ونحن هنا بدورنا نُذكر الظواهري بأن عمر بن الخطاب، لم ير غضاضة في اقتباس بعض القوانين البيزنطية، وعثمان بن عفان أراد تقليد ملوك الفرس بفرض ضريبة النيروز لولا أن ضج الناس، أما معاوية فقد أدخلها جنباً إلى جنب مع الزكاة والخراج، الضريبتين الشرعيتين الوحيدتين. كما اعتبر فقهاء المالكية في المغرب الكبير القانون الروماني الذي غدا عرفاً وعادة مصدراً لتشريع الجيل الأول من الاصلاحيين، الذي ارتضى القانون الفرنسي العلماني.

تنظيم الجهاد المصري، الذي يتزعمه الدكتور أيمن الظواهري؛ وتنظيمان إسلاميان باكستانيان؛ وتنظيم إسلامي بنغلاديشي، حينما نُمعن بذلك نجد أن خطورة عالية المستوى توجه إلى مجتمعاتنا وأوطاننا في العالمين العربي والإسلامي، سوف تمزقنا شر ممزق، مما ستولده من حروب أهلية على أساس ديني، أضف إلى أنها ستخلق شرخاً كبيراً بيننا وبين العالم الآخر، وستميت لغة الحوار والمثاقفة التي نحتاجها مع هذا العالم لتأمين مصالحنا والمحافظة عليها فيه، الذي أصبح كما يقولون بمثابة قرية واحدة. ونحن هنا نستشهد بالوقائع التاريخية للمعارك العسكرية الإسلامية، ابتداءً من العهد النبوي فالعهد الراشدي فالعهد الأموي فالعهد العباسي، كلها تنفي حدوث الصدام الإسلامي مع 'الآخر' وفقاً لمنطلقات دينية. فالصدام المذكور في مصادر مختلفة بين الرسول واليهود، تشكل على أرضية كونهم جماعة بشرية، تعاقبت على نقض عهودها ومواثيقها معه، بينما لم يذهب النبي للانشغال عسكرياً مع يهود تيماء لايفائهم بالعهد، بينما يهود خيبر والمدينة وبنو النضير وقينقاع، وجب ضبطهم عسكرياً لأنهم أخَلوا بالمواثيق، مع التأكيد على أن هزيمتهم العسكرية لم تعني إلزامهم بالإسلام.

وفي حال ذهاب 'الفتوى المذكورة' إلى حيز التطبيق فإن بلداننا ستتمزق: انشطار مصر (7 ملايين قبطي)؛ حرب أهلية فلسطينية - فلسطينية في فلسطين (أحداث الناصرة في عام 2000)؛ ولا تخرج أية دول عربية كثيرة عن هذا المصير.

بعدما انتهت الحملة العسكرية ضد (قواعد الإرهاب) في أفغانستان، سيكون **(الجيل الأول)** من قادة تنظيم (القاعدة)، بدءاً بزعيمها أسامة بن لادن ومعاونيه المقربين المعروفين، قد غادروا ساحات القتال الدولي نهائياً، اما قتلاً بواسطة قنابل القصف العسكري، أو أسراً وراء قضبان السجون الأميركية.

إلا أن خبراء مكافحة الإرهاب يجمعون على أن سقوط هذا الجيل الأول، بمن في ذلك بن لادن، لن يكون عامل تراجع في نشاطات (القاعدة)، بل سيسفر بالعكس عن مرحلة جديدة من التصعيد، ستكون سمتها الرئيسية بروز كوادر وقيادات جديدة ممن لم يكونوا معروفين حتى الآن من قبل أجهزة الاستخبارات ومصالح مكافحة الإرهاب، مما سيجعل من الصعب للغاية تقفي آثارهم والتكهن بطبيعة الاستراتيجيات الحربية التي سيعتمدونها.

ففي شريط دعائي تم التوصل اليه بعد أسابيع قليلة من بدء العمليات العسكرية في أفغانستان، وكان موجهاً للتداول داخلياً في صفوف الشبكات الخارجية لـ (القاعدة)، يقول أسامة بن لادن مخاطباً أتباعه:«إننا نعرف أن الكفرة سيصبون علينا نار قنابلهم التكنولوجية. لكن جيشنا الثاني والثالث سيكونان لهم بالمرصاد من بعدنا، وسيثأرون لشهدائنا».

أما (**الجيل الثاني**) الذي أشار إليه بن لادن مقصود به، من دون شك، (الشبكات النائمة) التابعة لتنظيم (القاعدة) في أوروبا وأميركا. وهذه الشبكات أمرها معروف لأجهزة الاستخبارات، وإن كانت التقديرات تتضارب حول هويات أفرادها وأعدادهم وأماكن تخفيهم والأسلوب الأمثل لمواجهتهم.

بالنسبة إلى مايسمى بالشبكات أو الخلايا (النائمة) في الدول الغربية، وهو ما يقصد به ابن لادن (الجيل الثاني)، فإن عددهم يصل إلى نحو ألفي متطوع تم تسفيرهم من أوروبا إلى معسكرات (القاعدة) في أفغانستان، منذ انتقال (القاعدة) إليها ومغادرتها السودان، في شهر آيار/مايو 1996.

وهؤلاء المتطوعون هم إما من شباب الجاليات العربية والإسلامية أو من الشبان الغربيين الذين اعتنقوا الإسلام، ويتم استقطابهم من قبل شبكات (القاعدة) في أوروبا، ثم يسفرون سراً إلى معسكرات التدريب في أفغانستان، حيث يتابعون دورات تدريب على فنون القتال وتقنيات الإرهاب، لفترات تتراوح بين 45 يوماً و3 أشهر. ثم يطلب منهم أن يعودوا من حيث أتوا، من دون لفت الأنظار، وأن يستمروا في حياتهم العادية، كأن شيئاً لم يكن، بانتظار اللحظة الحاسمة التي سيطلب فيها منهم المشاركة في عمليات إرهابية. ولهذا السبب يسمون بـ (الشبكات النائمة) أو (العملاء النائمون).

وعن (**الجيل الثالث**) الذي هدد به ابن لادن، فالأرجح أن الأمر يتعلق بقوات او خلايا سرية قام ابن لادن بإخراجها من أفغانستان ، قبل بدء العمليات العسكرية الحالية ، وعلى الأرجح قبل هجمات 11 أيلول/ سبتمبر ذاتها، وعمد إلى ترحيلها نحو مناطق التوتر والنزاعات المسلحة، بحيث يمكنه (إيقاظ) هذه الخلايا النائمة، وتحريكها في اللحظات المناسبة، لتغذية تلك الصراعات وتأجيجها، بما لا يخدم المصالح الغربية. ومن أبرز النماذج عن المناطق التي يرجح أن تكون قوات هذا (الجيل الثالث) السري قد تسربت إليها، مناطق النزاع في كشمير والشيشان والشرق الأوسط. أما عن أعداد المنضوين في هذا الجيش السري، فإن التقديرات تشير إلى أنهم يتراوحون بين 15 و20 ألفا.

ويتضح ذلك استنادا إلى تقارير الاستخبارات الباكستانية التي كانت تتابع عن كثب منذ 5 سنوات، تدفق المتطوعين للانضمام إلى معسكرات الجهاد في أفغانستان، منذ استقرار (القاعدة) فيها عام 1996،حيث قدرت الأجهزة الباكستانية عدد هؤلاء المتطوعين الذين التحقوا بـ (القاعدة) ، مرورا بمراكز (الأفغان العرب) في بيشاور، بنحو 20 إلى 30 الف متطوع على مدار 5 سنوات.بينما قدر عدد مقاتلي (القاعدة) الموجودين في أفغانستان، قبيل بدء العمليات العسكرية الحالية، بنحو 7 إلى 10 مقاتل فقط.

وبناء عليه يجب التساؤل: أين اختفى المتطوعون الباقون، أي نحو 15 إلى 20 ألفا، ممن التحقوا بـ(القاعدة) وتلقوا التدريبات في معسكراتها، ولم يعودوا إلى الدول الأصليةالتي جاؤوا منها، كما هو الحال بالنسبة إلى أفراد (الشبكات النائمة) الأوروبية، لكنهم ليسوا موجودين حاليا في أفغانستان؟ وتجهل حتى الآن الوجهة التي قصدوها، ويرجح بأنهم المقصودون من قبل ابن لادن بمصطلح (الجيل الثالث).

قيادة الجيلين

هنالك خمس شخصيات تُدير ثروة بن لادن وأموال القاعدة الموزعة على حسابات سرية متعددة عبر العالم، منهم شخص، رُصدت نشاطاته تحت هويات منتحلة متعددة وألقاب مختلفة، مثل (سعد) أو (سعيد) أو (مصطفى محمد الأحمد) أو (مصطفى محمد الموسوي) أو (أبو محمد).

ويعد ابو زبيدة وسعد الشريف الوحيدان من (الجيل الأول) من قادة (القاعدة) اللذين لم يحترقا أمنيا. ويرجع السبب في ذلك إلى طبيعة نشاطاتهما السرية. حيث أن أبو زبيدة الذي تقتفي أثره اجهزة الاستخبارات الغربية منذ عام 1995 بوصفه المشرف على الشبكات الأوروبية الموالية لـ(القاعدة)، نجح في الإفلات من المطاردة الأمنية، كما يقول خبراء مكافحة الإرهاب، بفضل براعته في التنكر وتزوير الهويات. وقد رصدت أجهزة الاستخبارات الفرنسية أنه كان يتنقل باستعمال 37 جواز سفر، منتحلاً في كل مرة شخصية مختلفة، من جنسيات شتى عربية وآسيوية. ورغم ذلك لا تتوفر حتى الآن أي صور مجددة له.

أما سعد الشريف، فإن صورته معروفة لأجهزة الاستخبارات الغربية، لكن هذه الأجهزة تجد مصاعب كبيرة في تقفي نشاطاته، وكشف الحيل التي نجح بفضلها في إبعاد أموال (القاعدة) عن المطاردة والتجميد. يمتلك سعد الشريف خبرات واسعة في عالم الأعمال، مكنته من تشكيل شبكة واسعة ومعقدة من الحسابات والأرصدة البنكية السرية والمرقمة، اصطلح على تسميتها بأرصدة (المباركون من الله) وإلى اليوم لا تزال أجهزة الاستخبارات الغربية عاجزة عن تحديد هذه الأرصدة البنكية، وكشف آليات اشتغالها، مما جعل القسط الأكبر من ثروة (القاعدة) يفلت من حملات تجميد أرصدة الإرهاب في العالم.

وإلى جانب هؤلاء القادة الخمسة الأقرب إلى ابن لادن، توجد (حلقة ثانية) من المعاونين الذين يعملون تحت أمرتهم. فتحت إدارة المسؤول السياسي لـ(القاعدة) أيمن الظواهري، نجد مساعداً يشغل منصب (مسؤول الدعاية) يدعى أبو محمد المصري، ويعتقد أنه هو الذي كان يشرف على إصدار الأشرطة الدعائية التي توزع على أتباع «القاعدة» عبر العالم، وهو الذي أشرف على تحرير ما سمي بـ«موسوعة الجهاد»، التي جاءت في سبعة مجلدات ضخمة. ويعتقد أيضاً انه هو الذي قام بتصوير ذلك الشريط الذي عثر عليه في أفغانستان، وقام البنتاغون ببثه، واعتبر دليلا على تورط «القاعدة» في هجمات 11 أيلول/سبتمبر.

وتحت إدارة (المسؤول العسكري) محمد عاطف، نجد ناشطاً آخر مصرياً بدوره، يلقب نفسه بـ(سيف العدل) وهو ضابط سابق في الجيش المصري، اسمه الحقيقي محمد مكاوي. ويعتقد أنه مسؤول عن الأمن الداخلي لـ(القاعدة) مما جعله أقرب كوادر هذه (الحلقة الثانية) إلى بن لادن، لأنه كان يأتمنه على حمايته الشخصية . وبعض المصادر ترجح أن يكون (سيف العدل) قد عين خلفاً لمحمد عاطف، بعد مقتله في منصب (المسؤول العسكري).

مسؤول التمويل الخارجي

وتحت إدارة (المسؤول المالي) سعد الشريف نجد ناشطاً آخر من (الأفغان السعوديين) هو نصر فهمي نصر، الملقب بـ(محمد صلاح)، وتعتقد أجهزة الاستخبارات الغربية أنه يشغل منصب المسؤول عن تمويل الشبكات الخارجية لـ(القاعدة) مما يجعله بمثابة (حلقة الوصل) بين الشيخ سعد شريف وأبو زبيدة.

وتحت إدارة مسؤول العمليات الخارجية أبو زبيدة نجد أربعة قادة إقليميين يشرفون على تسيير الشبكات النائمة السرية واستقطاب الأتباع والمتطوعين. وهم اليمني توفيق عطاش خالد، الذي يعتقد أنه كان العقل المدبر لعملية تفجير المدمرة الأمريكية (كول) في ميناء عدن. والجزائري (أبو جعفر) واسمه الحقيقي عمر شعباني، الذي يعد من أكثر الناشطين في مجال استقطاب المتطوعين القادمين من أوروبا، عبر مؤسسة (بيت الجزائريين) التي يديرها في بيشاور. وهناك أيضا ناشط شيشاني، يدعى طاهر يولداشيف، وآخر أندينوسي يدعى أمين الحق. ولا يعرف إلا القليل عن هوية هذين المسؤولين الأخيرين اللذين يعتقد أنهما يلعبان الدور الرئيسي في استقطاب الأنصار لحساب (القاعدة) في دول آسيا الوسطى الإسلامية.

ويرجح الخبراء أنه عند سقوط (الجيل الأول) من قادة (القاعدة)، أي اختفاء أسامة بن لادن وأيمن الظواهري ومحمد عاطف وسليمان أبو غيث، فإن (معركة الخلافة) ستدور أساساً بين سعد الشريف وأبو زبيدة. ويجمع الخبراء على أن سعد يعد الأوفر حظاً في تولي منصب زعامة «القاعدة»، في حال عدم حدوث مواجهات وانشقاقات داخلية في صفوفها، أي إذا تم انتقال منصب الزعامة سلمياً.

أما في حال تعرض «القاعدة» لمثل هذه الانقسامات والصراعات على «الإرث»، فيرى الخبراء أن حظوظ أبو زبيدة قد تكون الأوفر في الظفر بـ «الإمارة». وخاصة إذا قرر الانفصال بالشبكات الخارجية التي يديرها، تاركاً التنظيمات والتيارات الداخلية لـ «القاعدة» تتصارع فيما بينها، حسب جنسياتها وولاءاتها وتوجهاتها الفقهية والسياسية.

ومن جهة أخرى، يرجح الخبراء في حال انتقال «الخلافة» سلمياً، أن يبرز الى الصف الأول من مناصب المسؤولية 3 قادة آخرين من أبناء «الحلقة الثانية»، هم على الأرجح «سيف العدل» الذي يرتقب أن يتولى منصب «القائد العسكري»، وأبو محمد المصري الذي يرتقب أن يصبح القائد السياسي، ونصر فهمي نصر الذي يرجح أن يصبح المسؤول المالي.



اسامة بن لادن



حمى ياسين



احمد غيلاني



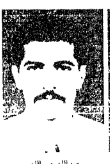
ايمن الظواهري

فهد مسلم

ابراهيم اليعقوب



عبد الكريم الناصر



عبدالله عبدالله



محسن متولي عطوي



علي عطوي



انس الليبي



احمد حمد على



فضل محمد



عماد مغنية



مصطفى فضل



شيخ احمد سويدار



أحمد ابراهيم المغسل



خالد الشيخ محمد



ابو حفص المصري



علي سعد الحوري



سيف العدل


الطائرة التابعة
لشركة
«اميركان ايرلاينز»
الرحلة رقم ١١
المسقامي
وليد الشهري
وائل الشهري
العمري
عطا
الطائرة التابعة
لشركة
«اميركان ايرلاينز»
الرحلة رقم ٧٧
موقد
المضهر
نواف الحمزي
سالم الحمزي
حنجور
الطائرة التابعة
لشركة
«يونايتد ايرلاينز»
الرحلة رقم ٩٣
الغامدي
الحزناوي
النامي
جراح
الطائرة التابعة
لشركة
«يونايتد ايرلاينز»
الرحلة رقم ١٧٥
الشحي
احمد الغامدي
الشهري
حمزة الغامدي
الشهري

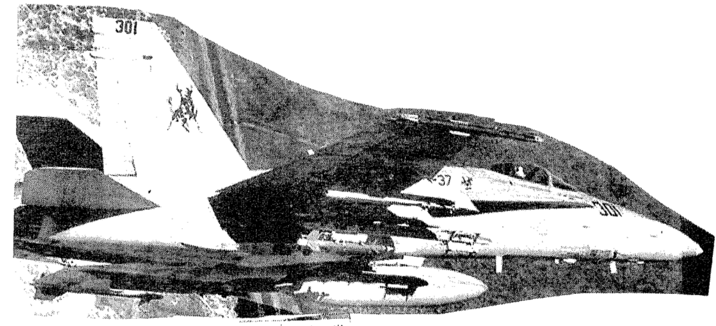

افغانستان
بن لادن : مطلوب حيا او ميت
١ استطلاع وجمع معلومات
تسلل وراء خطوط العدو
البحث عن قواعد سرية
اعتراض رسائل
ومخيمات التدريب
٢ الخيارات العسكرية المحتملة
I تدخل
القوات الخاصة
II ضربات جراحية
صواريخ «كروز» بعيدة
المدى (موجهة بواسطة
الاقمار الصناعية)
صواريخ قصيرة المدى
موجهة بواسطة الليزر
III غارات
عملية مطاردة بن لادن
اوزبكستان
طاجيكستان
فيض اباد
قندز
مزار الشريف
طالقان
باغلان
0 100 km
غارات اميركية
التحالف الشمالي
او زعماء القبائل
مزار الشريف
كابول
جلال اباد
هراة
قندهار
سيطرة طالبان
قلعة
قندهار
معروف
بيرش
التحالف الشمالي قال انه
حدد مكان بن لادن
شامان
0 50 km
باكستان
قطع مخارج احد مخابئ
تنظيم القاعدة تحت الارض

بعض من يوميات

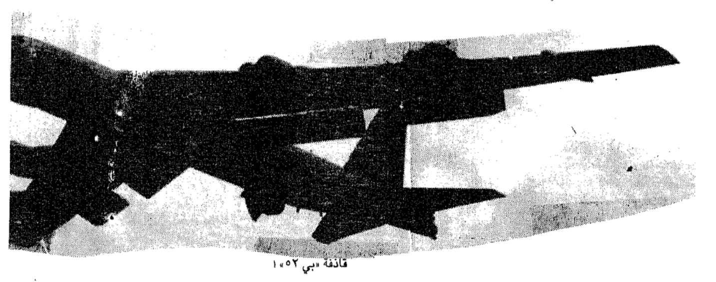
أولى حروب القرن



نماذج من الوحدات العسكرية والأسلحة التي استخدمت ضد أفغانستان



طائرة «اف ١٨هورنيت»


قاذفة «بي ٥٢» ا

يوجد تحت تصرف «قيادة العمليات الخاصة» الاميركية ٢٩ الف جندي من اصل ١.٠٤ مليون جندي يؤلفون قوام الجيش والبحرية وسلاح الجو. ولانجاز مهمة الهجوم على شبكة «القاعدة» الارهابية التي يتزعمها اسامة بن لادن في جبال افغانستان، يتوقع ان تنتشر تشكيلة تابعة للجيش تضم «القوة دلتا» و القبعات الخضر» و «فوج المغاوير الـ ٧٥»، ووحدات «سيل» التابعة للبحرية، و «الوحدات الجوية الخاصة» البريطانية.

سلاح الجو - « فوج الطيران الـ ١٦٠ للعمليات الخاصة»:
يستخدم مروحيات مجهزة خصيصاً لنقل القوات الخاصة سراً وتنفيذ عمليات لمكافحة التمرد والانقاذ.
يتألف الفوج من ثلاث كتائب، اثنتان بيضاء وواحدة «سوداء» تستخدم لمهمات سرية.
ويعرف مقاتلو الفوج بـ «مطاردو الليل»، وشعارهم: «الموت ينتظر في الظلام».
وشاركوا في القتال في «عاصفة الصحراء» وفي الصومال وليبيريا.
وتستخدم الوحدة مروحيات من طراز سبكتر «أي سي -١٣٠»، وهي قادرة على تدمير اهداف برية بقوة نارية هائلة.

تشينوك «إم إتش - ٤٧ إي»

الجيش البريطاني - الوحدات الجوية الخاصة (إس أي إس):
ساهمت هذه الوحدة الغامضة في كل نزاع كبير تقريباً منذ انشائها في الحرب العالمية الثانية.
تتألف «إس أي إس» من اربع سرايا (أي، بي، سي، دي، جي)، تتألف كل واحدة من اربع فرق تضم ١٦ جندياً.
وترتبط «إس أي إس» بعلاقات وثيقة مع «القبعات الخضر» و «القوة دلتا». نفذ افراد فوج «إس أي إس» الـ ٧٢ عمليات سرية خلف الخطوط السوفيتية خلال غزو افغانستان في الثمانينات.

الجيش الاميركي - فوج المغاوير الـ ٧٥:
قوات خاصة مزودة أسلحة خفيفة، مدربة على الحرب غير التقليدية. قد يطلب منه التغلغل في افغانستان بواسطة مروحيات لشن غارات خاطفة ض[illegible] قواعد «طالبان». شارك الفوج في القتال في غرنادا وبنما والصومال حيث قتل ١٨ من افر[illegible] في ١٩٩٣. وشن القوة غارات خاطفة في حرب الخليج، ولم يتكبد أي اصابات.

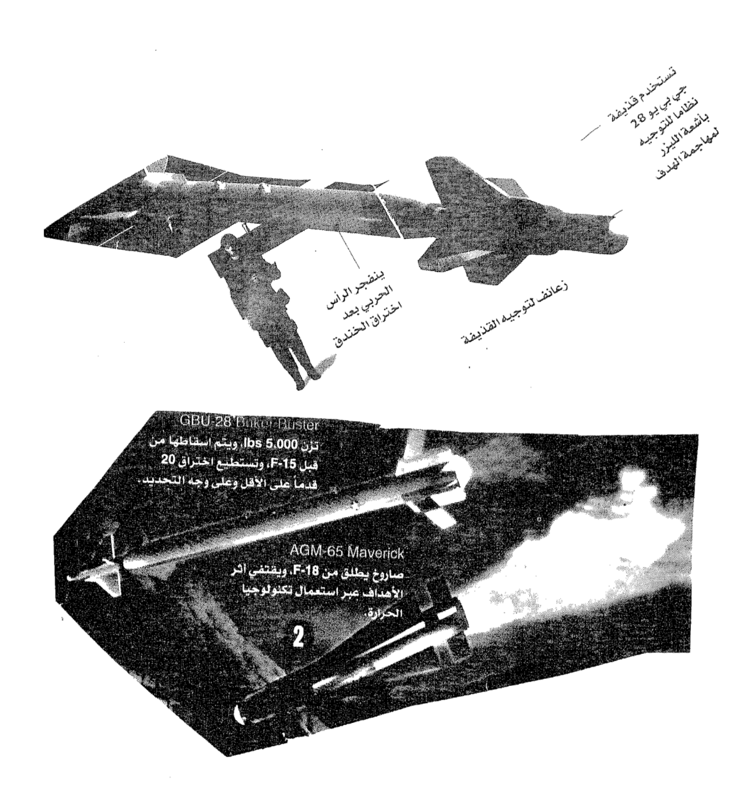
قوات خاصة «القبعات الخضر»
تنفذ أنشطة لمكافحة الارهاب ومهمات تفتيش وتدمير، وتدرب قوات اجنبية - مثل الجيش الكولومبي الذي يحارب تجار المخدرات وتقوم بعمليات استطلاع سرية.
اكتسبت شهرة خلال حرب فيتنام.

«القوة دلتا»: تعرف ايضاً باسم «سي أي جي» (مجموعة تطبيقات القتال). تتخصص في انقاذ الرهائن والمهمات البالغة الخطورة. تتألف «دلتا» من ثلاث سرايا عملياتية وسرية إسناد وسرية اتصالات وفصيلة طيران، وما يسمى بـ «الفصيلة العجيبة» التي تضم مجندات.
وساهمت هذه القوة في «عاصفة الصحراء» وعملية «القضية العادلة» في الصومال.

البحرية - فرقة «سيل»:
الاسم يعني فرق «البحر والجو والبر». ويشتهر افرادها البالغ عددهم ٢٢٠٠ ببراعتهم في اعمال التد[illegible] والاستطلاع تحت الماء والعمليات الحربية غ[illegible] التقليدية.
شاركت فرق «سيل» في عمليات قتالية واسع[illegible] في غابات فيتنام حيث نفذت كمائن وعمليات انقاذ أسرى في عمق اراضي العدو.



طائرة حربية من طراز سبكتر «أي سي -١٣٠ إتش»
«الغراب الاسود»
جهاز التقاط لاسلكي
جهاز لتحديد
الهدف بالليزر
جهاز رادار
من طراز «بيكون»
مصباح كشاف
مدفع «فولكان»
مزدوج عيار ٢٠ ملم
مدافع صغيرة عيار
٧,٦٢ ملم
(٣٠٠٠ طلقة / دقيقة)
مدمع بوفورز ٤٠مم
طلقة / دقيقة)
هاوتزر عيار
١٠٥ ملم
طائرات النقل
«بلاك هوك»
سيكورسكي «ام - اتش - ٦٠ ك»
السرعة القصوى: ٢٤٠ كلم/س
المدى: ١٣٩٧ كلم
الأسلحة: رشاش ٠,٥٠ انش، وصواريخ «ستينغر»
«باف لو ٣»
سيكورسكي «أم - اتش - ٥٣ ج»
السرعة القصوى: ٦٦ كلم/س
المدى: ١١١٠ كلم
الأسلحة: رشاشات آلية من عيار ٠,٥٠ انش و٧,٦٢ ملم
«اباتشي» «بوينغ» «اي - اتش - ٦٤ دي»
السرعة القصوى: ٢٧٢ كلم/س
المدى: ٤٠٠ كلم
الأسلحة: صواريخ مضادة للدروع وللرادارات وصواريخ حرارية، ورشاشات من عيار ٣٣ملم، وصواريخ ٧٠ ملم
«سبيكتر» لوكهيد / بوينغ اي - سي - ١٣٠ اتش
السرعة القصوى: ٤٨٠ كلم/س
المدى: ٢٤٠٠ كلم
الأسلحة: رشاشات ٤٠ و١٠٦ ملم
صاروخ موجه بواسطة الليزر
اف-١٥
الطول: ٢,٥ م
القطر: ٣٧ سم
وزن المتفجرات: ٢٥٢ كلغ
الوزن الاجمالي: ٨٨٩ كلغ
١
٢
٣
رأس حربي يخترق الارض والصخور
الانفجار الاول يولد غيمة حارقة
الانفجار الثاني يشعل الغيمة فيفرغ المغارة من الهواء


تستخدم قذيفة
جي بي يو 28
نظاما للتوجيه
باشعة الليزر
لمهاجمة الهدف
ينفجر الرأس
الحربي بعد
اختراق الخندق
زعانف لتوجيه القذيفة
GBU-28 Bunker Buster
تزن 5,000 lbs، ويتم اسقاطها من
قبل F-15، وتستطيع اختراق 20
قدماً على الأقل وعلى وجه التحديد.
AGM-65 Maverick
صاروخ يطلق من F-18، ويقتفي أثر
الأهداف عبر استعمال تكنولوجيا
الحرارة.
2

شدد واضعو الخطط العسكرية الأمريكية على أن نظريتهم في السيطرة الاستراتيجية وجدت استجابة لكل أشكال النزاعات، ويجري تطبيقها حسب طبيعة الخصم وعدده وقوته الصناعية وبنيته التحتية وحجم مدنه ونظامه السياسي، وما المطلوب القيام به لقلبه أو تحييده. وهذه النظرية تترك المجال واسعاً أمام التجريبية في تطبيقها. وذلك يعني أن الخبراء الأمريكيين (سواء في الإدارة أم في مؤسسات البحوث المتعاقدة مع هذه الإدارة) قد درسوا بدقة تنفيذها خلال حروب الخليج والبوسنة ومن بعدها كوسوفو.

أما في حرب أفغانستان، فقد تم تطبيق النظرية نفسها، لكن من خلال ملاءمتها مع طبيعة الأرض وطبيعة القوى المتواجهة. ففي المرحلة الأولى، وطالما الأولوية كانت معطاة لتشكيل سلطة سياسية بديلة عن 'طالبان'، كانت الضربات العسكرية موجهة إلى قدرات العدو العسكرية من مطارات ودبابات وتجمعات للمعدات ومخازن ذخيرة، مع استخدام إضافي للصواريخ بعيدة المدى التي تُطلق بدقة كبيرة من البوارج البحرية ومن الطائرات في مرحلة ثانية. وبعدما أصبح الهدف احتلال الأرض على يد تحالف الشمال ومن ثم بواسطة الميليشيات البشتونية المجندة محلياً، تم اللجوء إلى عمليات القصف المكثف. وقد سمح ما يُسمى عسكرياً بـ'فرش' القنابل للقوات البرية المدعومة من الولايات المتحدة أو المجندة من طرفها بالتقدم على الأرض بمساعدة وحدات أمريكية خاصة، من دون اضطرارها إلى خوض مواجهات عسكرية كبيرة. وقد دخلت تلك القوات مزار الشريف فكابول من دون معارك، لكن ذلك لم يمنع من وقوع مجازر حقيقية في قندهار التي لجأت إليها 'طالبان'، بعد تشتتها. وكان قد أعتمد تدمير المدينة كاملة ولم يُعلن قط عدد ضحايا القصف.

الثلاثاء 11 / 9 / 2001

سلسلة هجمات بالطائرات المدنية على واشنطن ونيويورك، شملت البنتاغون ومركز التجارة العالمي. آلاف القتلى والجرحى...والذعر يسيطر على الحكومة والشعب.

إخلاء البيت الأبيض والكونغرس والمنشآت الاستراتيجية وتلال من الأنقاض تملأ الشوارع.

إختباء الرئيس الأمريكي ونائبه في مقرات مجهولة.

بعض المسؤولين الأمريكيين يتهمون أسامة بن لادن بمسؤوليته عن الهجمات الإرهابية.

طائرتان أمريكيتان تصطدمان بفارق دقائق ببرجي مركز التجارة العالمي في نيويورك، ما أدى إلى انهيارهما.

طائرتان من الطائرات الانتحارية تتحطمان، واحدة في بنسلفانيا والثانية لدى اصطدامها بالبنتاغون في واشنطن.

الخميس 13 / 9 / 2001

جهود كبيرة لانقاذ ضحايا هجمات 'الثلاثاء الأسود'. شلل تام وتدابير أمنية غير مسبوقة وحظر تجول غير معلن في المدن الأمريكية.

الجمعة 14 / 9 /2001

التحقيقات في الكارثة تشمل 50 من المشتبه بهم، ومداهمة أماكن إقامة البعض منهم.

السبت 15 / 9 / 2001

بوش: حرب الإرهاب بدأها آخرون..وأمريكا هي التي ستحدد نهايتها.

تعلن سلطات التحقيق الأمريكية أسماء 19 مشتبهاً بخطف الطائرات.

يتبنى مجلس النواب الأمريكي قراراً يخول الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش استخدام القوة ضد المسؤولين عن الاعتداءات التي ارتكبت ضد الولايات المتحدة.

الاثنين 17 / 9 /2001

تدريبات أمريكية في إندونيسيا على الإنزال البحري والسماح باستخدام قواعد أمريكية.

إغلاق الحدود الإيرانية مع أفغانستان ونزوح عشرات الآلاف من أفغانستان إلى باكستان.

صحيفة بريطانية: السودان واليمن ولبنان والعراق ..أهداف محتملة لضربات أمريكية.

الثلاثاء 18 / 9 / 2001

الرئيس مبارك لوكالة 'يونايتد برس': إحساس الناس بالظلم هو الدافع وراء كراهية أمريكا. إن منظمة ابن لادن من صناعة أمريكية وتجارة الأفيون سبب ثرواتها.

بوش يحذر من انتقام المارد العملاق، ورومسفيلد يهدد باستخدام الأسلحة النووية.

الأربعاء 19 / 9 / 2001

مجلس الأمن الدولي يطلب من حركة طالبان تسليم ابن لادن 'على الفور ومن دون شروط'.

القائد الأعلى لحركة طالبان الملاّ محمد عمر يرفض هذا الطلب.

الخميس 20 / 9 / 2001

بوش يوقع قرار الحرب، والأساطيل والطائرات الأمريكية تتجه إلى الشرق والخليج.

قوات خاصة لقتل أو اختطاف ابن لادن.

الجمعة 21 / 9 / 2001

طالبان تتراجع عن حماية ابن لادن، ومجلس العلماء يُطالبه بالرحيل..وأنباء عن هروبه إلى أندونيسيا.

أوامر للقوات الأمريكية بالإنتشار استعداداً للحرب.

السبت 22 / 9/ 2001

مظاهرات في عواصم العالم..وتحركات عسكرية أمريكية.

يُعلن بوش في خطاب أمام الكونغرس الأمريكي: لا بد من الحل العسكري، ويمتدح الإسلام ويُشيد بسلوك مسلمي أمريكا، ويحذر حكومات العالم، قائلاً: إما مع أمريكا..أو مع الإرهاب.

دولة الإمارات العربية المتحدة تُغلق سفارة 'طالبان' في أبو ظبي وتطلب من الموظفين فيها مغادرة البلاد خلال 24 ساعة.

الأحد 23 / 9 / 2001

الولايات المتحدة تواصل حشودها العسكرية.

باول: واشنطن تمتلك الأدلة الكافية على تورط ابن لادن.

طالبان: موقف بوش لا يترك خيار سوى الحرب وإعلان الجهاد.

الإثنين 24 / 9 / 2001

طالبان تعلن اختفاء ابن لادن!

استمرار الحشود العسكرية الأمريكية..واشتباك بين طالبان ووحدة استطلاع بريطانية.

الأربعاء 25 /9/ 2001

اتفاق مبارك وشرودر وبيرلسكوني على أهمية التكاتف الدولي لمواجهة الإرهاب.

الرئيس مبارك: أحذر من ظهور جيل جديد من الإرهابيين إذا لم تحل قضية الشرق الأوسط.

المستشار الألماني: لا مصلحة لأحد من تحويل مواجهة الإرهاب إلى مجابهة بين الإسلام والحضارات الأخرى.

السعودية تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع أفغانستان.

الأحد 30 / 9 / 2001

إسقاط مساعدات غذائية أمريكية لأفغانستان قبل الهجوم.

التحقيقات الأمريكية تشمل 480 معتقلاً بينهم 36 سعودياً.



امرأة [illegible] الطعام فقط

الثلاثاء 2 / 10 /2001

بوش: تقدم على جميع الجبهات في المعركة ضد الإرهاب.

الرئيس الباكستاني: أيام طالبان أصبحت معدودة!

عملية انتحارية ضد برلمان ولاية كشمير توقع 29 قتيلاً على الأقل وتوقع عدداً كبيراً من الجرحى، تتبناها مجموعة 'جيش محمد' الإسلامية المتطرفة التي تتخذ من باكستان مقراً لها.

الأربعاء 3 /10 /2001

في تطور مفاجئ خلال لقائه بزعماء الكونغرس بوش يعلن تأييده لقيام دولة فلسطينية.

الرئيس الأمريكي: الدولة الفلسطينية جزء من رؤيتنا للشرق الأوسط.

30 ألف جندي أمريكي وحاملتا طائرات ومجموعة برمائية و350 طائرة تنتشر في جنوب غرب آسيا.

الخميس 10/4 /2001

أمريكا تواصل حشد قواتها وتمنع الحوار مع طالبان.

واشنطن تطلب من دول الناتو فتح اجوائها وحماية المنشآت الأمريكية.

وزير الدفاع الأمريكي يزور السعودية وعمان ومصر وأوزبكستان.

الجمعة 5 /10 /2001

الرئيس مبارك في لقائه برجال القوات المسلحة في معسكر الجلاء بالإسماعيلية: جيش مصر للدفاع عن أراضيها فقط.

السبت 6 / 10 / 2001

الولايات المتحدة وبريطانيا تعززان التحالف ضد الإرهاب استعداداً للحرب.

الاحد 7 / 10 /2001

بوش يحذر طالبان من نفاذ الوقت. وباكستان أنهت جهود الوساطة.

مشروع قانون أمريكي لتقديم 200 مليون دولار كمساعدات للمعارضة الأفغانية.

أسامة بن لادن يتوعد الولايات المتحدة 'بأنها لن تنعم بالأمن بعد الآن أبداً'، في رسالة على شريط فيديو بثتها قناة 'الجزيرة' الفضائية القطرية.

الإثنين 8 / 10 / 2001

موجات متتالية من الغارات الأمريكية والبريطانية المدمرة على قواعد ابن لادن وطالبان في أفغانستان.

15 قاذفة ثقيلة و25 مقاتلة و50 صاروخ كروز تشارك في موجة الهجوم الأولى.

بوش: الحرب ليست ضد الإسلام والمسلمين.

رامسفيلد: هدفنا السيطرة على المجال الجوي الأفغاني.

تدمير مقر قيادة الملا عمر وانفجارات هائلة غربي أفغانستان.

طالبان: الغارات الأمريكية لم تحدث أضراراً جسيمة.

الثلاثاء 9 / 10 / 2001

بوش يعلن أن الحرب ستطول وتمتد لأهداف أخرى وسط استعداد لشن الهجوم البري.

نتائج اليوم الأول: إصابة 31 هدفاً، تشمل معسكرات تدريب وقواعد جوية ومحطات للرادار.

واشنطن تبلغ مجلس الأمن أنها قد تضطر إلى ضرب دول ومنظمات أخرى.

مكتب التحقيقات الفدرالي يحقق بحالة ثانية من حالات الإصابة بمرض الجمرة الخبيثة.

الأربعاء 10 / 10 /2001

القنابل والصواريخ تتساقط على المدن الأفغانية ليلاً ونهاراً.

البنتاغون يستعد لإرسال قوات برية ضخمة إلى الشرق الأوسط وآسيا الوسطى.

الخميس 11 /10/ 2001

الطائرات الأمريكية تدك مواقع طالبان والقاعدة في أعنف قصف على أفغانستان منذ بداية العمليات العسكرية.

الاستعداد لاستخدام الهليكوبترات الهجومية لاصطياد ابن لادن.

باول يؤكد أن أمريكا سترد بقوة على تحدي القاعدة المخيف والبيت الأبيض يصدر لائحة بأخطر 22 إرهابيا مطلوب القبض عليهم.

الجمعة 12 / 10 / 2001

الطائرات الأمريكية تقصف مواقع طالبان والقاعدة بقنابل موجهة بالليزر تزن 5 آلاف رطل.

السبت 13/ 10 / 2001

بوش يؤكد وجوب قيام دولة فلسطينية تعترف بحق فلسطين في الوجود وسالمة داخل حدودها.

انفجارات عنيفة تهز كابول وقندهار في اليوم السادس للعمليات العسكرية.

بوش يؤكد إعادة النظر في الحملة إذا سلمت طالبان ابن لادن.

الرئيس الأمريكي: أقول للعرب إننا لا نحارب الإسلام بل نحارب الشيطان.

الأحد 14 / 10 / 2001

المقاتلات الامريكية تدك قواعد«طالبان» وابن لادن بقنابل جديدة مضادة للدبابات والأفراد.

بوش: أهداف المرحلة الأولى تحققت.. والطيران الأمريكي يسيطر على أجواء أفغانستان.

واشنطن تعترف بسقوط قذيفة بالخطأ على منطقة سكنية.

طالبان ترفض تسليم ابن لادن و«القاعدة» تجدد تهديداتها لواشنطن.

الثلاثاء 16 / 10 / 2001

60 قاذفة ومقاتلة أمريكية تشن أعنف هجمات نهارية ضد مواقع طالبان وقواعد ابن لادن.

رامسفيلد: هاجمنا 24 منطقة خلال يومين بينها معسكرات إرهابية ومطارات ومواقع تخزين الأسلحة.

رعب الجمرة الخبيثة يجتاح أمريكيا واوروبا وأسترالية.

الأربعاء 17 / 10 / 2001

المقاتلات الأمريكية فائقة النيران تبدأ تدمير لواء الأفغان العرب.

13 طلعة جوية على مقر قيادة طالبان وسقوط عشرات القتلى.

مشرف يحدد دعمه للحملة العسكرية ويتفق مع باول على ضرورة مشاركة طالبان والمعارضة في الحكومة المقبلة.

اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي السابق رحبعام زائيفي في عملية تبنتها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

الخميس 18 / 10 / 2001

غارات جوية مكثفة على كابول وقندهار والقصف استهدف التحصينات الأمامية.

قوات خاصة على حاملة طائرات مستعدة للتدخل في أفغانستان.

الجمعة 19 / 10 / 2001

إغلاق مجلس النواب الأمريكي خمسة أيام بسبب الجمرة الخبيثة.

السبت 20 / 10 / 2001

طلائع القوات الأمريكية الخاصة، دخلت أفغانستان استعدادا للهجوم البري.

بوش يرفض أي هدنة والقصف الجوي يجبر مقاتلي القاعدة على الخروج من المخابىء.

رامسفيلد: الحملة تركز على تنظيف الأرض من الإرهابيين.

الأحد 21 / 10 / 2001

انزال كومندوس أمريكي في جنوب أفغانستان، في أول عمل ميداني تعلن عنه القيادة الميدانية الأمريكية منذ بدء العمليات العسكرية في 7 تشرين الأول/اوكتوبر.

الإثنين 22 / 10 / 2001

الهلع يدفع أمريكا إلى حافة الجنون، ووحدات مكافحة الإرهاب البيولوجي تفتش مبنى الكونجرس.

الثلاثاء 23 / 10 / 2001

روسيا والمعارضة الشمالية تتفقان على خطة عسكرية للإطاحة بطالبان.

تزايد القلق بين حلفاء أمريكا بسبب الضحايا المدنيين من الأفغان.

الأربعاء 24 / 10 / 2001

قادة التحالف الشمالي في افغانستان يتهمون أمريكا بالتقاعس.

تفاقم مأساة اللاجئين الأفغان الفارين من القصف.

الخميس 25 / 10 / 2001

تصعيد الغارات الأمريكية على أفغانستان ومصرع 52 وإصابة 20 من بدو قندهار في هجوم بالطائرات.

الجمعة 26 / 10 / 2001

السلطات الأمريكية توقف 952 شخصاً يشتبه بتورطهم بأنشطة إرهابية منذ اعتداءات 11 أيلول/سبتمبر.

السبت 27 / 10 / 2001

طالبان تعلن إعدام المعارض البارز عبد الحق وتحاصر 50 من أنصاره.

الجمرة الخبيثة تصل إلى المخابرات المركزية والمحكمة العليا.

الأحد 28 / 10 / 2001

الولايات المتحدة تستعد لاستخدام القوات البرية في الحملة العسكرية ضد طالبان.

أكثر من عشرة آلاف باكستاني يتوجهون إلى أفغانستان للقتال ضد القوات الامريكية.

الاثنين 29 / 10 / 2001

الطائرات الأمريكية تدك مواقع طالبان والقنابل الطائشة تقتل 25 مدنيا.

واشنطن تؤكد استخدام كل الأسلحة بما فيها القنابل العنقودية.

الثلاثاء 30 / 10 / 2001

الطائرات الأمريكية تقصف أنفاق ومخابىء ابن لادن بالقرب من الحدود الباكستانية.

الخميس 1 / 11 / 2001

حشد ألف مقاتل لمهاجمة كابول... وطالبان تعلن مقتل 1500 أفغاني منذ بداية الحملة .

قيود مشددة على تحليق الطائرات قرب المنشآت النووية الأمريكية.

الطائرات الأمريكية تكثف غاراتها على مدينة قندهار.

الجمعة 2 / 11 / 2001

استراتيجية أمريكية لتمكين المعارضة الأفغانية من اختراق صفوف طالبان.

بوش: أمريكيا تمر بفترة غير عادية من تاريخها.

الطائرات (ب_ 52) تدك مواقع طالبان الأمامية (عشوائيا) بالقنابل الثقيلة.

قندهار تغرق في ظلام دامس... وطالبان تعلن إسقاط طائرة امريكية.

السبت 3 / 11 / 2001

تهديدات بنسف الجسور في كاليفورنيا ونيويورك.

واشنطن تعترف بنجاح طالبان في إحباط محاولات لإنزال قوات برية أمريكية.

الأحد 4 / 11 / 2001

طالبان تعلن مصرع 50 جنديا أمريكيا في تحطيم طائرتي هليكوبتر.

الملاّ عمر يتعهد بمواصلة الجهاد في رمضان والمعارضة تؤكد الاستيلاء على إقليم مهم.

القاذفات الأمريكية تقصف مواقع طالبان ليل نهار وسط أنباء عن مصرع 50 أمريكيا.

لندن وواشنطن تعلنان تجميد أصول 25 منظمة 'إرهابية' بينها الجيش الجمهوري الايرلندي - الحقيقي ومنظمة 'ايتا' الباسكية والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

الاثنين 5 / 11 / 2001

الطائرات الأمريكية تشن موجات متلاحقة ضد معاقل طالبان وتسقط 100 قذيفة على مواقعها.

الثلاثاء 6 / 11 / 2001

قصف أمريكي مكثف بالقاذفات الثقيلة لمدن كابول وقندهار وهيرات.

واشنطن تدفع بقوات خاصة إضافية إلى أفغانستان وتؤكد استمرار الحملة في الشتاء.

البنتاجون: خسائر طالبان فادحة.. والمعارضة جاهزة لهجوم كاسح.

طالبان: اعتقلنا أمريكيين ولدينا ما يكفي للقتال 20 سنة.

مصرع 24 مدنياً وإصابة العشرات في الغارات على آفغانستان.

الأربعاء 7 / 11 / 2001

الطيران الأمريكي يقصف مواقع طالبان المتقدمة بقنابل زنة 7 أطنان.

الخميس 8 / 11 / 2001

المعارضة الأفغانية تستولي على مناطق جديدة وتزحف باتجاه مزار شريف.

تقارير عن استخدام أقوى قنبلة أمريكية غير نووية ضد طالبان.

الجمعة 9 / 11 / 2001

قصف متواصل على كابول و27 غارة آمريكية على هيرات في اليوم الثاني.

الضربات تستهدف توفير غطاء لتقدم المعارضة الأفغانية جنوب «مزار شريف».

السبت 10 / 11 / 2001

المعارضة الأفغانية تعلن استيلاءها على مزار شريف بعد معارك مع طالبان.

الطائرات الأمريكية تكثف غاراتها على مواقع الحركة شمال كابول.

الأحد 11 / 11 / 2001

القاذفات الأمريكية تدك خنادق طالبان الأمامية وقاذفات (ب 52) تسقط قنابل عنقودية.

«ابن لادن» يهدد باستخدام الأسلحة الكيماوية أو النووية ضد الولايات المتحدة.

«الظواهري» ينفي نجاح الغارات الأمريكية في تدمير قوات القاعدة وطالبان.

الاثنين 12 / 11 / 2001

تحالف الشمال يكسح سبعة أقاليم في شمال أفغانستان وانهيار لمقاومة طالبان.

لندن تؤكد انتشار عسكريين بريطانيين شمال آفغانستان وخلاف مع واشنطن على اقتحام كابول.

«ابن لادن» يعترف بارتكاب هجمات 11 آيلول/ سبتمبر ويتعهد بتحقيق «توازن الرعب» مع أمريكا وبريطانيا.

وزارة الدفاع الأمريكية تعترف بمصرع 128 مدنيا في القصف بطريق الخطأ.

الثلاثاء 13 / 11 / 2001

مصرع 255 شخص في تحطم طائرة إيرباص فوق حي سكني في نيويورك واستبعاد وجود عمل إرهابي.

قوات التحالف الشمالي توقف زحفها نحو كابول بانتظار أوامر جديدة.
المعارضة تستهدف قندهار بعد استيلائها على قندوز وهيرات وقرة باغ.
الأربعاء 14 / 11 / 2001
قوات التحالف الشمالي تدخل العاصمة الأفغانية كابول دون قتال.
مقاتلو طالبان ينسحبون من المدينة تحت جنح الظلام.
الملا عمر يدعو قواته للمقاومة وطالبان تؤكد سلامة بن لادن.
رامستفيلد يعلن استمرار الحملة ضد الإرهاب، وقوات أمريكية خاصة تنتشر قرب كابول.
باول يدعو لإرسال قوات من الدول الإسلامية ومخاوف من حرب العصابات.
الخميس 15 / 11 / 2001
فوضى في قندهار وقوات الحركة تنهار أمام ثورة «البشتون» والقصف الأمريكي.
طالبان تجدد رفضها تسليم بن لادن وتعلن استمرار القتال في طخار.
وحدات أمريكية خاصة تقيم «مراكز مراقبة» داخل أفغانستان.
الأمم المتحدة تضغط للإسراع ببدء التشاور بين الفصائل الأفغانية لشكيل حكومة موسعة.
مشروع قرار بريطاني . فرنسي في مجلس الأمن بتشكيل إدارة تمثل مختلف الأعراق الأفغانية.
الجمعة 16 / 11 / 2001
الفوضى تسود أفغانستان والمعارضة تسيطر على 60 ٪ من البلاد.
التحالف الشمالي يشكل مجلساً عسكرياً لحكم كابول مؤقتا.
الملاّ عمر يهدد بتدمير أمريكيا وابن لادن يفضل الموت على الاستسلام.
المعارضة تعلن قتل وأسر آلاف المقاتلين من العرب والباكستانيين خلال المعارك.
السبت 17 / 11 / 2001
اعتقال 8 من زعماء الحركة وتنظيم «القاعدة» وأنباء عن مقتل «أبو حفص المصري».
30 ألف مسلح من طالبان بينهم آلاف من العرب محاصرون في قندوز.
أول مظاهرة للمرأة الأفغانية في كابول بعد سقوط المدينة. المتظاهرات يخلعن غطاء الوجه ويندّدن بحكم طالبان.
الأحد 18 / 11 / 2001
«طالبان» تنفي انسحابها من قندهار وتقرر القتال حتى الموت.
«رباني» يعود إلى كابول ويتعهد بعدم استئثار تحالف الشمال بالسلطة.
قوات المعارضة تواصل التقدم شمالاً باتجاه قندهار.

الاثنين 19 / 11 / 2001

استمرار القصف الأمريكي المكثف لقندهار.

البحث عن ابن لادن يجري في منطقة مساحتها 78 كيلو متراً مربعاً شرق أفغانستان.

حراس ابن لادن أعدموا 150 مقاتل من طالبان لمنع استسلامهم للشماليين في قندوز.

30 ألف مقاتل من التحالف الشمالي يحاصرون قندوز والطائرات الامريكية تدك مواقع طالبان حولها.

«طالبان» تعترف بمقتل «محمد عاطف» في قصف أمريكي لكابول.

الثلاثاء 20 / 11 / 2001

غارات عنيفة ضد مواقع طالبان والأفغان العرب.

كوندوليزا رايس تستبعد مشاركة «طالبان» في حكومة موسعة.

الأربعاء 21 / 11 / 2001

بوش: القوات الأمريكية لن تغادر أفغانستان حتى تقدم زعماء القاعدة للعدالة.

منشورات ورسائل إذاعية أمريكية بتقديم جوائز مالية للحصول على معلومات عن مخابىء زعماء القاعدة.

الخميس 22 / 11 / 2001

نواب أمريكيون يقترحون استخدام سلاح نووي خفيف في أفغانستان.

الأمم المتحدة تدعو لمشاركة المرأة في مؤتمر بون باعتبارها شريكاً في القرار السياسي.

الجمعة 23 / 11 / 2001

قوات التحالف الشمالي تشن هجوماً على خان آباد وتستعد لدخول قندوز.

رامسفيلد يؤكد مطاردة تنظيم القاعدة في 59 دولة .

الأسطول الأمريكي يسد على ابن لادن منافذ الهروب من البحر.

السبت 22 / 11 / 2001

75 مقاتلة أمريكية تدك مواقع طالبان ، ومصرع وإصابة العشرات في قصف قندوز.

رامسفيلد: ليس أمام قوات القاعدة وطالبان سوى القتل والأسر.

الأحد 25 / 11 / 2001

فرار جماعي لقوات طالبان من قندوز.

استسلام 1700 طالباني و600 من المقاتلين الأجانب.

تحالف الشمال: الرئيس الأفغاني «الشرعي» يحظى بدعم روسيا وإيران للبقاء في الرئاسة.

البحرية الامريكية تبحث عن «ابن لادن» في البحار.

الاثنين 26 / 11 / 2001

سقوط مدينة قندوز آخر معاقل حركة طالبان في شمال أفغانستان.

الجنرال الأوزبكي عبد الرشيد دوستم يتعهد بعدم دخول المدينة ويتركها لقائد شمالي آخر.

قتال عنيف بين الأسرى الأجانب وحراسهم من تحالف الشمال في مزار شريف.

الثلاثاء 27 / 11 / 2001

انزال 1000 جندي أمريكي في قندهار والبنتاغون يعترف بإصابة عسكريين.

استسلام خمسة آلاف من مقاتلي طالبان و750 مقاتلاً أجنبياً.

الفصائل الأفغانية تبحث في بون إمكان تشكيل حكومة انتقالية لمرحلة ما بعد طالبان.

الأربعاء 28 / 11 / 2001

القوات الأمريكية تحتشد في جنوب أفغانستان استعداداً لمهاجمة قندهار.

اقتحام سجن قرب مزار شريف لإنهاء تمرد مسلح لأسرى طالبان وأنصارهم.

القوات الخاصة تدمر طابوراً مدرعاً لطالبان وتستولي على مطار تمهيداً لإقامة قاعدة متقدمة للعمليات.

بوش يؤكد ان الحرب ضد الإرهاب تبرر اللجوء إلى المحاكم العسكرية.

الخميس 29 / 11 / 2001

التمرد في قلعة جانجي يسفر عن مصرع 600 أسير والأنباء تتحدث عن مذبحة للأسرى المقيدين.

تحالف الشمال يعلن السيطرة على تمرد الأسرى في قلعة جانجي.

الجمعة 30 / 11 / 2001

رئيس المخابرات العسكرية ووزيران ينشقون عن طالبان.

واشنطن تؤكد قيام التحالف الشمالي بأسر عشرة من قادة تنظيم القاعدة.

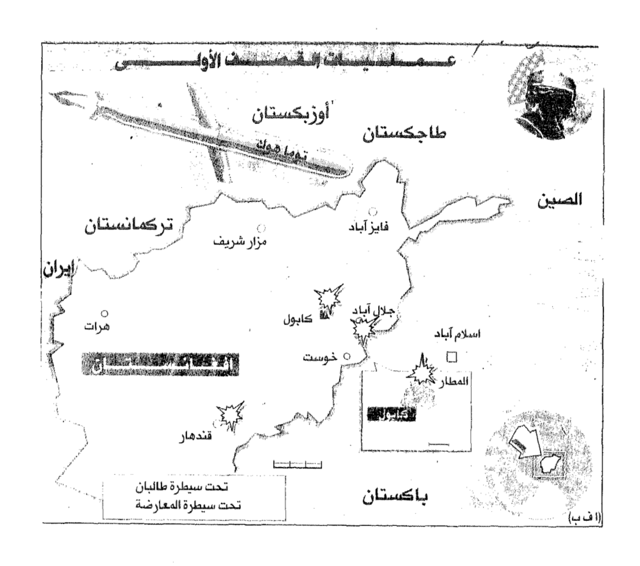
أربع قواعد أمريكية عسكرية جديدة في أفغانستان.

أفغانستان
ما بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر



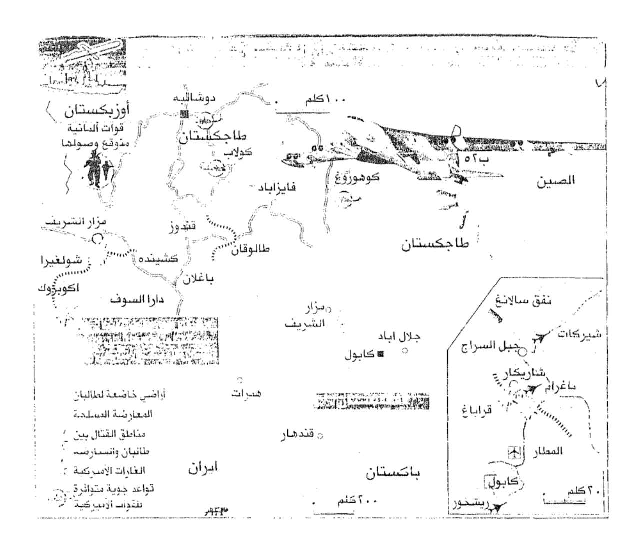


رقعة الشطرنج السياسية لأفغانستان
الزعيم:
الملا محمد عمر
المؤيدون:
الباشتون الجنوبيون
الجبهة الإسلامية المتحدة
لإنقاذ أفغانستان (التحالف الشمالي)
حكومة برهان الدين الرباني
هي الوحيدة المعترف بها
من قبل الأمم المتحدة
حزب الوحدة
الزعيم: كريم خليلي
المؤيدون: المزارة الشيعة
(وسط أفغانستان)
الجمعية الإسلامية
الزعيم السابق:
أحمد شاه مسعود
القادة: الجنرال عبد
قاسم فهيم وعبد الله
عبد الله ويونس قانوني
المؤيدون: الطاجيك
الجبهة الوطنية الإسلامية
الزعيم: عبد الرشيد دوستم
(وزير في النظام
الشيوعي السابق)
المؤيدون:
الناطقون بالتركية
(شمال أفغانستان)
الحركة الإسلامية
الزعيم: محمد محقق
تنافس حزب الوحدة
اسماعيل خان
الزعيم: اسماعيل خان
(مؤيد سابق لمسعود،
ومدعوم من ايران)
المؤيدون: الناطقون
بالفارسية في
منطقة هراة الغربية
الزعماء: حميد كارزاي (جنوب)
وصبحي محمد زمان (شرق)
المؤيدون: الباشتون
AFP


عمليات القصف الأولى
أوزبكستان
طاجكستان
توما هوك
الصين
تركمانستان
فايز آباد
مزار شريف
إيران
جلال آباد
كابول
هرات
اسلام آباد
خوست
المطار
قندهار
تحت سيطرة طالبان
تحت سيطرة المعارضة
باكستان
(ا ف ب)



ضرب كهوف وأنفاق منظمة القاعدة
اوزبكستان
تاجيكستان
الصين
اسقاط ذخائر
بالمظلات للمعارضة
تركمانستان
مزار
الشريف
فايز اباد
قائد القيادة المركزية
الاميركية يجري مباحثات
في باكستان
حوالي 10 أميركيين
في وادي دارا صوف
جلال اباد
كابل
بيشاور
اسلام اباد
غازني
هيرات
افغانستان
مقاومة مسلحة
مناطق طالبان
هجمات اميركية
قندهار
كويتا
طبقا للبنتاغون الضربات استهدفت
اكز قيادة وسيطرة مخبأة تحت الارض
باكستان
200 كم 0
شبكة كهوف وانفاق
قنوات تصريف



أوزبكستان
قوات ألمانية
متوقع وصولها
دوشانبه
طاجكستان
كولاب
١٠٠ كلم
ب٥٢
كومورزوغ
الصين
فايزاباد
مزار الشريف
قندوز
طالوقان
طاجكستان
شولغيرا
كشينده
باغلان
اكوبزوك
دارا السوف
مزار
الشريف
جلال اباد
كابول
هرات
قندهار
ايران
باكستان
٢٠٠ كلم
أراضي خاضعة لطالبان
المعارضة المسلحة
مناطق القتال بين
طالبان والمعارضة
الغارات الأمريكية
قواعد جوية متوافرة
للقوات الأمريكية
نفق سالانغ
شيركات
جبل السراج
شاريكار
باغرام
قراباغ
المطار
كابول
ريشخور
٢٠ كلم



افغانستان
إتفاق تاريخي في بون
١ اليوم
لجنة خاصة مستقلة تضم ٢١ عضواً
دورها : عقد «لويا جيرغا» (مجلس شورى تقليدي)
إدارة مؤقتة تضم ٢٩ عضواً
دورها : إنشاء إدارة مؤقتة
نشر قوة دولية تشرف عليها الامم المتحدة
المهمة : ضمان الامن في كابول وضواحيها مع امكانية نشرها في مناطق اخرى
٢ ربيع ٢٠٠٢
عقد «لويا جيرغا» طارئ دور رمزي للملك السابق ظاهر شاه : افتتاح الجلسة
المهمة : تشكيل حكومة انتقالية
٣ نهاية ٢٠٠٣ كحد اقصى
لويا جيرغا
المهمة : وضع دستور جديد يفضي الى انتخابات

بعد أن وضح أن النصر بات يحالف القوات العسكرية الأمريكية والقوات الدولية المتحالفة وقوات فصائل الشمال، بدأت الإدارة الأمريكية تحاول السيطرة على البيت السياسي الأفغاني وترتيبه بما يلائم مصالحها في المنطقة وبالشكل الذي يذهب بعيداً في تحقيق أهدافها المتوخاة من أولى حروب القرن التي شنتها. فكانت هنالك مناورات وجولات من المحاورات والمناقشات والسجالات ومن المفاوضات بين أطراف دولية وإقليمية ومحلية، تمخضت أخيراً عن الموافقة على عقد مؤتمر في برلين، باشراف الأمم المتحدة برئاسة الأخضر الإبراهيمي، المبعوث الدولي، وذلك بهدف معلن هو التسوية السياسية للوضع في أفغانستان. وقد اشترك في هذا المؤتمر وفود أفغانية أربعة، مثلت مختلف فصائل قوات الشمال.

هذا وقد أتخذت الوثيقة التي قدمتها الأمم المتحدة بمثابة جدول أعمال للمؤتمر، ولم تعرض الوفود الأفغانية الأربعة المشاركة في هذا المؤتمر أية تعديلات عليها، باستثناء تعديلين في ديباجة الوثيقة بالإشارة إلى الدور الذي لعبه الرئيس الأفغاني المخلوع برهان الدين رباني ودور المجاهدين في محاربة الاحتلال السوفياتي، فإن وثيقة الإبراهيمي التي تعتبر تلخيصاً لمداولات الأيام السابقة بقيت كما كانت في الجوهر.

وتنص الوثيقة على أن «المشاركين في حوارات الأمم المتحدة في شأن أفغانستان يعملون بحزم على وضع حد للصراع المأساوي الدائر في أفغانستان والمباشرة بالوفاق الوطني والسلام الدائم والاستقرار واحترام حقوق الإنسان في البلاد».

وتؤكد الوثيقة على أولوية «الاستقلال والسيادة الوطنية ووحدة الأراضي الأفغانية»، وعلى أن الأمم المتحدة سعت إلى أن تكون غالبية أطياف الشعب الأفغاني «ممثلة عبر الوفود التي شاركت في مؤتمر بون».

وتشير إلى أن ما توصلت إليه الأطراف الأفغانية المجتمعة في بون «ليس إلا الخطوة الأولى» في اتجاه «تأسيس حكومة واسعة التمثيل العرقي والطائفي وتكون معبرة عن كل الشعب الأفغاني»، وتؤكد الطابع المؤقت لهذه الإدارة وأن عمرها مرتبط مع عقد أول اجتماع لـ«لويا جيرغا * الموقت» (مجلس الأعيان) الذي يفترض أن يعقد في غضون الشهور الستة المقبلة.

---

* هو أول مجلس شورى أفغاني. وهو مؤسسة باشتونية نموذجية. وكان الأمير عبد الرحمن (1880 . 1901)، قد وضع أسس أول دولة أفغانية حديثة وعين أول لويل جيرغا أو المجلس الكبير، وكان قد ضم أمراء إلى جانب النخبة الريفية والزعماء الدينيين. وهو في العادة، مجلس ينعقد عندما تكون هنالك مسألة مصيرية بالنسبة للبلاد، يجب اتخاذ موقف بشأنها.

وشددت الوثيقة على امتلاك «الإدارة المؤقتة» صلاحيات الحكم في أفغانستان مباشرة بعد التوقيع، خصوصاً «كل الصلاحيات في تمثيل أفغانستان في كل المحافل الدولية، بما في ذلك مقعد أفغانستان في الأمم المتحدة والوكالات الدولية التابعة لها».

واعترافاً بالدور الموحد الذي يمكن أن يلعبه الملك الأفغاني السابق محمد ظاهر شاه، أقر المجتمعون في بون أن يترأس «الجلسة الأولى للويا جيرغا المؤقت الذي ينبغي أن يعقد في غضون الأشهر الستة الأولى من تاريخ تأسيس الإدارة الموقتة».

وتفترض الوثيقة أنه لمجرد عقد اللويا جيرغا المؤقت، الذي بإمكانه إقرار صيغة الحكومة الانتقالية «التي يفترض فيها أن تشمل أوسع قطاعات الشعب الأفغاني وطوائفه وقيادة أفغانستان إلى حين انتخاب حكومة كاملة التمثيل».

وإلى جانب تأسيس «الإدارة الموقتة» ووضع الأسس الجوهرية للدعوة إلى «اللويا جيرغا الموقت» نصت الوثيقة على تأسيس «اللجنة المستقلة الخاصة التي ستتولى مهمة الدعوة والإعداد لـ 'اللويا جيرغا المؤقت'». وواضح من خلال المهمات الموضوعة على عاتق هذه اللجنة أنها ستكون بمثابة السلطة التشريعية المؤقتة، ويفترض أن تحدد أسماء أعضائها الـ 21 من بين لوائح المرشحين التي ستقدمها الوفود الأربعة المشاركة في مؤتمر بون.

وتشير الوثيقة إلى أن مهمات «اللجنة المستقلة...» تتحدد في الدعوة إلى اللويا جيرغا المؤقت والتي ينبغي أن تشكل خلال شهر واحد من تنصيب الإدارة المؤقتة «وينبغي أن يمتلك أعضاؤها خبرات تشريعية وقانونية وأن يكونوا قد اشتركوا في لويا جيرغا واحدة على الأقل». وتعطي وثيقة الإبراهيمي اللجنة المستقلة «الصلاحية المطلقة والكلمة الأخيرة في تحديد الأسس والآليات في الدعوة لعقد اللويا جيرغا المؤقت وعدد أعضائه».

وتخصص الوثيقة موقعاً خاصاً للأمم المتحدة والممثل الشخصي للأمين العام الخاص في أفغانستان ، إذ تؤكد على أن «الأمم المتحدة باعتبارها منظمة دولية تمتلك دوراً كبيرَ الأهمية في ما يخص الملحق الثاني من هذه الوثيقة»، وهو الملحق الذي يحدد مهمات الرقابة والسهر على تنفيذ ما يتفق عليه في بون، وهو ما يجعل مرجعية «الإدارة الموقتة» مناطة بالمجتمع الدولي والامم المتحدة بالتحديد.

وتشير الوثيقة إلى أن «الممثل الخاص بالأمين العام سيكون مسؤولاً عن كل ما يتعلق بعمل الأمم المتحدة في هذا الصدد» وأنه «سيراقب ويساعد الأطراف على تطبيق مفردات الاتفاق». وأن الأمم المتحدة «ستقدم النصائح والملاحظات الضرورية لتوليد الظروف المناسبة لعقد اللويا جيرغا المؤقت» وأنه في إمكان «الممثل الشخصي واللجنة المستقلة المكلفة بالدعوة لعقد لويا جيرغا مؤقت» وأن «الأمم المتحدة ستمتلك الحق في التحقيق والاستقصاء حول الخروقات ضد حقوق الانسان وتقديم الاقتراحات بشأن ما

يلزم من إجراءات تصحيحية» وأنها أي (الأمم المتحدة) ستكون «مسؤولة عن تنمية وتنفيذ برنامج تربوي خاص بحقوق الإنسان ومن أجل تطوير إمكانات التعايش المسالم واحترام حقوق الإنسان».

إلى ذلك تلخص الوثيقة ما انتهت إليه الحوارات التي جرت بين الأطراف الأفغانية في شأن الملف الأمني ووجود قوات حفظ السلام في أفغانستان. كما أكدت على أن «المشاركين في المؤتمر يعترفون بضرورة إعادة الأمن والاستقرار في البلاد» وأن هذه المهمة «موكلة إلى الأفغان انفسهم» وتشير إلى أن «الأطراف التزمت ضمان هذا الأمن بالوسائل المتاحة لديها وبالاعتماد على الأمم المتحدة وأفراد المؤسسات الحكومية وغير الحكومية المتواجدة في أفغانستان». ولغرض التوصل إلى ذلك فإن «المشاركين في مؤتمر بون يطلبون مساعدة المجتمع الدولي من أجل دعم السلطة الأفغانية الجديدة لتأسيس وتدريب قوات الأمن الأفغانية الجديدة... وإدراكاً من المجتمعين في بون للفترة التي تتطلبها عملية الإعداد الكاملة لقوات الأمن الأفغانية وإيصالها إلى كامل أهليتها فإنهم يتوجهون إلى مجلس الأمن الدولي للموافقة على نشر سريع لقوة تابعة للأمم المتحدة» تكون مهمتها «ضمان الأمن وتطبيق القانون في كابول والمناطق المحيطة بها »، على أن يكون «بإمكانها نشر صلاحياتها على المراكز المدنية والمناطق الأخرى بشكل تدريجي».

وتنص الوثيقة أيضاً على «التزام المجتمعين في بون سحب كل القطعات العسكرية من كابول والمراكز المدنية الأخرى أو في المناطق التي ستنتشر فيها قوات تابعة للأمم المتحدة ، والعمل على نزع سلاح الجماعات المسلحة» وعلى تأسيس «المحكمة العليا الأفغانية»، لكنها تؤكد أن الإدارة الموقتة لا تمتلك صلاحيات إصدار عفو عمن يثبت تورطهم بجرائم حرب وخروقات لحقوق الإنسان.

هذا وقد تلخص ما نضح عن مؤتمر بون بقرارات عليها أن تنفذ حسب أجندة تنتهي بنهاية عام 2003، كحدٍ أقصى:

1.نتيجة لأعمال مؤتمرٍ بون يتم انشاء إدارة مؤقتة تضم 29 عضواً، دورها إنشاء إدارة مؤقتة. كما تُشكل لجنة خاصة مستقلة، تضم 21 عضواً، دورها عقد «لويا جيرغا» وهو عبارة عن مجلس شورى.

2.نشر قوة دولية، تشرف عليها الأمم المتحدة، مهمتها ضمان الأمن في كابول وضواحيها، مع امكانية نشرها في مناطق أخرى.

3.في ربيع 2002، يتم عقد مؤتمر طارئ لمجلس الشورى «لويا جيرغا»، بحيث يكون فيه دور رمزي للملك السابق ظاهر شاه، يتلخص في افتتاح الجلسة. وتنحصر مهمة هذا المؤتمر في تشكيل حكومة انتقالية.

4.في نهاية عام 2003، كحدٍ أقصى، يُعقد مؤتمر لمجلس الشورى «لويا جيرغا» تكون مهمته هذه المرة وضع دستورٍ جديد للبلاد.

الإدارة الانتقالية

في ما يأتي، لائحة غير مكتملة بأسماء أعضاء الإدارة الانتقالية في أفغانستان، مع الإشارة إلى أن اللائحة لاتسمي هذه الحقائب وزارات بل تعتبرها إدارات.



الحكومة الأفغانية الجديدة في أول اجتماع لها

رئيس الإدارة: حامد قرضاي (بشتوني ـ مستقل وقريب من الملك السابق محمد ظاهر شاه).

نواب الرئيس:

ـ وزيرة شؤون المرأة: سيما سمر والي (بشتونية ـ مجموعة روما).
ـ وزير الدفاع: محمد قاسم فهيم (طاجيكي ـ تحالف الشمال).
ـ وزير التخطيط: حاجي محمد محقق (هزارة ـ تحالف الشمال)
ـ وزير الماء والكهرباء: شاكر كارغار (أوزبكي ـ تحالف الشمال).
ـ وزير المال: هدايت أمين ارسالا (بشتوني ـ مجموعة روما).

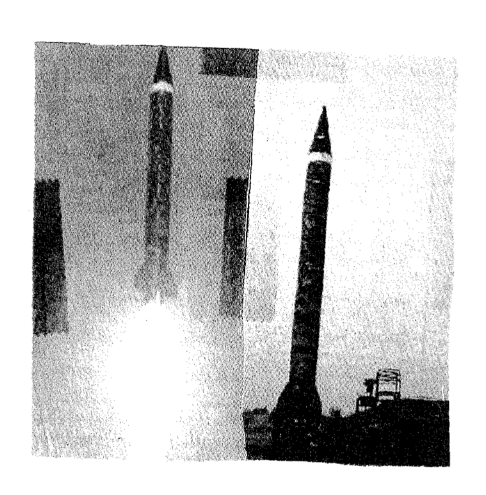
الأعضاء:

ـ وزير الشؤون الخارجية: عبد الله عبد الله (طاجيكي ـ تحالف الشمال).
ـ وزير الشؤون الداخلية: محمد يونس قانوني (طاجيكي ـ تحالف الشمال).
ـ وزير التجارة: سيد مصطفى كاظمي (شيعي ـ تحالف الشمال).
ـ وزير المعادن والصناعة: محمد عليم رازم (اوزبكي ـ تحالف الشمال).
ـ وزير الصناعات الخفيفة: عارف نورزاي (بشتوني ـ تحالف الشمال).
ـ وزير الإعلام والثقافة: راهين مخادوم (بشتوني ـ مجموعة روما).
ـ وزير الاتصالات: المهندس عبد الرحيم (طاجيكي ـ تحالف الشمال).
وزير العمل والشؤون الاجتماعية: مير ويس صادق (طاجيكي ـ تحالف الشمال).
ـ وزير الحج والأوقاف: محمد حنيف يلخي (شيعي ـ مستقل).
ـ وزير الشهداء والمعوقين: عبد وردك (بشتوني ـ تحالف الشمال).
ـ وزير التربية: عبد السلام عزيمي (بشتوني ـ مجموعة روما).
ـ وزير التعليم العالي: شريف فايز (طاجيكي ـ تحالف الشمال).
ـ وزيرة الصحة: سهيلة صديقي (طاجيكية ـ مستقلة).
ـ وزير الأشغال العامة: جمعة محمد محمدي (بشتوني ـ مجموعة روما).
ـ وزير الإصلاح الزراعي: عبد الملك أنور (طاجيكي ـ تحالف الشمال).
ـ وزير التنمية العمرانية: عبد القادر (طاجيكي ـ تحالف الشمال).
ـ وزير الاعمار: محمد أمين فرهانغ (بشتوني ـ مجموعة روما).
ـ وزير المواصلات: سلطان حميد (بشتوني ـ مجموعة روما).
ـ وزير عودة اللاجئين: عناية الله نظري (طاجيكي ـ تحالف الشمال).
ـ وزير الزراعة: سيد حسين أنوري (شيعي ـ تحالف الشمال).
ـ وزير الري: منغل حسين (بشتوني ـ مجموعة روما).
ـ وزير العدل: عبد الرحيم كريمي (أوزبكي ـ تحالف الشمال).
ـ وزير النقل البحري والسياحة: عبد الرحمن (طاجيكي ـ مجموعة روما).
ـ وزير شؤون الحدود: أمان الله دزدران (بشتوني ـ مجموعة روما).

باكستان
والبحث عن الذات

« أليس من المنطقي أن تستدرج قنبلة قنبلة مثلها؟ ولعبة القنبلتين تستدرج في الوقت ذاته قنبلة أكبر لردع هذه وتلك، وربما لترويض اللاعبين، خشية أن يتكاثر عددهم، أو حين يبدأ يتكاثر ويكاد أن يفلت 'الملق'. ولنقل الزمام. فيبلغ مداه الإقليمي الأوسع؟ عندئذ تشرع "الأبواب الإستراتيجية" التي لا قدرة لغير الكبار على دخولها وكذلك إغلاقها».

غسان تويني



في أواخر الأربعينيات من القرن العشرين، ومع اندلاع الحرب الباردة، انفصلت باكستان عن الهند وشكلت دولة مستقلة على أساس قومي إسلامي. جاء هذا الانفصال على أرضية استقلال الهند عن الاستعمار البريطاني، هذان الحدثان الجسيمان لم يأتيا إلا على بحر من الدماء، بعد حركة سياسية مديدة، عرفت في التاريخ باسم 'حركة اللاعنف'. وكان أن تحول اللاعنف ضد بريطانيا إلى عنف لا مثيل له في الزمن المعاصر، في إطار خروج دولة باكستان من رحم الهند.

كان محمد علي جناح مؤسس الدولة الباكستانية الحديثة هو صاحب فكرة الانفصال عن الهند والهندوس، حينما عمل على شق حزب المؤتمر الهندي الذي كان يتزعمه جواهر لال نهرو، وأسس الجناح الإسلامي، وأطلق عليه 'حزب الرابطة' الإسلامي.

وهكذا نهضت باكستان من الصفر، محاولة ترميم بقاياها على جناحي باكستان الشرقية 'بنغلادش' وباكستان الغربية، وقيام أزمة كشمير بينها وبين الهند، التي لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، منذ موت مؤسسها محمد علي جناح بعد سنة من الاستقلال. هذا وقد كانت مشكلة كشمير قد أدت إلى نشوب ثلاثة حروب بين الهند وباكستان: الأولى في عام 1948، وأدت إلى اقتسام كشمير بينهما في عام 1957؛ والثانية في عام 1965، التي أدت إلى سباق في التسليح التقليدي بين البلدين؛ والثالثة في عام 1971، التي انتهت بانفصال باكستان الشرقية عن باكستان، وأطلق عليها إسم بنغلادش ومباشرة سباق في التسليح النووي بين البلدين.

قامت باكستان على مساحة* تقاطعت على أرضها خمس قوميات هي: البنغال، الباتان، البنجاب، البلوش والسند. وبعد انفصال بنغلادش، في مطلع السبعينيات، تقلصت القوميات إلى أربع. كما أنه يمكن القول أن المهاجرين من الهند بعد الانفصال، الذين يُقارب عددهم الثمانية ملايين، هم جماعة سياسية، أصبحت بمثابة أمة، بما تتمتع به من وحدة ديمغرافية متميزة بالعديد من الخصائص والصفات والسمات.

شكل المهاجرون الذين قادوا حركة الاستقلال العماد السياسي والإداري لباكستان، حيث استوطنوا في المدن الكبيرة وسيطروا على المقدرات الاقتصادية والسياسية والإدارية والثقافية لباكستان، الأمر الذي جعلهم على صدام مستمر مع السكان المحليين الريفيين، أو الذين من أصول ريفية. وأصبحت لغة الأوردو التي حملها معهم هؤلاء

* تبلغ مساحة باكستان 796 ألف كيلومتر مربع ويتجاوز عدد سكانها 140 مليون نسمة.

المهاجرون، إضافة إلى الناطقين بها من السكان المحليين، عنصراً في الاستقواء على الجماعات من أصحاب اللغات الأخرى، الأمر الذي جعل الأخيرين ينحون إلى محاولات دائمة من التحضر. وهكذا نرى أن باكستان تعيش في جو من العلاقات السلبية بين المهاجرين والسكان المحليين، أو لنقل أهل الداخل، تضاف إليها تلك العلاقات السلبية بين القوميات التي تتشكل منها الخريطة الديمغرافية الباكستانية.

تقارب النسبة المئوية لقومية البنجاب من عدد السكان في باكستان الـ60٪، تليها السند وتلحقها الباتان وأخيراً البلوش الذين يكادون يتمركزون على المناطق المتاخمة لأفغانستان. يسيطر البنجابيون شمولياً على مختلف أصعدة الحكم في باكستان، فمنهم ما نسبته 80٪ من القوات المسلحة، وحوالي 85٪ من وظائف الدولة المتوسطة والعليا، و80٪ من طبقة رجال الأعمال والرأسماليين. أما الباتان فيحتلون ما نسبته 15٪ من كتلة الضباط في الجيش، في حين أن أهالي الهند وبلوشستان مُغيبون بصورة شبه كلية، ويجاريهم بذلك جميع القوميات غير البنجابية.

وتجدر الاشارة إلى أن استئثار إقليم البنجاب بمقدرات الدولة الباكستانية، دفعت الأقاليم الأخرى إلى تحركات سياسية - قبلية مضادة، وصلت في مراحل زمنية إلى محاولات من الانفصال، أو المطالبة بنظام سياسي فيدرالي. ففي عام 1948 سعت ولاية كالات بقيادة أحمد يار خان لتشكيل دولة مستقلة، فقمعت هذه المحاولة بالقوة العسكرية. وفي العام 1967، ثار إقليم بلوشستان، وانتهت ثورته بعد معارك ضارية. وشهد هذاالاقليم في عام 1973 ثورة مماثلة. كما أن إقليم الباتان كاد يذهب إلى إعلان الثورة في الستينات، بعدما شرعت الحكومة المركزية إلى تقليص سلطات القبائل، ولم تعرف الأوضاع السكون إلا بعد أن تراجعت الحكومة عن مشروعها.

وعلى ما يبدو أن الانقسامات القبلية والقومية، تركت تأثيراتها السلبية على الخريطة الحزبية وقواعدها الشعبية، فحزب الشعب الذي أسسه ذو الفقار علي بوتو ينهض على وجود جماهيري في أقاليم البنجاب والسند بالدرجة الثانية، فيما يستمد حزب عوامي الوطني حضوره الشعبي من المرتكزات القبلية والعشائرية في إقليمي الباتان وبلوشستان. ولا تفترق الحركات الإسلامية عن هذا السياق، حيث [illegible] الجماعة الإسلامية التي لها حضور قوي بين أوساط البرجوازية الصغيرة ور[illegible]ال الدين، أما جماعة علماء الإسلام فثقلها الأساسي بين الفقراء وتحديداً في مناطق الباتان والبلوش، علماً بأن المشروع الإسلامي الوحيد الذي أريد له أن يتشكل على أساس قومي هوحزب الرابطة الإسلامية، الذي صاغه مؤسس الدولة الباكستانية محمد علي جناح، لكن هذا الحزب سرعان ما عرف الاندثار بعد وفاة زعيمه، وذلك في أواخر الأربعينات.

ومن جهة أخرى، عزز التنوع القومي واللغوي والقبلي دور الإسلام السياسي التاريخي في توحيد الدولة الباكستانية وتبرير هويتها الثقافية، حيث يشكل هذا الدين العامل المشترك الذي قد يكون الوحيد بين مختلف الإنتماءات الثقافية في باكستان. ومما يدل على قوة وجبروت العامل الديني في باكستان هو قدرته على جمع باكستان على الرغم من تبعثرها الجلي. فباكستان تكاد تكون دولة مسلمة بالمطلق (97٪ من السكان) ويشكل السنة فيها 74٪ من مجموع الطوائف.

قدم الإسلام لدولة باكستان الحديثة هوية توحيدية. فالفكرة أصلاً بدأت في تجمعات إسلامية سياسية مختلفة، وتبلورت في عقول نخب تحديثية تعلمت في جامعات الغرب ومعاهده ودمجت بين الدين والسياسة في محاولة منها لتبرير مواقعها والدفاع عن نفوذها التقليدي في قارة هندوسية، ساهم الإسلام في صياغة شخصيتها الثقافية على امتداد قرون من الحكم الإسلامي. وهكذا، نستطيع القول أن الهوية الإسلامية لباكستان أصبحت هي الهوية القومية الشاملة والجامعة لمختلف طوائفه وأقوامه وقبائله.

بعد رحيل محمد علي جناح، مؤسس الجمهورية الباكستانية، ورثه في الحكم ياقوت الخان، الذي سرعان ما أُغتيل (1951)، الأمر الذي أدى إلى وقوع حرب أهلية، انتهت بالتوافق على نظام 'ديمقراطي' استمر حتى عام 1958، حين وقع انقلاب عسكري بقيادة محمد أيوب خان. حكم محمد أيوب خان حتى العام 1968، وورثه يحي خان بانقلاب عسكري أيضاً.

وفي عام 1973، عاد النظام الديمقراطي إلى باكستان وانتخب ذو الفقار علي بوتو على أساسه رئيساً للوزراء، واستمر إلى أن أسقط عسكرياً من قبل الجنرال ضياء الحق في عام 1977. وأقدم الأخير على إعدام ذو الفقار على بوتو في عام 1979، العام الذي دخلت فيه القوات السوفيتية إلى أفغانستان.

وفي فترة حكم ضياء الحق، ازدهرت علاقات باكستان مع كل من أمريكا والصين. وفي عام 1984، ذهب ضياء الحق بعيداً، حينما حاول التقرب من الإسلاميين، وذلك باجرائه استفتاء شعبياً على اعتماد الشريعة الإسلامية كمصدر للدستور، الذي فاز بنجاح باهر (97٪)، الأمر الذي أثار حفيظة أمريكا* والهند. وبعد ضياء الحق قدمت بيناظير بوتو، ابنة ذو الفقار علي بوتو، إلى الحكم عبر انتخابات برلمانية ديمقراطية، برضاء أوروبي وبدعم بريطاني. حاولت بيناظير بوتو التقارب مع الهند، إلا أنها اصطدمت بشروط قاسية وبتحريض من أمريكا وإسرائيل للهند لمطالبتها باكستان بالتوقف عن المضي قدماً في مشروعها النووي والاعتراف باسرائيل. ومن جانب آخر

* يُقال أنه لهذا السبب، أقدمت المخابرات المركزية الأمريكية على التخلص من ضياء الحق، حليفها السابق عن طريق حادث طيران غامض أودى بحياته.

وباعتمادها على الدعم الأمريكي، متنت بيناظير بوتو علاقاتها مع الباشتون، في شقيها الباكستاني والأفغاني، فاختارت نصر الله بابر (الباشتوني) وزيراً للداخلية، الذي ساهم اعتماداً على المؤسسة العسكرية، في تأسيس حركة طالبان (1994 ـ 1995) التي نجحت لاحقاً في السيطرة على 90٪ من أفغانستان.

ولقد كان للتوافق التاريخي مع اندلاع الحرب الباردة بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، بعده السياسي المؤثر على باكستان. فالهند المتوافقة مع الاتحاد السوفيتي تتطلب مواجهتها دعماً أمريكياً لباكستان، كما أن أفغانستان المجاورة كانت دائماً على علاقة حسنة مع الاتحاد السوفيتي، منذ عصر الملك ظاهر شاه. في تلك الظروف التاريخية كان يجب على الولايات المتحدة احتضان باكستان لتأمين الحد الأدنى من مصالحها في تلك المنطقة، التي كانت تُعتبر بالنسبة للعم سام في حضن الدب الروسي.

بعد انهيار الإتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الإشتراكي وتغيير موازين القوى في العالم لصالح الرأسمالية، لاسيما الأمريكية منها، وبروز ظاهرة النظام العالمي الجديد، الذي أخذ يتحول بعد اندلاع الحرب في أفغانستان إلى نظام أمريكي عالمي جديد، بعد هذا كله، نعتقد أنه لم تعد هنالك ضرورة من دعم باكستان واحتضانها، وما الدلال الذي لاقته في بدايات أولى حروب القرن هو ليس سوى تعبير براغماتي سياسي مرحلي من الولايات المتحدة بالذات، سرعان ما أخذنا نستشف جفافه التدريجي، مع كل طلعة قصف جوي أمريكية ناجحة في أفغانستان. وفي هذه المرحلة بدأ الغزل مع الهند، التي يعتقد الأمريكيون أنها تمتلك مقومات المواجهة مع الصين، ذلك البلد الذي كان ولا يزال يدك مضاجع المارد الأمريكي، الذي حسب التوقعات الغربية، سيصبح دخله القومي في عام 2030، معادلاً للدخل القومي الأمريكي، ناهيك عن المقومات في الطاقة البشرية التي يتفوق بها على جميع دول العالم.

وهنالك نقطة أخرى لاتقل أهمية عما ذكرناه، تتعلق بالسلاح النووي* الباكستاني، هذا الأمر الذي يشكل نقطة أخرى لها أهمية كبرى، يصب لصالح التيار الأمريكي

---

* بدأ العمل بالبرنامج النووي الباكستاني في عام 1972، عندما اجتمع ذو الفقار علي بوتو مع 50 عالماً نووياً باكستانياً، وأعطى الضوء الأخضر للبدء في البرنامج النووي الباكستاني، حيث بوشر العمل سراً لاكتساب التكنولوجيا النووية. وتُفيد تقارير الاستخبارات الأمريكية أن الصين تقدم دعما تكنولوجياً كبيراً في تطوير البرنامج النووي الباكستاني، كذلك كانت الصين قد أجرت تجارب نووية على أراضيها، إما لصالح باكستان أو بالتعاون معها. وإلى جانب ذلك، تُشير التقارير الأمريكية، إلى أن باكستان قد قطعت شوطاً طويلاً في تطوير صارخ 'شاهين ـ 2'، وهو صاروخ باليستي متوسط المدى (2400 كم)، وذلك في إطار سباق التسلح الصاروخي مع الهند. ويعتبر هذا الصاروخ مؤلفاً من نظام مزدوج، أي ينطلق على مرحلتين، وهو الثاني من سلسلة صواريخ شاهين. أما الصاروخ 'شاهين ـ 1' فلا يزيد مداه عن 750 كم، وقد جُرب أول مرة في نيسان/ابريل 2001. وقد سبق لباكستان أن أنتجت وجربت بنجاح اطلاق صاروخ 'غولري ـ 2' الذي يزيد مداه عن 2000 كم. ويُقدر أن باكستان تمتلك 24 رأساً نووياً على الأقل، يمكن استخدامها بواسطة صواريخ متوسطة المدى أو طائرات 'إف ـ 16'.

الداعم لتغيير الموقف من باكستان باتجاه تهميش دورها والتوجه نحو مغازلة الهند. هذا التيار هو ذلك المدعوم من اللوبي اليهودي في أمريكا، ذلك اللوبي الذي يُمثل المصالح الإسرائيلية، التي تعتبر أن قنبلة باكستان النووية، مهما قيل عن دوافع تصنيعها، هي بالمحصلة قنبلة 'إسلامية'، قد يجري استخدامها في يوم من الأيام ضد إسرائيل. وهذا الاستنتاج نابع من اعتقاد يسود في تيار الصقور في أمريكا، الاعتقاد الذي مفاده أن الجيش الباكستاني مخترق من قبل الجماعات الإسلامية، وهؤلاء الذين يتطلعون إلى السلطة* ، قد يتخطون الخطوط الحمراء في يوم ما، ويشنون عمليات انتقامية تطول إسرائيل والمصالح الأمريكية.

هنالك تقارير تفيد بأن هنالك مباحثات كانت جارية بين الولايات المتحدة وباكستان، قبيل 11 أيلول/سبتمبر، حول تعزيز الجوانب الأمنية للترسانة النووية الباكستانية. وفي هذا الصدد ذكرت مجلة 'نيويوركر' أن وحدة أمريكية خاصة تتدرب مع فرقة كوماندوس إسرائيلية** بهدف التمكن من الاستيلاء على الأسلحة النووية الباكستانية في حال سقوط حكومة برويز مشرف.

بعد المناوشات العسكرية التي بدأت في شهر كانون الأول/ديسمبر عام 2001 بين الهند وباكستان، إثر الهجوم الانتحاري على مبنى البرلمان الهندي، تبين أن باكستان هي الدولة الوحيدة التي ستقطف أكثر الثمار مرارةً من الحرب التي تشنها أمريكا في

---

* إذا كان اليوم هذا عبارة عن مجرد تكهنات، أجبرت الرئيس مشرف، بإيعاز أمريكي، على الإطاحة بعدد من الجنرالات، على رأسهم رئيس جهاز الاستخبارات، واعتقال أكبر عالمي ذرة باكستانيين، بحجة الميول الإسلامية، فإن هذا يُذكرنا بالمخطط الذي أُقصيت بموجبه بناظير بوتو مرتين عن حكم بلادها، الاسلوب الذي لم يختلف عن ذلك الذي أُستخدم مع والدها ذو الفقار علي بوتو، فالاثنان على ما يبدو كانا ضحية مؤسستين تعملان لصالح أمريكا، التي كانت ولا تزال تتخوف من أن تصبح باكستان ذات الـ 140 مليون نسمة، دولة إسلامية صناعية ديمقراطية تتمتع باستقرار حقيقي وقوة نووية، يمكن أن تجعل من المسلمين قوة حقيقية قادرة على التحالف مع الصديق المنطقي يومها الاتحاد السوفيتي، رغم تضارب المصالح؛ والثانية كانت تخاف من الشعبية الطاغية لبناظير بوتو، التي قد تتحول إلى قوة طاغية، تهدد زعامة الزعماء الإسلاميين في إطار الأمة، والتي قد تستخدم هذه المكانة في حل أزمة كشمير مع الهند وتُلغي سباق التسلح بين البلدين، الأمر الذي لا يروق لشركات السلاح العالمية الكبرى، بالإضافة إلى خشية أن تجر باكستان إلى نوع من التحالف أو درجة ما من الصداقة مع إيران، انطلاقاً من أنها ذات جذور شيعية، من جهة الأم.

** صار الجديد في سياسة إسرائيل في دول جنوب آسيا، هو التغلغل في أفغانستان وذلك بفضل النفوذ الأمريكي، سيما على الصعيدين الاستخباراتي والدفاعي. لذا فإن إسرائيل لم تتوان عن إقامة صلات مع قوات التحالف الشمالي. وجاء تتويج هذا العمل بإدخال وحدة قوات إسرائيلية خاصة، يُطلق عليها اسم 'الماتكال' ـ أو الوحدة 262 ـ إلى مسرح العمليات في أفغانستان. هذا وقد أُنشئت هذه الوحدة منذ منتصف الستينيات من اليهود العرب والآسيويين والأفارقة، الذين يُجيدون لغات ولهجات شعوب عربية وإسلامية عدة. كانت هذه الوحدة قد تسلحت في بداية إنشائها بأسلحة سوفيتية، من مخلفات الحروب العربية ـ الإسرائيلية، كما يرتدي أفرادها أزياء الجيوش العربية والإسلامية العسكرية، التي يُحتمل أن تتدخل في بلدانها. ويجدر القول هنا أن بعض أعضاء هذه الوحدة أخذ يتشبه بالباكستانيين، منذ بدأت إسرائيل بالتفكير للقضاء على القنبلة النووية 'الإسلامية' الباكستانية. ومن الأهداف المحتملة لهذه الوحدة المتواجدة في أفغانستان التسلل إلى باكستان والوصول إلى المجمع النووي الواقع في كاهوتا وتخريبه من الداخل.

منطقة جنوب شرق آسيا، على الرغم من أنها في بداية هذه الحرب حصلت على بعض الفتات الأمريكي والأوروبي*.

---

1. * مساعدات إجمالية بقيمة 600 مليون دولار، تم تقديمها كدعم مباشر للموازنة الباكستانية وميزان مدفوعاتها.
2. 73 مليون دولار لتمويل أمن الحدود.
3. 15 مليون دولار مساعدة للاجئين.
6.55 مليون دولار لمكافحة المخدرات.

أوراسيا
المواجهة بين روسيا وأمريكا

إذا بقيت الولايات المتحدة تقضم آسيا الوسطى، وبكل هذه الشراهة، بعدما ابتلعت أوروبا الوسطى، فلا مناص من أن تأتي تلك اللحظة التي يفعل فيها الأمريكيون بروسيا ما يفعلونه اليوم في العراق.

أحد أعضاء مجلس الدوما الروسي

في النصف الثاني للقرن التاسع عشر كان الصراع شديداً على مناطق أوراسيا بين بريطانيا وروسيا، ولاسيما حول الجزء منه الواقع في آسيا الوسطى. وفي تلك الآونة تمكنت روسيا القيصرية من قضم أغلب تلك المناطق وضمتها إلى امبراطوريتها وعزلتها عن العالم الإسلامي. وبعد انهيار حكم القياصرة وقيام ثورة اوكتوبر وانتصار الشيوعية، تشكلت في تلك الأمصار حكومات محلية. إلا أنه سرعان ما أعادت روسيا الثورة حساباتها، آخذة بنظر الاعتبار الأهمية الجيوسياسية والتاريخية والاقتصادية لـ 'قارة' أوراسيا، لتعيد ولو بطريقة 'ثورية' إنتاج نظرية المفكرين الروس منذ عهود القياصرة بخصوص أوراسيا، وتقوم لاحقاً بتطبيقها على أرض الواقع. تكلم جوميليف، العالم الروسي، بعبارات يستقرأ فيها المستقبل:'هنالك شيء لا يخالجني فيه أدنى شك، ومن ثم أستطيع أن أقول بكل ثقة واطمئنان، وهو أن روسيا لايمكن انقاذها إلا باعتبارها قوة أوراسية، وعبر النظرية الأوراسية وحدها'.

والنظرية الأوراسية تقوم على إفتراض مسبق بوجود حضارة هائلة متعددة المراكز تحف كل من العالم القديم (أوروبا) وآسيا القديمة. وجغرافياً تمتد هذه القارة الكبرى من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلنطي، ومن المحيط الهندي إلى المحيط القطبي، وهي التي كانت تحتوي على الاتحاد الإسكيذي الفريد ودولة الطورانيين مترامية الأطراف والدويلات المغولية وغيرها من الكيانات السياسية الجغرافية متعددة الأعراق، التي صارت فيما بعد جزءاً من الامبراطورية الروسية متعددة الأجناس.

أما اليوم، في مرحلة ما بعد الاتحاد السوفيتي، فقد اكتسبت الحضارة الأوراسية مفهوماً جديداً ذا أبعاد سياسية وفلسفية واجتماعية وثقافية، وهذا المفهوم أخذ يفرض نفسه على واقع روسيا الحديثة. فهنالك العديد من المؤتمرات التي تعقد والموائد المستديرة للعلماء والسياسيين، والكتب التي تصدر حول هذا الشأن.* وروسيا المعاصرة تجد أنه اليوم من مصالحها الحيوية أن تبقى هي اللاعب الأول في منطقة أوراسيا،

---

* في عام 1994، عقدت مائدة مستديرة للعلماء والسياسيين الروس في المعهد الدبلوماسي التابع لوزارة الخارجية الروسية في موسكو، وكانت حول آفاق التكامل الأوراسي. في عام 1995، أعيدت طباعة أهم الأعمال التي انجزها الخبراء الروس سابقاً فيما يتعلق بالنظرية الأوراسية (عالم روسيا . أوراسيا . مقتطفات مختارة) في عام 1996، صدر عن أكاديمية العلوم في روسيا دراسة تحت عنوان: روسيا والشرق . الجغرافيا السياسية والعلاقات المتحضرة. وفي هذه الأثناء، أشرفت مؤسسة الإحياء القومي والثقافي الروسي على إصدار جريدة متخصصة بعنوان: أوراسيا . الشعوب والحضارات والأديان. وهنالك مشروع كتاب دولي تدعمه روسيا، عنوانه: أوراسيا . القرن الحادي والعشرون، يعده مجموعة من كبار علماء كازاخستان، المتخصصون في العلوم الإنسانية.

هذا إذا أرادت أن تعيد الاعتبار لنفسها كامبراطورية. وهي اليوم بالفعل تولي كل اهتماماتها للتغيرات الدولية التي شهدتها كافة أرجاء قارة أوراسيا المترامية الأطراف. وهذا هو أحد المستشرقين الروس البارزين ويدعى مياسنيكوف، يقول بهذا الصدد:'إن روسيا أصبحت تواجه آسيا جديدة، وإذا كانت تريد أن تحتفظ لنفسها بقدر واف من السيطرة على الأوضاع في أوراسيا، فلا بد لها من إجراء مراجعة شاملة ودقيقة لاستراتيجيتها في الشرق بوجه عام، وأن تضعها في إطار استراتيجية جغرافية جديدة، ذلك لأن صميم فكرة الأوراسية، بصيغتها الحالية والمستقبلية، تحمل بين ثناياها امكانيات للإبداع والتكامل، وهذا هو عنصر الجذب فيها.'

وعند الروس، حينما يجري الحديث عن الأوراسية، فإنهم يعودون إلى التاريخ البعيد للأصول العلمية لظهور وتطور الأوراسية كنظرية من نظريات الجغرافيا السياسية. ويعود الفضل في ذلك إلى الأسلاف الروس المفكرين الكبار كـ ديستوفسكي وغيره وأقطاب الحركة الثقافية في القرن التاسع عشر في روسيا، ذلك أن أعمالهم الأدبية والثقافية تدل بجلاء عل أن وحدة الشعوب الأوراسية، في ظل مفهوم الأوراسية، لا يمكن اختزالها إلى مجرد حاصل جمع للثقافات القومية، لأن ذلك الإقليم شهد على مر العصور عمليات موالفة مثمرة بين أنماط حضارية تنتمي للغرب والشرق والشمال والجنوب، كما استطاعت الحضارة الأوراسية أن تستوعب وتنمي قيم الجماعات العرقية على اختلافها، وأن تكون من مجموعها ثقافة كبرى، جعلت منها قالباً وقائياً للوحدة الأوراسية القائمة على أصول من الجغرافيا السياسية، وقد أثبتت هذه الثقافة على أنها قادرة على مغالبة الدوافع المدّمرة لكل القوى. فمنذ عام 1925، قال سافتتسكي، أحد أكبر المتحمسين الروس لفكرة الأوراسية: 'إن دعاة الأوراسية يمثلون عنصراً جديداً في الفكر والحياة .. وروسيا تشكل الجزء الأكبر من إقليم أوراسيا، وهذا الأمر يُعطيها أهمية غير مسبوقة وغير مقتصرة على الناحية الجغرافية. وليس من قبيل الصدفة أن روح الأخوة التي تنفرد بها هذه الأمة والتي تضرب بجذورها في عمليات الاتصال والتكامل الثقافي التي تمت بين تلك الأجناس المختلفة طيلة قرون من الزمان، تنشر ظلها فوق أوراسيا، وهي أخوة تُعلن عن نفسها في الواقع الذي يشهد بعدم وجود تعارض بين الأجناس المتفوقة والأجناس المتدنية، وبأن التجاذب بين الطرفين أقوى بكثير من التنافر بينهما.' لكن سافتتسكي نسي الماضي القيصري القريب للقرن التاسع عشر الذي كان نظراً وفعلاً يؤمن بهذه النظرية ويوجهها بسيطرته منذ عام 1869 على معظم مناطق أوراسيا الواقعة في جنوب شرق آسيا. ومن هنا نستطيع القول أن التراث القديم لنظرية الأوراسية لم يفقد أهميته الباقية حتى يومنا هذا. ويجدر القول هنا أن الاتحاد الروسي المعاصر قد ورث عن الاتحاد السوفيتي هذا التوجه الأوراسي، ويعتقد الروس أن تفكك الاتحاد السوفيتي لا يعني بأي حال من

الأحوال انهيار النظرية الأوراسية. كما أنهم يعتقدون أن العكس هو الصحيح، لأن التحول من أشكال التكامل الإجباري، الذي ساد في العصر السوفيتي، إلى أشكال العلاقات الطوعية والطبيعية لا يمكن أن يعني سوى الميلاد الجديد لمفهوم الأوراسية، ذلك أن توثيق التعاون والتنسيق بين العناصر السلافية والطورانية. المنغولية والمسيحية والإسلامية وما سواه، هو أبرز سمة من سمات تشكل روسيا الجديدة والكومنولث الجديد الذي يضم هذه الدول المستقلة. وهو التشكل الذي يجعلها قادرة على التعاون والتفاعل مع أوروبا الغربية وجنوب شرق آسيا والشرقين الأدنى والأوسط وأفريقيا وأقاليم العالم الأخرى.

ومن هنا فنحن نرى أن مراكز البحوث والدراسات ومفكري أمريكا الاستراتيجيين بالاضافة إلى اللوبي الصناعي العسكري في الإدارة الأمريكية كانت ومنذ الانتهاء من حرب الخليج الثانية، كانت تضع الخطة تلو الأخرى للحيلولة دون إعادة سيطرة روسيا على أوراسيا مرةً أخرى، ولا سيما على تلك الدول الواقعة حول بحر قزوين أو التي ترتوي من نفطه، لاسيما بعد أن أصبح واضحاً أن هذه المنطقة أصبحت المنطقة الاستراتيجية النفطية والغازية الثانية في العالم بعد الجزيرة العربية، إن كان استخراجاً أو احتياطاً. إلا أن قدوم الإدارة الديمقراطية إلى الحكم بزعامة كلينتون وسقوط الجمهوريين بزعامة جورج بوش الأب، أخر تنفيذ هذه الخطط، التي سرعان ما أُعيد الاعتبار إليها بمجيء الجمهوريين إلى الحكم بزعامة الابن دبليو بوش، هذه المرة.

فواشنطن بدأت تحركها إثر عملية مسح دقيقة للاحتمالات وللثروات، انتهت عام 1993. وكانت المحطة الأولى أذربيجان، حيث راح أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي ينحنون أمام (حيدر علييف)، الذي سبق وشغل مركزاً قيادياً في جهاز الاستخبارات السوفيتية (ك.ج.ب). كما فرش البيت الأبيض السجاد الأحمرتحت أقدام رئيسي جموريتي تركمنستان وكازاخستان. فيما أصبحت اللهجة الأمريكية تزداد مباشرة ووضوحاً، بل وقسوة حول..(هذه المنطقة الحيوية بالنسبة إلينا)... ومثل هذه العبارة تعني أن الإدارة الأمريكية، أية إدارة، لن تتوان عن اللجوء للقوة العسكرية في حال تعرضت مصالح الولايات المتحدة هناك للخطر. كما أن الروس لا ينسون ما قالته مادلين أولبرايت وبحضور علييف نفسه عام 1994، من أن 'الولايات المتحدة تعتبر نفسها ، من الآن فصاعداً، ضامنة الاستقرار الدولي في القفقاز.' كما أن أمين عام حلف شمال الأطلسي السابق (خافير سولانا) توجه، على مرأى من الجميع، إلى باكو، في حين كان وزير الخارجية الأمريكي (ستروب تالبوت) يتحدث بصوت عال عن منطقة أمنية تكون على علاقة مباشرة مع حلف الأطلسي وتضم جمهوريات القفقاز (أذربيجان، أرمينيا وجورجيا) وجمهوريات آسيا الوسطى (أوزبكستان، كازاخستان، طاجكستان، تركمنستان وقيرغيزستان). هذا من دون أن يُخفى على أحد أن واشنطن

أبرمت اتفاقية للتعاون العسكري مع آلماتي، الاسم الجديد لعاصمة كازاخستان السابقة المآتا.

استغل الأمريكان التغلغل الذي قاموا به في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة الواقعة في منطقة أوراسيا، بالتعاون مع إسرائيل*، استغلوه ليكون عراباً لبسط سيطرتهم ونشر قواعدهم أثناء أولى حروب القرن، التي كان أهم دوافعها الاستراتيجية الحيلولة دون إعادة هيمنة روسيا على هذه المنطقه وإقصائها إلى بيتها الداخلي كخطوة أولى من العمل لتفكيكها من الداخل. فعندما طلب وزير الخارجية الروسي، ايقور ايفانوف، من واشنطن أن تبر بوعودها وتنسحب من آسيا الوسطى فور انتفاء الحاجة العسكرية لوجودها، أجابه السفير الأمريكي في موسكو الاكسندر فيرشيو بأن حكومته تنوي بعد انجاز مهمتها في أفغانستان، 'مساعدة دول آسيا الوسطى في تطوير الديمقراطية'. وأضاف قائلاً 'إن الوجود الأمريكي لا يجوز اعتباره خطراً، لأنه لا يؤدي إلا إلى الاستقرار والديمقراطية'. فعلى سبيل المثال، حصل الأمريكيون في قيرغزستان على قدر من المزايا والحقوق السيادية في هذا البلد، مما جعل وزير الاستخبارات الروسي فاسيلي ليوفوف يتحدث عن تحويل قيرغزستان إلى بلد 'محتل'.

وفي أذربيجان، البلد المهم جداً نفطياً من دول أوراسيا، والواقعة على بحر قزوين، والتي كانت من جمهوريات الاتحاد السوفيتي وأصبحت لاحقاً من رابطة 'الدول المستقلة'، أصبح فيها 44٪ من النفط بمثابة ملكيات للشركات الأمريكية، وهي تُعد أعلى نسبة يملكها أي شريك.

ومن الأمور التي تمس المصالح الروسية بالعمق هو تخطيط شركة أذربيجان للبترول لانشاء خط أنابيب للنفط يصل ما بين مرفأ طرابزون على البحر الأسود ومرفأ جيهان** على البحر المتوسط. هذا الأنبوب الذي سيكمل الأنبوب الذي تنوي كل من تركيا وأذربيجان، بدعم ومساعدة أمريكية، تمديده من باكو العاصمة الأذربيجانية إلى مرفأ جيهان التركي، بطول قدره 1994 كم، يمر بالممرات الجبلية، وتبلغ تكلفته زهاء 3 مليار دولار. وتجدر الإشارة أيضاً إلى الدور الذي تلعبه الإدارة الأمريكية في خلق تقارب وتفاهم يصب في الصالح الأمريكي ويضرب المصالح الروسية (العداء المستشري

---

* قال شارون، رئيس الوزراء الإسرائيلي: «إن الحد الشمالي لدائرة الأمن الإسرائيلي يمر بدول آسيا الوسطى». ويُذكر هنا أن حجم الصادرات الإسرائيلية إلى دول آسيا الوسطى كان قد ارتفع من 51 مليون دولار عام 1985 إلى 800 مليون دولار عام 2000.

** كما يمس هذا المشروع، إن نُفذ، المصالح العربية بالعمق، لاسيما ما تعلق منها بسوريا والعراق. فبالإضافة إلى كون مرفأ جيهان قريباً من الأراضي السورية، فإن آثار نزول هذه الثروة الجديدة على تركيا، المتحالفة مع إسرائيل سيكون مؤثراً على مجرى حل الخلافات بين تركيا وجاراتها العربية، لاسيما حين نعلم أن هنالك أنبوب للنفط عراقي - تركي، سيصبح دوره غير فاعل في الصراع بين تركيا من جهة وكل من العراق وسوريا من جهة أخرى، فيما يتعلق بمياه كل من نهري دجلة والفرات.

المستشري بين ادوارد شيفرنادزة، رئيس جورجيا وبين الإدارة الروسية، على خلفية محاولات الاغتيال المتكررة المزعومة من قبل الروس ضد شيفرنادزة، الذي وضع في الآونة الأخيرة طاقماً أمريكياً كاملاً من الحراسات الشخصية.) بين الدولتين المتخاصمتين والمتباينتين كلياً وهما أذربيجان وجورجيا* ، التي تُعتبر أيضاً من دول إقليم أوراسيا.

هذا ناهيك عن تلك التسهيلات الكبيرة التي حصل عليها الأمريكان في البلدان المتاخمة لأفغانستان، من قواعد عسكرية وسواها، وذلك بحجة الحرب ضد الإرهاب (تركمانستان، اوزبكستان** ، طاجكستان). وفي الجانب الآخر، يرى القوميون الروس ومن يسيطرون على ما يُسمى بوزارات القوة في الاتحاد الروسي، أن الوجود الأمريكي في آسيا الوسطى يعني تحجيم الدور الروسي ودفع موسكو إلى مواقف معادية للصين والعالم الإسلامي. وبهذا الصدد أشار غينادي فوردنين، عضو المجلس العلمي الأعلى لمجلس الأمن القومي، إلى أن روسيا لا يمكن أن تتنازل عن دورها كدولة 'أورو' اسيوية' لها مصالح جيواستراتيجية في القارتين، والمناطق المجاورة لها خصوصاً. ونبه إلى أن أمريكا تُعطي الأولوية دائماً لمصالحها الوطنية، داعياً إلى مراعاة ذلك في التعامل معها. كما يخشى الروس من أن تعمد أمريكا إلى إعادة رسم الخريطة الجغرافية للمنطقة، حسب التوزع القومي والإثني، الأمر الذي سيؤثر سلباً على المصالح الروسية فيها. وفي الطرف الآخر فإن الأمريكيين يرون أنه لا يمكن لتكتل آسيوي عدائي يضم أكثر الدول اكتضاضاً بالسكان في العالم وموارد بشرية هائلة مع بعض أكبر الشعوب الصناعية أن يتفق مع المصالح الأمريكية. ولهذا السبب، يتعين على الولايات المتحدة الابقاء على وجود لها في آسيا ويتعين أن يكون هدفها الاستراتيجي الجيوسياسي منع تحول اندماج آسيا إلىتكتل غير صديق (وهوالمرجح حصوله في ظل وصاية إحدى القوى الرئيسة). وبالتالي يمكن مقارنة علاقة أمريكا بآسيا بعلاقة بريطانيا بأوروبا لأربعة قرون. الوضع

---

* وعلى الرغم من هذا العداء بين الدولتين، إلا أن المصالح الإقتصادية والأمنية جعلتهما يجتمعان سوية، على مستوى رؤساء الجمهورية في مدينة طرابزون التركية مع نظيرهما التركي أحمد نجدت سيزر، وذلك في اليومين الأخيرين من شهر نيسان/ابريل 2002. وكان هؤلاء الرؤساء الثلاثة قد وقعوا على محضر تعاون أمني، يهدف إلى حماية أنابيب النفط التي ستمتد من باكو (عاصمة أذربيجان) إلى ميناء جيهان التركي مروراً بالأراضي الجيورجية. تلك الأنابيب التي من المفترض أن ينتهي تمديدها في عام 2004.

** توظف اثنتان فقط من شركات النفط الأمريكية مبلغ 7 مليارات دولار لاستثمار النفط الذي عُثر عليه في حقول تانجير حول بحر قزوين. وهي حقول يتطلع إليها الاتحاد الروسي لأسباب سياسية والصين والهند لأسباب اقتصادية. وتتطلع إليها الولايات المتحدة لأسباب سياسية واقتصادية معاً. من أجل ذلك ولأول مرة في التاريخ، نظمت الولايات المتحدة مناورات عسكرية مشتركة مع كل من أوزبكستان وكازاخستان وقيرغستان. واشترك في هذه المناورات، التي كلفت 5 ملايين دولار، الفرقة 82 من الجيش الأمريكي، التي نُقلت جواً ومن دون توقف مسافة 12300 كم من قاعدتها في كارولينا الشمالية إلى مدينة شمكتا في كازاخستان، حيث جرت المناورات.

الذي وصفه ونستون تشرشل بقوله: طوال أربع مئة سنة والسياسة الخارجية لانكلترا تُقاوم أقوى قوة على القارة الأوروبية وأكثرها هيمنة وعدوانية.

وليس هنالك أدنى مجال للشك بأن الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية التي كانت عليها الدول التي لها حدود مباشرة مع أفغانستان (بؤرة أولى حروب القرن) لها تأثير مباشر على الصراع حول أوراسيا الذي نرى أنه بدأ بالنشوب إثر انهيار الاتحاد السوفيتي، لكنه أخذ بالاقتراب من البعد المحرقي له عشية 11 أيلول/سبتمبر عام 2001.

ويرى الأمريكان أنه يجب استغلال حقيقة أن دول آسيا لا تجتمع على خطر مشترك، الأمر الذي يجعل احتمال اتحادها وتكتلها بعيد المنال، لأن كل دولة لها وجهة نظرها الخاصة بما يهدد أمنها القومي. بعضها يتملكه الخوف من روسيا، والبعض الأخر من الصين وثالث من اليابان ورابع من أمريكا وخامس من الهند وسادس وليس أخيراً من الأصولية الإسلامية في إيران. ويرى أصحاب القرار في أمريكا، أنه من المصلحة القومية الأمريكية مقاومة جهود أية قوة تريد الهيمنة على آسيا. وفي أقصى الحالات ينبغي أن تكون مستعدة للقيام بذلك دون حلفاء.

أوزبكستان *

هـي مـن الجمـهوريات السـوفيتية السـابقة، يحكمـها شـيوعي سـابق** ، يواجـه تحديات كبيرة مـن الداخـل مـن قبـل تنظيمـات إسـلامية متشـددة، كـان العديـد مـن عناصرها قد تدرب في أفغانستان على أيدي أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة.

إذا قرأنا في خلفية تعاون الرئيس الأوزبيكي إسلام كريموف مع الولايات المتحدة وبريطانيا في حربهما ضد حركة طالبان وتنظيم القاعدة الذي يتزعمه أسامة بن لادن في أفغانستان، فإنه لا بد أن نعود قليلاً إلى الخلف. فقد كان كريموف ومنذ بضع سنوات قد قرر الابتعاد عن روسيا والمراهنة على إقامة تحالف استراتيجي مع الولايات المتحدة وحلف الأطلسي، وهكذا تكون قد جاءت أولى حروب القرن والتحالف الدولي ضد الارهاب، لتصب في طاحونة 'المصالح الأوزبيكية'، كما يراها زعيمها. كما أن الأخير أخذ يستثمر مشاركة بلاده إلى أقصى حد في 'الإئتلاف المناوئ للارهاب' واضعاً تحت تصرف القوات المسلحة الأمريكية والأطلسية حق المرابطة في الأراضي الأوزبيكية والسماح للطائرات الحربية الأمريكية باستخدام المطارات العسكرية الأوزبيكية*** لشن غارات عسكرية ضد أفغانستان.

وتؤكد مصادر مطلعة أن مثل هذا التطور يقوم على خلفيات جدية. فمنذ عام 1997 وردت معلومات موثوقة عن أن مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية آنذاك، أولت اهتماماً خاصاً لتعزيز التعاون الأمريكي - الإسرائيلي لمواجهة ماوصف بـ «الخطر

---

* تبلغ مساحة أوزبكستان 448000 كيلومتر مربع، عاصمتها طشقند. يقارب عدد سكانها الـ 24 ملايين نسمة. يشكل القطن 70٪ من مواردها، ويأتي الغاز بالدرجة الثانية. في 1 أيلول/ سبتمبر 1991، تم إعلان استقلال أوزبكستان عن الاتحاد السوفيتي، وفي 2 آذار/مارس 1992 انضمت إلى عضوية الأمم المتحدة. وفي 2 تشرين الأول/اوكتوبر 1996 تم انضمامها إلى عضوية منظمة المؤتمر الإسلامي. وفي 8 كانون الأول/ديسمبر 1992 أقر دستور جمهورية أوزبكستان. رئيس الجمهورية الحالي هو إسلام كريموف وهو من القيادات الشيوعية السابقة.

** قرر هذا الشيوعي السابق، أن يحل تمثال تيمورلنك 'مؤسس الدولة الأوزبكية' مكان كارل ماركس' في ساحة العاصمة طشقند، في خطوة من قبل حكومته للعودة بأوزبكستان، رمزياً، إلى الوراء قروناً عدة لتأكيد هويتها القومية وللإشارة إلى تاريخها الخاص الذي غيب إلى حد بعيد إبان الحقبة السوفيتية، الممتدة من العشرينات لغاية 1991.

*** هذا ويجدر بالذكر أن الإدارة الأمريكية كانت قد استأجرت مطار خان أباد الاستراتيجي في أوزبكستان لمدة 25 عاماً، والذي يستطيع استقبال آلاف الجنود ومئات الطائرات الحربية بمختلف أنواعها.

الإيراني». وأثناء مفاوضات سرية تم تحديد إجراءات مشتركة يقوم بها الجانبان لمواجهة مخططات القيادة الإيرانية الرامية لتعزيز مواقعها في آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين. ومن حيث الأساس، ركز الإسرائيليون والأميركيون على العمل مع الجمهوريات السوفيتية السابقة في المنطقة، وتوصلوا إلى استنتاج بشأن تنشيط التعاون في إطار وزارات الخارجية والدفاع والمخابرات مع أوزبكستان تحديداً وقبل كل شيء.

وما أيد هذا الاستنتاج أن السفير الأميركي في طشقند آنذاك ستانلي اسكوديرا وزميله الإسرائيلي إيلان رون اتفقا على أن القيادة الأوزبكية بقيادة كريموف هي «حليف طبيعي للغرب، وبالدرجة الأولى للولايات المتحدة وإسرائيل في العالم الإسلامي». وأشار السفيران إلى أن الرئيس الأوزبكي تمكن بعد انهيار الاتحاد السوفياتي من تحويل أوزبكستان، التي يشكل المسلمون 90 في المئة من سكانها، إلى واحد من «القلاع القليلة للإسلام المعتدل». وخاض كريموف حرباً بلا هوادة، داخل بلاده وعلى نطاق آسيا الوسطى كلها ضد ما عرف بالأصولية الإسلامية، وأبدى الاستعداد للتعاون مع الغرب لمكافحة «الإرهاب الدولي».

ونظراً لتطابق وجهات نظر الولايات المتحدة وإسرائيل وأوزبكستان حيال هذه القضايا، فإن استانلي اسكوديرا اقترح أن تعتبر القيادة الأوزبكية شريكاً لأميركا وإسرائيل في مواجهة العالم الإسلامي عموماً، والنظام الإيراني تحديداً. كما أكد على أن كريموف مهتم بالتعاون مع الاميركيين والإسرائيليين* في مجال تطوير صناعات النفط والغاز واستخراج الذهب، إضافة إلى المجال الزراعي. ومن جانبها، فإن القيادة الأوزبكية قدرت تقديراً عالياً المساعدة المقدمة في إطار برنامج أميركي - إسرائيلي طويل الأمد لإعداد خبراء في الشؤون الزراعية لأوزبكستان وتوفير تكنولوجيات متقدمة لاستثمار الأراضي غير المروية.

وأشار السفير الإسرائيلي بصورة خاصة إلى أن كريموف قام بفتح أبواب الهجرة إلى إسرائيل أمام يهود أوزبكستان، وفي الوقت نفسه عمل على إعادة «إحياء» الجالية اليهودية الموجودة منذ 2000سنة تقريباً على الأراضي التي تشغلها الجمهورية حالياً .كما شجعت القيادة الأوزبكية نشاط الوكالة اليهودية «سحنوت» و «المركز الثقافي الإسرائيلي» الذي أنشئ في طشقند، كما أعيد بناء المعابد اليهودية وازداد عدد المدارس الخاصة للأطفال اليهود.

---

* منذ ما قبل استقلال اوزبكستان، كان النشاط التجاري لهذه الدولة مع إسرائيل واسعاً، إذ بلغ حجم الصادرات الإسرائيليه إليها عام 1988 نحو 22 مليون دولار، ووصل في عام 2001 إلى 200 مليون دولار، وشملت هذه الصادرات صناعات بتروكيميائية وغذائية. وذكر ناتان شرانسكي، وزير الصناعة والتجارة السابق 'إن أوزبكستان ستمثل في المستقبل أكبر مركز جذب للسلع والخدمات الإسرائيلية، وسيضع المستثمرون الإسرائيليون أوزبكستان كهدف استراتيجي لهم.'

وكان السفيران الإسرائيلي والأمريكي اعتبرا أن كريموف حينما يعزز العلاقات مع الدولة اليهودية، إنما يأمل أن تساعده إسرائيل في «فتح نافذة» على الغرب. وعلى رغم أن أولبرايت كانت قد قيمت إيجاباً نشاط كريموف، فإنها اقترحت زيادة الضغوط عليه لكي يتخلى تدريجياً عن التعاون مع روسيا وسائر دول رابطة الدول المستقلة في كل مايتعلق بقضايا الأمن وحماية الحدود، ولكي يوافق على أن تستقبل أوزبكستان، في حال وجود خطر يهددها من جانب أفغانستان أو إيران، قوات ردع دولية تحت رعاية حلف الأطلسي بالضبط كما حصل في البلقان. واعتبرت أولبرايت أن تطور الأحداث وفق هذا السيناريو يمكن أن يؤمن تقدم الأطلسي شرقاً ويخلق للحلف قواعد وهياكل ارتكازية في آسيا الوسطى يمكن استخدامها ليس ضد إيران فحسب، بل وضد روسيا في حال تولت السلطة في موسكو قوى مناهضة للغرب. وكانت أولبرايت تدرك أن تحقيق كل هذه الأهداف سيواجه بمصاعب جدية، إذ أن لأوزبكستان تقليدياً، روابط وثيقة مع روسيا وسائر دول الرابطة. ولكن أولبرايت أصرت على أن يجري العمل على المحور الأوزبكي بنفس طويل ومثابرة في محاولة لإخراج أوزبكستان من دائرة النفوذ الروسي وتحويلها «قلعة للحضارة الغربية» في آسيا الوسطى.

وإذا كانت أولبرايت تحدثت عن ذلك عام 1997، فإن أحداث السنوات الأربع التي أعقبت ذلك أظهرت أنه لم يتسن بلوغ كل ماتمنته. إلا أن الأمريكيين والإسرائيليين تمكنوا من إقناع القيادة الأوزبكية بالتعاون مع الولايات المتحدة وإسرائيل وسائر الدول الغربية، والتصدي لأي محاولة تقوم بها روسيا لإستعادة تأثيرها على الوضع في أوزبكستان.

كل ذلك يتيح القول بأن إدارة الرئيس جورج بوش الابن تستثمر ما أنجزته إدارة بيل كلينتون ووزيرة الخارجية أولبرايت، وصارت لدى الإدارة الحالية قاعدة جدية لاستثمار الوضع القائم في العالم وفي آسيا الوسطى، ومن حول أفغانستان تحديداً من أجل مواصلة ربط أوزبكستان بالفلك الأمريكي.

طاجكستان*

في الحقيقة، إن طاجكستان عبارة عن مجموعة من الوديان أُجبرت على أن تُصبح دولة في عهد ستالين. وعندما أصبحت مستقلة في عام 1991، بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، اندلعت الحرب الأهلية فيها، وتركزت الحرب فيها بين المعارضة الإسلامية، التي كانت تحظى بدعم 'المجاهدين' الأفغان وفي الجانب المقابل الحكومة بزعامة الرئيس إمام علي رحمانوف، التي كانت تدعمها روسيا.

كانت الأسلحة التي تتلقاها مجموعة المعارضة الإسلامية من الطاجيك من شمال شرق أفغانستان توازيها إمدادات من روسيا ومن أوزبكستان، اللتان كانتا مصممتين على منع الإسلاميين من الوصول إلى السلطة على حدودهما. أدت هذه الحرب الأهلية إلى تدمير الاقتصاد الطاجيكي الريفي الفقير أصلاً. كما كانت المجموعات المسلحة ضالعة بتجارة المخدرات والسلب والنهب، لذا لم يكن قادة هذه المجموعات يرغبون بوضع حد للحرب الذي فيه تتوقف إيراداتهم الكبيرة. لكن الشعب الطاجيكي تمكن في النهاية أن يضع حداً للحرب الأهلية، حيث تم توقيع اتفاق سلام مع زعيم المجموعات المسلحة (نوري) والرئيس رحمانوف، المدعوم من روسيا، وذلك في شباط/فبراير 1997، على الرغم من أن التوتر لا يزال قائماً.

تُعتبر طاجكستان الأكثر فقراً من بين جمهوريات آسيا الوسطى، حيث يعيش أكثر من 70٪ من السكان دون خط الفقر، وهي أيضاً الصغرى من حيث المساحة. وهذه الجمهورية هي في نسيج، لاينفصل عراه عن جارتها أوزبكستان، حيث هنالك أكثر من 1.3 مليون أوزبيكي فيها، يشكلون زهاء ربع السكان. وفي المقابل ثمة حوالي ما بين 4 إلى 5 مليون طاجيكي في أوزبكستان. وفي الآونة الأخيرة أقام رئيس جمهوريتها صلات وثيقة مع الولايات المتحدة وتركيا، هدفها إزاحة النفوذ الروسي من آسيا الوسطى، الأمر الذي أثار حفيظة موسكو. وفي عام 1998، أخذ رئيس الجمهورية الطاجيكي يتهم كل من أوزبكستان وروسيا بدعم المتمردين الإسلاميين في بلاده، بهدف إعادتها إلى جو الحرب الأهلية.

* تبلغ مساحة طاجكستان 143000 كيلومتر مربع، وعدد سكانها حوالي الـ 6 ملايين. عاصمتها دوشانبيه. 80٪ من مواردها من الزيت الغرنوفي، الذي يُستخدم في صناعة العطور.

تركمانستان*

وفيما يتعلق بالجانب الأمني، كان في منطقة وسط آسيا بشكل عام وفي تركمانستان بشكل خاص، انعكاساً للإنجذاب الاقتصادي ولتضارب مصالح الدول الكبرى ودول الجوار. فحتى الإدارة الأمريكية ممثلة بأجهزة استخباراتها، أخذت تتعاون مع حزب التحرير الإسلامي، الذي له خلايا في المؤسسات العسكرية والأمنية في هذا البلد، في الوقت الذي لم تُغلق فيه أبواب تعاونها مع مؤسسات الدولة، التي يُقال أنها فتحت أبوابها مُشرعة أمام التعاون مع الإدارة الأمريكية، كما قدمت للمؤسسات والشركات الأمريكية الحصانة الدبلوماسية. ومن جانب آخر تشير المعلومات إلى أن رئيس الجمهورية سابا مراد نيازوف قد اتخذ موقفاً محايداً حيال أحداث 11 أيلول/سبتمبر وذلك بهدف مغازلة الروس، أو خوفاً منهم. ومن جهة أخرى أخذ الأمريكان يضغطون على الرئيس التركماني ، من قنوات خفية، مشيرين إليه بعدم شرعية حكمه، من جهة أنه اتخذ لنفسة صلاحيات ملكية وعين نفسه رئيساً للجمهورية ورئيساً للوزراء مدى الحياة، بعد أن أطلق على نفسه لقب 'تركمانباشي'، أي ابن التركمان، والذي يرأس دولة، يُمكن أن تُصبح أكبر مصدر للنفط والغاز في العالم.

في أواخر تشرين الأول/اوكتوبر 1999، أعلنت تركمانستان عن موافقتها على انتقال نفط بحر قزوين وغازه عبر أراضيها بواسطة خط أنابيب (باكو ـ جيهان). وقد دخل هذا القرار حيز التنفيذ، بعد التوقيع على الاتفاق في العاصمة التركية أنقرة. وبذلك أصبحت تركمانستان تغرد، فيما يتعلق بنفط بحر قزوين، مع السرب الأمريكي التركي.

كل هذا لا يُمكن أن يحصل إلا تحت المظلة الأمريكية وبرعايتها. فالعلاقات السيئة بين باكستان والهند حالت دون عشق أباد وتنفيذ المشروع العملاق الخاص بمد أنابيب النفط والغاز باتجاه باكستان والهند عبر أفغانستان.

وبين هذا وذاك تبقى تركمانستان بيضة القبان بالنسبة لأنابيب النفط والغاز، فهي تقريباً البوابة الأسهل والأقرب لبحر قزوين باتجاه الجنوب (باكستان، الهند، إيران) عبر أفغانستان. وهي أيضاً بوابته، إلى تركيا.

---

* تبلغ مساحة تركمانستان 488000 كيلو متر مربع، وعدد سكانها حوالي الـ 4.5 مليون نسمة. يُعتبر النفط من أهم مواردها، حتى أنها كانت الجمهورية الثالثة بانتاج النفط في الاتحاد السوفيتي سابقاً، بعد روسيا وكازاخستان.

ولكن ومع القول بأنها تركمنستان كانت قد وقعت على اتفاقية انبوب باكو - جيهان، إلا أن مصالح الدول والقوة تستطيع دائماً آن تُمزق آوراقاً 'اتفاقيات' لا تصب في مصالحها، لا سيما حينما نعلم آنه في القرن الحادي والعشرين أصبحت المصالح موارة ومتنقلة وهي بالضرورة لا تربطها الايديولوجيات.

الصين
مارد تحت الرماد

لقد بدا واضحاً منذ قرابة عقدين أن تدفقات التجارة ورأس المال وما ينجم عنهما من قوة وثروة، أخذت بالانتقال من العالم القديم المتمركز حول الأطلسي، إلى عالم أخذ بالتزايد باستمرار حول 'الباسيفيكي'. والشيء الذي أصبح أكثر وضوحاً، منذ عهد قريب جداً، أن الصين احتلت مكان القلب من هذا التحول الآسيوي. كما أن ظهور الصين كقوة عظمى في القرن الحادي والعشرين ستكون له تأثيرات فائقة وواسعة النطاق على مشروعات الأعمال والمال والتكنولوجيا، وكذلك على البيئة الثقافية والاجتماعية، التي هي مجال النشاط والتغيير.

الكاتبان الأمريكيان ويستون وكونيكولوت.

يقول هنري كيسنجر: يمكن مقارنة انبعاث الصين بانبعاث ألمانيا في القرن التاسع عشر، الذي أدى في النهاية إلى نشوب الحرب العالمية الأولى. لكن لم يكن هنالك ما ينبؤ بالحرب. ولقد سجل التاريخ ذلك فشلاً لقادة الدول وتخبطاً، تسبب بخسائر فاقت مكاسب جميع الفرقاء. فأي من هؤلاء القادة الذين ذهبوا إلى الحرب سنة 1914، لم يكن يُعيد التفكير في قراره لو سنحت له الفرصة، بعد أن رأى الكارثة التي حلت بالمجتمعات وبالحضارة الأوروبية وبآمال العالم على المدى البعيد؟

هنا كأني بكيسنجر يقوم بتحريض الإدارات الأمريكية ضد الصين، التي يرى فيها كيسنجر ألمانيا 'النازية' في القرن الحادي والعشرين. وتتأتى هذه النصيحة من رغبة ذاتية كامنة لديه لكي لا يصبح قادة دولة أمريكا كـ'قادة' الدول التي تحدث عنها في الفقرة السابقة.

وفي شرحه لوجهات نظر الإدارة الأمريكية حول التعامل مع الصين، يقف كيسنجر مع موقف المتصلبين منها. وتقول وجهة النظر هذه إلى اعتبار الصين عدواً لا مفر منه. حالياً بالنسبة لتايوان، وبالنهاية بالنسبة إلى غرب المحيط الهادي ووسط آسيا والتوازن العالمي.

وفقاً لرأي هذه المدرسة، لا يجب أن تتعامل واشنطن مع الصين، كما لو كانت شريكاً استراتيجياً، بل كما تعاملت مع الاتحاد السوفيتي في حقبة الحرب الباردة كمنافس وكعدو، فتخفض التبادلات التجارية بقدر الامكان، وتحصرها بالسلع غير الاستراتيجية، وتنشئ تحالفاً مع الدول الآسيوية لاحتواء الصين. وإذا لم يكن ذلك، تعزز قدرات اليابان لمساعدة أمريكا في تقاسم عبء الدفاع عن آسيا ومنع انتشار النفوذ الصيني. كما يعتقد أصحاب وجهة النظر هذه بمعاملة تايوان كدولة مستقلة ومركز عسكري متقدم والتخلي عن سياسة 'صين واحدة' التي مازالت العلاقات الصينية الأمريكية مبنية عليها، منذ استئناف العلاقات الدبلوماسية بينهما سنة 1971.

ويرى المختصون بالشأن الصيني أن شعار الارتباط إلى درجة 'الشراكة الاستراتيجية' الذي كان مرفوعاً في زمن ولاية كلينتون الثانية، هو شعار ثبت عدم جدواه في مواجهة الأزمات المستمرة في ظل غياب أي حوار سياسي مستمر.

وقد جاء من يُؤكد أن الصين ستصبح في عام 2030 أكثر الأمم سكاناً والأكبر إقتصاداً عالمياً وقوة عظمى، وستلعب دوراً مهماً في تاريخ البشرية، وسيتحول معها الميزان الكوكبي للثروة والقوة خلال الألفية الثالثة. وستصبح الصين قوة عظمى في كل

المجالات الإقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية والتكنولوجية، وستكون مختلفة عن كل قوة عظمى عرفها العالم حتى الآن، لأن النظام الاقتصادي والسياسي الذي تنحو الصين إلى تطويره الآن هو هجين فريد، يضم آثاراً كثيرة بين عناصر من الإشتراكية والرأسمالية على حدٍ سواء، وسيكون مختلفاً أيضاً عن أي نظام يعرفه العالم اليوم وفي المستقبل القريب.

وبعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر، قدم جورج تينيت، رئيس وكالة الاستخبارات الأمريكية 'السي.آي.إي' تقريره عن الصين، مابعد هذه الأحداث، قائلاً: «لقد قلت لكم في السنة الماضية '2001'، إن مسار الصين نحو الوصول إلى موقع القوة العظمى أصبح أكثر تركيزاً وتحديداً. أما التحدي القائم هنا فهو أن بكين تعتبر الولايات المتحدة العقبة الرئيسية أمام تحقيقها لهذا الهدف، رغم الحكم بأن القادة في الصين هم بحاجة للحفاظ على علاقات جيدة مع الولايات المتحدة. ولا شك أن أحداث 11 أيلول/سبتمبر دفعت إلى تغيير في تفكير الصين تجاهنا، لكن دون أن يدفع ذلك إلى تغيير الأسس الصينية. فالصين تُعد اقتصاداً وقوة عسكرية متطورة من أجل تأكيد هدفها في تحقيق دور القوة العظمى في شرق آسيا. وعلى الرغم من انظمام الصين للتحالف ضد الإرهاب، إلا أنها ستظل تحمل شكوكاً حول نوايانا في جنوب ووسط آسيا. فهي تخشى أن تُحقق الولايات المتحدة نفوذا إقليمياً على حسابها، وهي ترفض تشجيعنا لوجود دور عسكري ياباني ضد الإرهاب.

أما قضية تايوان فستظل إحدى القضايا المركزية بالنسبة لنا وهي تُمثل أهم ما يدفع الصين إلى التركيز على امتلاك القوة العسكرية المتميزة والمتفوقة. وفي السنة الماضية، اهتم العالم كله بالمناورات العسكرية الصينية التدريبية، التي أثبتت فيها قدرة عملياتية وتحسناً فعلياً في القدرة على توظيف قدراتها العسكرية. ولم تكن الصين هنا تستهدف تايوان فحسب، بل الأخطار التي تُمثلها لها الولايات المتحدة نفسها عند أي احتكاك عسكري في المستقبل مع تايوان* . والصين تواصل تطوير وتحديث وتوسيع مدى صواريخها الباليستية التقليدية التي توجهها نحو تايوان. كما تعمل الصين على تحقيق تقدم في إنتاج الجيل الأول من الصواريخ الميدانية الاستراتيجية المحمولة عبر الطرق البرية (D F 31). ولا شك أن أطول مدى من هذا النوع من الصواريخ الاستراتيجية يمكن أن يصل إلى أهداف داخل الولايات المتحدة.» وحسب وزير الدفاع الأمريكي، فإن الصين سوف تضطر إلى تطوير صواريخها لناحيتي الحجم والفعالية أفضل مما هي عليه اليوم. وحسب معلومات أمريكية موثوقة بما يمكن أن تتعرض له الأراضي الأمريكية في غضون اثني عشر عاماً لضربات مفاجئة بحوالي مئة من الصواريخ المزودة برؤوس نووية تأتي من الطرف الصيني.

---

* لهذا فإن تايوان تخضع لحماية نظام الدفاع الصاروخي الأمريكي، بطريقة تمنع الصين من السيطرة عليها.

ومن جهة أخرى، نعتقد أن التقارب الروسي - الصيني، هو من العوامل التي دفعت الولايات المتحدة إلى زج نفسها عميقاً في منطقة وسط وجنوب وشرق آسيا، لتحول دون النتائج الضارة التي قد يولده هذا التقارب على مصالح أمريكا الاستراتيجية في العالم. هذا التقارب الذي تعزز خلال العام 2001 بتبادل الزيارات بين الرئيسين فلاديمير بوتين وجيانغ زيمين، وصولاً إلى توقيع معاهدة حسن الجوار والصداقة والتعاون في تموز/يوليو عام 2001 في موسكو من قبل الرئيسين.

وقبل ذلك في العام 1996، ما تم من تشكيل ما يُشبه المحور الإقتصادي، الذي سمي باسم 'شنغهاي للتعاون'، والذي شمل بالإضافة إلى البلدين جمهوريات آسيا الوسطى: كازاخستان وقيرغيزستان وطاجكستان، كما انظمت أوزبكستان لاحقاً إليه. هذا التقارب لا يثير السعادة لدى الإدارة الأمريكية، حينما نعلم أنه يتضمن صفقات أسلحة روسية للصين بمليارات الدولارات، ترى فيها إدارة بوش الابن الحالية (التي بدأت عهدها بلهجة عدائية ضد الصين)* تدعيماً لدولة وقوة إقليمية، مرشحة للتحول إلى قوة عظمى ذات شأن خلال القرن الجديد، إذا لم يجر إعاقة لمسارها الحالي نحو تدعيم وتطوير قوتها الاقتصادية والعسكرية.

يرى كيسنجر أنه إذا بقيت الصين متماسكة محلياً، فلا مناص من أن تصبح قوة رئيسية، وعندما تُصبح كذلك ستمتلك قدرة معززة على تحدي الولايات المتحدة. فهل ستعرِف الولايات المتحدة أمنها بدلالة منع ظهور أي قوة رئيسية محتمله؟ هذا سيجعلها شرطي العالم وفي النهاية ستنقلب دول العالم كلها ضدها. وسيكون ذلك استنفاذاً للموارد الأمريكية والتوازن النفسي، إذا أصبحت التدخلات والحملات الدائمة تُعرِّف خصائص السياسة الخارجية الأمريكية.

في حرب أمريكا ضد أفغانستان، والتي كان لها طابع 'الحرب ضد الإرهاب الإسلامي'، استفادت الصين على المستوى التكتيكي، من حيث أن هذه الحرب أبعدت ولو زمنياً مطالبات الأقليات الإسلامية بالانفصال، الأمر الذي كان يضنه كيسنجر حادثاً في القريب العاجل في الصين، حينما أشار عن صين متماسكة.

وهنا، تجدر الاشارة إلى أنه على حدود منغوليا وروسيا وكازاخستان وقرغيستان وطاجكستان وباكستان وأفغانستان والتبت الصيني، تقع مقاطعة 'كسينجيانغ' الصينية، والتي تُحظى بأهمية كبيرة، لا بسبب غناء ثرواتها وموقعها الاستراتيجي، بل لأن فيها

---

* يرى بعض الساسة الأمريكيون أنه تتم التغطية على الخلافات وتعاكس المصالح بين دول آسيا، لاسيما الصين وروسيا، أحياناً، بعقد اللقاءات بين القادة للمناداة بعقد شراكة استراتيجية ضد شبح الهيمنة الأمريكية. ويرون أنها وحدها السياسة العنترية الأمريكية الصارمة بعيدة الاحتمال يمكنها أن تدفع البلدين نحوتأسيس شراكة عميقة. ويرون أيضاً أنه ينبغي أن تتركز اهتمامات أمريكا على الاحتفاظ بعلاقات تعاونية مع جميع دول آسيا وتجنب السياسات المبنية على افتراض وجود عدائية متأصلة تاريخياً من قبل أي من القوى الرئيسية الآسيوية.(من كتاب هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية. هنري كيسنجر.)

حوالي 8 ملايين مسلم. وخلال العقود الأخيرة وبسبب انتشار التطرف في العالم الإسلامي، ازداد قلق* السلطات الصينية الشيوعية، خشية تسرب العدوى إلى تلك المنطقة، الأمر الذي سيؤدي إلى إشعال حريق هائل، ربما لا تستطيع أن تُطفؤه. ولذلك أقدمت الحكومة الصينية على الإعلان عن دعمها لحرب الولايات المتحدة ضد الإرهاب في أفغانستان والتي تعتزم نقلها إلى أماكن أخرى. إلا أن هذه الإستفادة الصينية، لا يماثلها ما ستتكبده الصين من خسائر على المستوى الاستراتيجي، من جراء الانتشار الأمريكي الاقتصادي والعسكري في لُب آسيا.

ومن جهتها الإدارة الأمريكية، وفي أتون أولى حروب القرن، أخذت تحاول أن تجعل من الهند منافساً قوياً للصين، حينما عملت على تأجيج الجو بين باكستان والهند، بهدف خلق محاور في المنطقة وكتلتين متصارعين، الأولى تتزعمها الصين، لأنها حسب زعم الإدارة الأمريكية واللوبي اليهودي في أمريكا، هي عراب القنبلة النووية الباكستانية (القنبلة النووية الإسلامية)، والثانية تتزعمها الهند بمساعدة من بعض دول المنطقة وبأزر كامل من إسرائيل*.

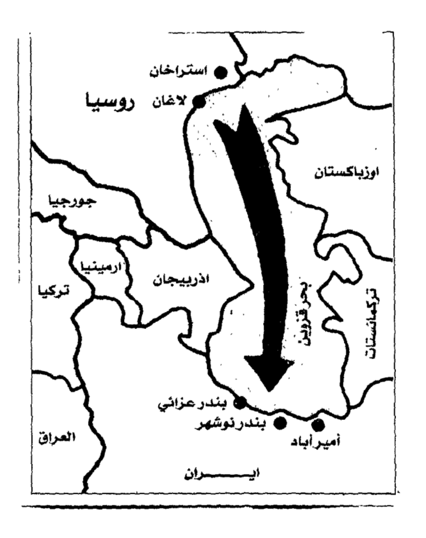
---

* يُذكر أنه في عامي 1996 و 1997، هزت اضطرابات عنيفة مدينة اينسينج البالغ عدد سكانها 300.000 نسمة، رفع المتظاهرون فيها شعار. دولة إسلامية مستقلة.

* في بداية عقد التسعينات، تلقى 100 ضابط في المخابرات الهندية تدريباً واسعاً في إسرائيل. كما سُمح للمخابرات الإسرائيلية أن تُقيم لها مكتباً في كشمير بالقرب من الحدود الباكستانية. وهنالك. وجوه عديدة من التعاون بين الهند وإسرائيل في المجال النووي والإمداد التكنولوجي الدقيق والإمداد بالمعلومات الاستخباراتية حول الحركات الإسلامية و 'القنبلة النووية الإسلامية الباكستانية'

إيـــران

إحدى دول «محور الشرور»



بادء ذي بدء، يجب أن نشير إلى أن علاقات الفرس بدول أوراسيا، لا سيما منها دول وسط آسيا، هي علاقة قديمة جداً. يدعم هذه العلاقة حقيقة أن بعض تلك الدول تدين بالمذهب الشيعي الذي تعتنقه إيران. كما أن نسبةً من سكان تلك الجمهوريات هم إيرانيي الأصل، بل إنه يوجد في شمالي إيران عشرون مليون أذربيجاني، أي أقل قليلاً من ثلاثة أضعاف سكان جمهورية أذربيجان، التي بلغ تعداد سكانها في عام 1998، حوالي 7.5 مليون نسمة. وهؤلاء يعيشون في جنوب أذربيجان، الذي ضمه الفرس قديماً لبلادهم.

إن الوضع الذي أضحت عليه إيران عشية أولى حروب القرن لهو مشابه إلى حد كبير بذلك الذي كانت عليه عشية حرب الخليج الثانية. ففي حرب الخليج الثانية كان 'الشيطان الأكبر'، أي أمريكا، كما يُطلق عليها الإيرانيون، كانت تخوض حرباً مع العراق، ذلك البلد الذي كان للتو خرج من حرب ضروس مع إيران. وكان في هذه الحالة من الصعب أن تتخذ إيران موقفاً لصالح العراق 'الجارة اللدودة'، ومن الانتحار كان بالنسبة لها أيضاً الوقوف إلى جانب 'الشيطان الأكبر'، لأن باتخاذها مثل هكذا موقف، تكون قد باعت ثوبها وتخلت عن ايديولوجيتها الثورية الإسلامية. وكانت إيران مع ذلك من أوائل الرابحين من هذه الحرب، نظراً لانشغال الولايات المتحدة عنها لفترة من الزمن، وللعودة التدريجية لعلاقات حسن الجوار بينها وبين دول الخليج قاطبةً ولتقزيم جبروت جارها 'اللدود' العراق.

وفي عشية أولى حروب القرن، عاد 'الشيطان الأكبر' ليتحرش حرباً مدمرة ساحقة بأحد أعداء الثورة الإسلامية في إيران ألا وهو الحكم الطالباني في أفغانستان، الذي وصل في عام 1998 إلى شفير حرب مع إيران، لولا التعقل الإيراني والحسابات الاستراتيجية الصحيحة لحكام إيران. ومن جهة أخرى فإن إيران كانت من أكبر المتضررين من استمرار الحرب الأهلية في أفغانستان، نظراً لوجود أكثر من مليوني لاجئ أفغاني على أراضيها.

لا يكمن الخلاف بين طالبان وإيران بالجانب المذهبي فقط، من حيث أن هذه الحركة تضطهد الشيعة في أفغانستان وتطارد تنظيماتها مطاردة دموية، بل يمتد إلى الخشية التي تولدت في إيران من مغبة السيطرة التامة لطالبان على الأراضي الأفغانية، لا سيما حين كانت تُدرك أن هذه السيطرة إن حصلت كانت ستتم بدعم منقطع النظير من باكستان والسعودية و 'الشيطان الأكبر'، هذه الدول التي كانت على

خلاف وتنافس وتناقض في المصالح مع إيران. كما ساهم في هذا القلق الإيراني، ما أقدمت عليه حكومة طالبان من تصفية للدبلوماسيين الإيرانيين في مدينة مزار الشريف، عندما دخلتها حكومة طالبان. وبعد استيلاء حركة طالبان على مدينة هراة والولايات التي تُحيط بها، أصبح هنالك على حدود إيران الشرقية ليس قوة سياسية ودينية شديدة العداء لإيران وحسب، بل يُسلط على الحدود الطويلة هذه مهربي المخدرات ومسوقيها ويصل باكستان بالحركات السنية المتطرفة في الجمهوريات السوفيتية السابقة، ويضعف قوة إيران على المفاوضة في شؤون نقل النفط والغاز من منابع النفط في القفقاز.

وازداد القلق الإيراني بعدما استقبلت واشنطن وفداً من حكومة طالبان، بعدما سيطرت الأخيرة على معظم الأراضي الأفغانية. وأدركت الحكومة الإيرانية أن هذا التأييد الأمريكي لحكومة طالبان يصب في سياسة 'الاحتواء' التي تُمارسها واشنطن ضد إيران، وأبرزها هو معارضة واشنطن مد أنابيب النفط والغاز من تركمستان ومن بحر قزوين عبر الأراضي الإيرانية إلى بحر عُمان وإلى المحيط الهندي*. والبديل المفترض لدى واشنطن وشركات احتكار النفط هو المرور بالأراضي الأفغانية إلى المرافئ الباكستانية. وإذا أخذنا، للوهلة الأولى، بعين الاعتبار الزوايا السابقة، نجد أن التخلص من نظام طالبان يصب في المصلحة الإيرانية. لكن ومن خلال نظرة استراتيجية متفحصة، نجد أن استبدال هذا النظام بنظام أقوى وإدخال الهيمنة الأمريكية على أفغانستان بشكل خاص وعلى منطقة أوراسيا بشكل عام، نجد أن الأمور لا تُقاس بهذه البساطة، فقد تكون المخاطر القادمة أشد ضوراً مما كان عليه الأمر. ففي هذه الحالة قد يُتاح لواشنطن، بعد أن قضت على نظام طالبان، وجوداً دائماً سواء في بعض مناطق في أفغانستان أو في الدول المجاورة لها في الشمال والمطلة على بحر قزوين كتركمستان وطاجكستان أو أوزبكستان، التي قدمت، كما هو معروف، تسهيلات لوجستيكية كبيرة لقوات الولايات المتحدة المسلحة أثناء العمليات العسكرية ضد طالبان. ومثل هذا الاحتمال سيجعل إيران تشعر بالتطويق المباشر وبالتهديد لمصالحها ولمصادر ثروتها في بحر قزوين، وهي لا تزال لم تخرج تماماً من سياسة 'الاحتواء المزدوج' الذي لاتزال تحاول واشنطن فرضه عليها وعلى العراق. يقول وزير

---

* أعربت تقارير استخباراتية تسربت إلى كل من واشنطن ولندن وباريس وبون في تشرين الأول/اوكتوبر 1999، عن اعتقادها أنه بموجب اتفاق عُقد بين روسيا وإيران، جرى توقيعه في شهر آب/اوغسطس 1999، بين وزارة النقل الروسية ووزير الطرقات والنقل الإيراني محمد حجتي نجف ابادي، تبين أن بحر قزوين الذي يُستخدم عادةً لعمليات تهريب واسعة النطاق بين البلدين 'تحول إلى تهريب مواد ومعدات محظورة دولياً من دول اوروبية أيضاً إلى إيران.' وأصدرت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في مطلع تشرين الأول/اوكتوبر 1999، تحذيراً بانه في غضون 15 عاماً' قد يُصبح عدد من الدول، بما فيها إيران في وضع يسمح لها بايصال صواريخ بلاستية عابرة للقارات مزودة برؤوس نووية أو كيميائية أو بيولوجية إلى الأراضي الأمريكية.

الدفاع الإيراني علي شامخاني قبيل زيارته لموسكو، في معرض توصيفه لهذا الوضع: «إن توسيع الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة، ستعقبه تداعيات لا يُمكن التكهن بها.»

أما الموقف الرسمي الإيراني من الحرب التي تشنها أمريكا ضد الشعب الأفغاني، فكان منددأ وشاجبأ. ويمكن تلخيص الموقف المتشابه الذي كانت عليه، إبان حرب الخليج الثانية، وأصبحت عليه، إبان أولى حروب القرن، إيران، بأنها في الحالتين رفضت الوجود الأمريكي والحربين معاً، من دون أن تبدي أي اعتراض على التخلص من النظامين إن كان ذلك ممكناً من دون أي مشاركة إيرانية أو الدخول في أي تحالف. وكما أطلق على الموقف الإيراني بعضهم، حين قال أنه موقف 'المتفرج الايجابي'.

ويجدر القول أن هذا هو الموقف الإيراني العام، إن كان من قبل الإصلاحيين أو من قبل المتشددين، أما التفاصيل والتكتيك فهما يختلفان حولها أحدهما عن الآخر. فبتأثير من قبل الأغلبية الاصلاحية في البرلمان استصدر الأخير توصية بضرورة اجراء حوار مباشر مع الإدارة الأمريكية بخصوص المستقبل السياسي لأفغانستان، وذلك انطلاقاً من 'الحفاظ على الأمن القومي الإيراني'. والإصلاحيون ينطلقون من فكرة أنه 'ليس هنالك من صديق دائم ولا عدو دائم.' هذا وتجدر الإشارة إلى أن هذا الأمر والتشاور كان حاصلاً من خلال لجنة الـ 6 + 2، وهذا منذ بداية الأزمة الأفغانية (1996). وتضم هذه اللجنة أمريكا وروسيا والدول المجاورة لأفغانستان (إيران، باكستان، أوزبيكستان، طاجكستان، تركمنستان والصين). ونستطيع القول أن اختلاف الموقف بين الإصلاحيين والمحافظين في إيران ينحصر بأن الأولين ينتقدون كل من الولايات المتحدة وطالبان على التوازي: 'أندد بالقادة الظلاميين في أفغانستان الذين ينشرون العنف والحرب والمخدرات عبر العالم تحت غطاء الإسلام - الرئيس خاتمي'. 'أدين الضربات الأمريكية ضد شعب بريء وأعزل .. ضحية اعتداء القوى العظمى - الرئيس خاتمي'. وذات الموقف كرره نائبه محمد على أبطحي، حين صرح قائلاً: 'إن الهجوم الأمريكي على شعب أفغانستان المقموع والبريء، قد يؤدي إلى تأجيج جذوة الأفكار المتخلفة والضالة، مثل تلك التي تؤمن بها طالبان في العالم الإسلامي.'

أما على جبهة المحافظين في إيران فكان التركيز في هذه الحرب يدور على الولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الأولى. فها هو محسن رضائي، أمين عام مجلس تشخيص مصلحة النظام، والقائد السابق للحرس الثوري، والمقرب من مرشد الثورة آية الله خامنئي، يهاجم الإدارة الأمريكية، مُعتبراً 'أنها ستصل إلى الاقتناع بعدم قدرتها على إدارة شؤون العالم'، ورأى 'أنه من غير الطبيعي أن يصبح الأمريكيين آمنين لأنهم يسببون الأزمات في العالم.'

وفي نهاية المطاف، يبدو أنه تم الاتفاق بين الطرفين الاصلاحي والمحافظ على موقف رسمي، يُلخص بالآتي: (إدانة الارهاب بكل أشكاله، بما في ذلك ما جرى في 11 أيلول/سبتمبر؛ رفض التعاون مع الولايات المتحدة، وعدم الدخول في التحالف الدولي الذي تقوده ضد الارهاب؛ رفض واستنكار العمليات العسكرية التي تخوضها الولايات المتحدة ضد الشعب الأفغاني؛ التأكيد على دور الولايات المتحدة في مكافحة الارهاب، مع وجوب التمييز بينه وبين المقاومة الوطنية المشروعة.)

هذا وعلى الجانب الآخر، كانت المعارضة الأفغانية الشمالية تدعو دائماً إلى ضرورة التعاون بين الولايات المتحدة وإيران بشأن المسألة الأفغانية: 'إن التعاون بين الولايات المتحدة وإيران يشكل قضية صعبة، نظراً لبعض المعطيات الدبلوماسية. وبطبيعة الحال سيكون الوضع أحسن بكثير لو كانت العلاقات عادية بين الولايات المتحدة وإيران، لأن إيران البلد الشيعي، تؤدي دوراً هاماً منذ فترة طويلة في الحرب الأهلية الدائرة في أفغانستان، وهي حالياً من أقوى دعائم التحالف الشمالي السني الذي يُقاوم طالبان. - عبد الله عبد الله، وزير خارجية التحالف الشمالي.' هذا وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من تقرب الإدارة الأمريكية من التحالف الشمالي في السنوات الأخيرة، فإن الدعم الرئيسي لهذا التحالف يأتيه من روسيا وإيران وأوزبكستان وطاجكستان.'لم تكتف إيران بدعمنا بالوسائل الدبلوماسية، بل إنها تقف إلى جانبنا في العديد من المجالات، بما فيها الصعيد العسكري - عبد الله عبد الله، وزير خارجية التحالف الشمالي.' وكانت إيران قد قدمت في السابق أيضاً دعماً عسكرياً أساسياً لفصيلي الهزارة والمسلمين الشيعة المنتمين لحزب الوحدة*، الذي يؤكد أنه يمثل 15٪ من الأفغان والذي كان يُقاتل من أجل استعادة السيطرة علىجبال وسط وشمال البلاد.

في الآونة الأخيرة وفي 18 تشرين الثاني/نوفمبر 1999، يُذكر أن إيران قد فتحت حدودها المشتركة مع أفغانستان (طالبان) وذلك بعد أن تلبدت الأجواء بين البلدين لمدة تزيد عن السنة. وساهمت في اتخاذ هذا القرار مباحثات مسؤولين من البلدين، سياسيين وتجاريين، عقدت في مدينة مشهد الإيرانية. ويُعتقد أن هذا القرار كان له علاقة بالحصار الذي كانت قد فرضته الأمم المتحدة على أفغانستان في 14 تشرين الأول/اوكتوبر 1999 (مشروع القرار 1267)، وبالقرار الباكستاني بمنع تصدير ودخول المواد الغذائية والمحروقات إلى أفغانستان، ورداً على قرار تركمنستان بالموافقة على خط أنابيب النفط والغاز (باكو - جيهان).

* يذكر هنا أن حكومة طالبان كانت قد ألقت بزعيم هذا الحزب من طائره هيليوكبتر حياً، بعد أن كانت قد اعتقلته.

وعلى صعيد آخر، وكلما أصبحت إيران تشكل أحد أطراف صراع إقليمي أو إقليمي على مستوى عالمي أو قريبة منه، يسيل اللعاب اليهودي، وتُستنفر أجهزة الدعاية والإعلام الغربية المؤيدة لإسرائيل، وذلك لتحريض الغرب وبالأخص الإدارة الأمريكية على الخطر الذي تُشكله إيران، من جهة امتلاكها أو وشوك امتلاكها لأسلحة الدمار الشامل. فإسرائيل لا تُفرق بين العالمين العربي والإسلامي، فالخطر النووي الباكستاني بالنسبة لها، على رغم بعده الجغرافي، يُماثل خطر امتلاك سوريا لصواريخ سكود، وامتلاك دول عربية أخرى طائرات حربية متطورة بعيدة المدى. لذا فإن امتلاك إيران القدرة النووية يندرج في إطار الخطر نفسه على تفوق آلة الحرب الإسرائيلية المطلق. فحين اشتكت إسرائيل أبان حكومة بنيامين نتنياهو من حصول إيران على تكنولوجيا الصواريخ من روسيا وما يشكله هذا من تهديد لأمنها القومي، ابتكرت واشنطن تعبير 'الدول المارقة'، الذي شمل كوريا الشمالية وإيران والعراق وكوبا، وتذرعت بأن حصول هؤلاء على السلاح النووي يهدد أمن أمريكا بالذات. فكيف بالإدارة الأمريكية اليوم وهي على أبواب نصر 'استراتيجي عظيم'، كيف بها لاتستغل هذه المناسبة مع حليفتها الأولى إسرائيل لتعيد فتح ملفات كانت نصف مغلقة، فلربما في غفلة من الزمن استطاعت إسرائيل أن تستغل هيمنة حليفتها على المنطقة عسكرياً وسياسياً بحجة مكافحة الإرهاب، وأن تقوم بما قامت به عام 1981 ضد المفاعل النووي العراقي 'تموز'، موجهة طائراتها، هذه المرة، ضد مفاعل 'بو شهر الإيراني'.

في منتصف شهر كانون الثاني/يناير عام 2002، زار إسرائيل وفد أمريكي رفيع المستوى، مؤلف من خبراء من وزارة الدفاع الأمريكية ومسؤولين من لجنة الخارجية والأمن في الكونغرس، لمواصلة البحث مع رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي الجنرال عوزي دايان ووفد خبراء وزارة الدفاع حول 'المصالح الدفاعية المشتركة للبلدين'. ومن مراجعة أجندة البحث تبين أن الموضوع المركزي في البحث هو السلاح النووي الإيراني. فحسب مصدر إسرائيلي رفيع المستوى، فإن 'معلومات دقيقة وموثوقة وصلت إلى كل من واشنطن وتل أبيب، أفادت بأن إيران تبني قوة عسكرية نووية. وأن شركة روسية تبيع إيران تلك المواد المستخدمة في تخصيب اليورانيوم.' وحسب المعلومات الإسرائيلية فإن هنالك أكثر من 12 مركز بحث خطير في الشؤون النووية في إيران، لكن أكبرها وأخطرها هو المفاعل النووي الواقع في مدينة بو شهر، الواقعة في الجنوب الغربي من البلاد، وقد بدء ببنائه في عهد الشاه، وعندما انتصرت ثورة الخميني تقرر المتابعة فيه كجزء من إجراءات الردع. وتدعي إسرائيل أن انتفاضتها المتجددة بشأن بو شهر، لا علاقة لها بأحداث أيلول/سبتمبر، فكل ما في الأمر أن الصورة القديمة من هذا المفاعل والتي وفرها الروس، لم تكن بجودة تتيح معرفة ما يدور فيه. وأننا حصلنا في أيلول/سبتمبر 2001 على صورة جديدة التقطها القمر الصناعي 'ايكونوس' توضح

كثيراً من الأمور وتثير القلق. ومن الملفت للنظر أن جميع من يتعاطى من الإسرائيليين بالشأن الإيراني العسكري، يُجمع على أن الهدف من هذا التسليح هو تدمير إسرائيل، وليس فقط المفاعل النووي. فهم دائماً لا يزيحون من أمامهم ذلك الشعار الذي رفعته ثورة الخميني في أيامها الأولى والذي نادى بتدمير الدولة العبرية* .

وفي المقابل استجاب الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش للنداء الذي وجهته إسرائيل ولتحريضها المستمر ضد إيران، استجاب له باستصدار مصطلح آخر هذه المرة، ألا وهو: «**محور الشر**»، الذي بقيت تشكله، كما كان أيام محور 'الدول المارقة'، أي كل من إيران وكوريا الشمالية والعراق، ناقصاً فقط كوبا. فإلى أين سيصل القلق** الإسرائيلي والأمريكي من حقيقة وجود مفاعل بو شهر الإيراني، وعدم تراجع روسيا عن التعاون في المجال النووي مع إيران، على الرغم من المطالبات المستمرة منها إن كان من قبل إسرائيل أو من قبل أمريكا بالكف عن ذلك. وبشكل مبسط وصريح، تحاول إسرائيل أن تستغل التطورات والتداعيات العالمية والإقليمية والمحلية لما بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر. ففي 15كانون الثاني/يناير2002 أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون أن إسرائيل في أفضل وضع استراتيجي لها، بعدما كشفت أحداث 11 أيلول/سبتمبر ما كانت تقوله دولته ولا يصدقها أحد، وما كانت فعلته وتفعله وتدعو إلى فعله ولا يوافقها أحد، حسب قوله.

جاء التصعيدان اللذان أتيا من كل من الإدارة الأمريكية وإسرائيل، كل لأسبابه الخاصة والمشتركة. فالمعلن لدى إسرائيل هو أن إيران تقوم بتهريب الأسلحة إلى الفلسطينيين، كان آخرها السفينة 'كارين إيه'*** ، التي زعمت إسرائيل أنها ضبطتها في البحر الأحمر وعلى متنها 50 طناً من الأسلحة، فضلاً عن أنها تدعم التنظيمات الفلسطينية المسلحة، خاصةً الجهاد الإسلامي وحركة حماس، بالإضافة إلى حزب الله اللبناني، الذي أمدته مؤخراً، حسب القول، بحوالي 8000 صاروخ كاتيوشا، الأمر الذي

---

* في العام 1979، تلقت رئاسة الوزراء الإسرائيلية اقتراحاً يفوق الخيال من أرييل شارون وبعض من جنرالات الجيش الإسرائيلي، يقضي بإرسال فرقة كبيرة من قوات المظليين الإسرائيليين لاجهاض الثورة في طهران وإعادة شاه إيران إلى العرش.

** عندما التقى النائب العربي في الكنيست الإسرائيلي عصام مخول شيمون بيريس، خصيصاً لطرح مشكلة التسلح النووي وضرورة الاعلان عن الشروع بوقف سباق التسلح النووي في الشرق الأوسط، كون بيريز أهم من ربط اسمه بعملية السلام، كان رده مقتضباً، وقال مختصراً: 'لا يهمني إذا كان في العراق مفاعل أو أسلحة ذرية. فيكفي أن أعرف أن هنالك أكثر من خمسين ألفاً من العراقيين هم خبراء وعلماء ذرة، وفي إيران الشيء ذاته، فهذا وحده كاف حتى لا أنام في الليل.'

*** تُشير المصادر الاستخباراتية الغربية، إلى أن قضية هذه الباخرة هي قضية مشبوهة وملتبسة للغاية. ولا يبدو أن هنالك أحداً يعرف بالضبط من هو المالك الحقيقي لهذه الباخرة، ولا من أين أتت بالأسلحة، وما هي الجهة المرسلة إليها. وتقول هذه المصادر أنه من الجائز أن تكون القضية بكاملها مختلقة من قبل جهاز 'الموساد' الإسرائيلي، بهدف تحريض الرأي العام الأمريكي ضد إيران. باتريك سيل، صحيفة الحياة 8 شباط/فبراير 2002.

جعل سكان مستوطنات شمال إسرائيل يعيشون تحت رحمة هذه الصواريخ. ويضاف إلى ذلك ما تدعيه إسرائيل من أن ايران سوف تمتلك خلال 3 أعوام أسلحة نووية تستطيع أن توصلها قذفاً إلى إسرائيل. من خلال الصواريخ 'شهاب 1، 2، 3، 4'*، التي تتراوح أمديتها بين 500 و 1300 كم. أما الولايات المتحدة فتطرح أسباباً أخرى مكملة، تدور حول إيواء إيران لعناصر من حركة 'القاعدة' في المرحلة الأخيرة من حربها ضد أفغانستان، وأنها تُمارس أعمالاً من شأنها إفشال حكومة 'قرضاي' في أفغانستان، المدعومة من قبل أمريكا، فضلاً عن نفس السبب الذي تدعيه إسرائيل من حيث وشوك امتلاكها للسلاح النووي.

يمكن تفسير التحول المفاجئ في سياسة الولايات المتحدة تجاه إيران، وإطلاقها مقولة محور الشر، يمكن تفسيره بعاملين؛ التأثير المتنامي والكبير لإسرائيل واللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة؛ أما العامل الثاني فيكمن بانتصار هيمنة الصقور على الإدارة الأمريكية، وعلى رأس هؤلاء وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد. ويرى الملتفون حول هذا التيار أن إيران لا زالت تُشكل عقبة أمام المصالح الأمريكية في منطقتي أوراسيا والخليج العربي.

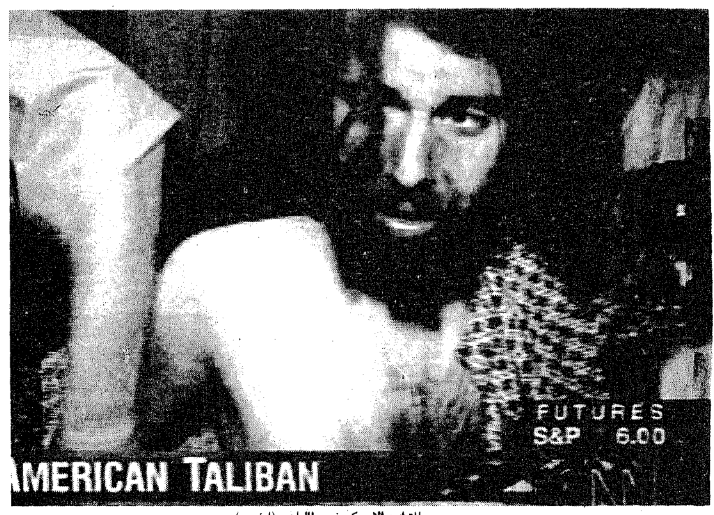
لم تتوقف إسرائيل، منذ إسقاط حكومة الشاه، الحليف القديم المضمون لإسرائيل عام 1979، عن إقناع العالم ولا سيما أمريكا، بأن جمهورية إيران الإسلامية وقواها المناضلة في الجهاد الإسلامي، يُشكلان خطراً وتهديداً كاملاً، ليس على الشعب اليهودي فحسب، وإنما على الإنسانية جمعاء. وليس من الصعب معرفة الأسباب الحقيقية لهذا العداء الإسرائيلي لإيران، ففي لغة الجغرافيا السياسية الإقليمية، تُشكل إيران الدولة الوحيدة القادرة على تحدي التفوق الإسرائيلي بنجاح. ثم أن التحالف الاستراتيجي مع سوريا ودعمها لـ'حزب الله' في لبنان، أثرا ويُثيران حمق وغضب إسرائيل. أضف إلى ذلك التقارب الأخير مع المملكة العربية السعودية، الذي مكن إيران من كسر طوق سياسة 'الاحتواء المزدوج' التي كانت تنتهجها الولايات المتحدة ضدها، والإنفتاح الأخير الذي حصل بين كل من إيران وسوريا والعراق، الأمر الذي يُرجع إلى الأذهان فكرة 'الجبهة الشرقية الثلاثية'. وفوق كل شيء آخر، تلك الإشارات الدالة على احتمال 'ذوبان الجليد' في العلاقات الأمريكية الإيرانية، بعد مجيء الإصلاحيون إلى الحكم في إيران.

---

* ومن جهتها إسرائيل، تحاول ردم هذه الفجوة. فقد صرح رئيس اللجنة البرلمانية للشؤون الاستراتيجية العسكرية في الكنيست الإسرائيلي، يوفال شتاينس قائلاً: أعددت برنامجاً للمستقبل المنظور في محاولة لايجاد الحلول، لأن إسرائيل قادرة حالياً على الرد بواسطة ذراعها الطويلة، طائرات سلاح الجو، التي بوسعها الوصول إلى أهداف إيرانية بفضل تقنية تزويدها بالوقود في الجو. ولكن هذه الطائرات لا يُمكن أن تحسم معركة أو حرباً على بعد كبير. ولذا اقترحت تطوير سلاح البحرية الإسرائيلي ليستطيع القيام بعمليات عسكرية في المحيط الهندي والخليج، بحيث ترابط قطع بحرية إسرائيلية في المياه العميقة هناك، لتُشكل تهديداً استراتيجياً لايران والعراق على حد سواء، وقوة ردع فعالة تحول دون تعرض إسرائيل لهجوم من قبل هذين البلدين.

المسلمون في أمريكا

قبل وبعد أحداث أيلول / سبتمبر



المتطوع الاميركي في «طالبان». (ا ف ب)

كان المسلمون الأفارقة ولوقت طويل يُمثلون أكثر مجموعة اثنية بين المسلمين، إذ كانوا يُشكلون ثلث المجموع الكلي. ويمثل مسلمو الولايات المتحدة المنحدرين من أصل عربي 32٪ من مجموع المسلمين الأمريكيين؛ في حين أن الأمريكيين الأفارقة ومن هم من أصل آسيوي جنوبي فيمثلون 29٪، ومن هم من أصل تركي 5٪، ومن هم من أصل إيراني 3٪. وأظهرت دراسات أخرى نسبة مئوية أعلى لمن هم من أصل آسيوي جنوبي ونسبة أقل للسود، ولمن هم من أصل عربي. وذكرت دراسة أجريت عام 1992، أن السود يُشكلون 42٪ . وفي عام 1984، قدر عدد السُكان المسلمين في أمريكا المنحدرين من أصل إفريقي بمليون نسمة، والقادمين من الشرق الأوسط بـ 900 ألف نسمة، ومن باكستان والهند 450 ألف نسمة، والبقية جاءت من البلقان وألبانيا وتركيا وإيران وشمال إفريقيا.

قدم معظم المسلمين الأوائل من إفريقيا مكبلين بالسلاسل. كانوا سوداً بيعوا كأرقاء ابتداءً من عام 1530 في غرب إفريقيا لتجار بيض، وشحنوا عبر المحيط إلى البرازيل، ثم إلى منطقة الكاريبي، وبعدئذ إلى المستعمرات البريطانية التي أصبحت فيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية. ويقدر أنه عبر السنين وفي أحد أسوأ الفصول المخزية من تاريخ أمريكا، أُسترق على نحو دائم في أمريكا ما يُقارب الـ10 ملايين إنسان، كان زهاء 25٪ منهم مسلمين، أرغموا على التخلي عن دينهم.

وقدم المسلمون الآخرون إلى الشواطئ الأمريكية طواعية، وكان بعضهم من أوائل النازلين بأمريكا الشمالية. وتشير وثيقة قديمة إلى أن البحارة المسلمين قدموا إلى أمريكا الشمالية عام 1178، أي قبل ثلاثة قرون من رحلة كولومبوس الأولى. وكان بعض أولئك البحارة من الصين وآخرون من غرب إفريقيا. وفي عام 1312، كان مسلمون من منطقة مالي في إفريقيا، أول من استكشفوا المناطق الداخلية التي أصبحت فيما بعد الولايات المتحدة، مستخدمين نهر الميسيسيبي طريق مرور لهم. وفي عام 1494، كان عدة بحارة مسلمين بين بحارة كريستوف كولومبوس أثناء رحلته الناجحة إلى العالم الجديد. كما عثر على وثيقة يشير فيها العالم العربي الإدريسي* إلى أن ثمانية مستكشفين مسلمين قد اكتشفوا قارة جديدة قبل ذلك بعدة سنوات.

---

* هذا ويذكر المؤرخون أن هنالك ثلاث رحلات كبرى للعرب المسلمين إلى أمريكا: ذكر الرحلة الأولى المؤرخ المسلم أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي في كتابه . مرج الذهب ومعادن الجوهر . «إن الملاّح المسلم خشخاش بن سعيد بن أسود القرطبي من قرطبة قد أبحر من ميناء بالوس في دلبا سنة 889 م، خلال حكم الخليفة المسلم

كان بين المهاجرين المتأخرين مسلمون من اسبانيا وشمال إفريقيا، هربوا من محاكم التفتيش الكاثوليكية وانضموا إلى المستكشفين الإسبان. واستقر بعضهم في فلوريدا وجنوب غربي الولايات المتحدة. وكان ثمة مسلمون من الصين، ساعدوا ببناء شبكة السكك الحديدية عبر القارة. وبدأت أضخم هجرة للمسلمين في أواخر ستينيات القرن العشرين، أغلبها من جنوب آسيا والدول العربية. وكانت هجرات المسلمين الرئيسية قد بدأت بعد الحرب الأهلية الأمريكية، وتزامنت الهجرات الأخرى مع الحروب وفترات الركود الاقتصادي. وبحلول عام 1995 أصبح بالإمكان تقسيم المسلمين الأمريكيين بالتساوي بين مهاجرين ومولودين، ممثلون في خمسين مجموعة إثنية مختلفة.

لا يعبر التطرف ضد المسلمين القاطنين الذي شاهدته المدن الأمريكية في الأيام الأولى عقب احداث 11 أيلول/سبتمبر، عن عقائد وتطلعات المجتمع الأمريكي قاطبة، بل عن تصرفات غير مسؤولة وتكون أحياناً مفتقدةً لأبسط قواعد المنطق◆ ، جاءت غالبيتها من جراء تأثير الصدمة التي أصابت المجتمع الأمريكي عشية الحدث. ولقد تصدى مفكرون وسياسيون وإعلاميون أمريكان لحملة العنف الموجهة ضد المسلمين في أمريكا مدافعين عن الإسلام كعقيدة ربانية، لاتختلف برأيهم عن العقائد السماوية الأخرى بدعوتها للتسامح ورفض العنف والإرهاب وممارسته، مفندين ذلك انطلاقاً من بعض آيات القرآن، كقوله تعالى في سورة المائدة، الآيه 33:'إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أوتقطع أيديهم وأرجلهم على خلاف أو ينفوا في الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم.'

في اسبانيا عبد الله بن محمد '888 . 912م' ووصل إلى أرض غير معروفة وعاد بعد ذلك ومعه خزائن عظيمة. كما أشار المسعودي في خريطة العالم إلى أن هنالك منطقة واسعة من المحيط الأطلسي سماها محيط الظلام والضباب، وذكرها تحت اسم الأرض المجهولة.« والرحلة 'الهجرة' الثانية، تمت على شكل ترحيل، بعد سقوط مملكة غرناطة. فقد هجر إلموريكيين وغيرهم من أبناء العرب، الذين بقوا في الأندلس إلى أمريكا. والهجرة الثالثة، بدأت مع سقوط الأقطار الإسلامية بيد الغرب. وكانت ميزة هذه الهجرة أنها شملت الأقطار العربية قاطبة، لا سيما بلاد الشام. وقد شهدت هذه الحقبة لونين من الهجرة: هجرة المغاربة إلى أمريكا الشمالية، كندا والولايات المتحدة، وهي في مجملها تمت بطريقة جماعية. أما اللون الثاني فقد تم في وقت التحمت فيه المجاعة بالحروب، وخاصة في عهد السلطة العثمانية، منذ عام 1860م، حيث بدأ التفكير بالهجرة، بحثاً عن العيش الكريم، وطمعاً بالثروة. والذي يعود إلى أدباء المهجر يُدرك أن أهداف هذا اللون من الهجرة كان مادياً، لكنها تحولت إلى كابوس نكد على معظم المهاجرين، مما حدا بالبعض منهم إلى ايجاد بعض المخارج، فألفوا الجمعيات والرابطات.

أما هجرات القرن العشرين فطغى عليها هجرات كبار الصناع والتجار وأصحاب المؤسسات واليد العاملة الشابة والمتخصصة، وهجرة الأدمغة الباحثة عن تحقيق ذواتها، والطلاب الذين يريدون التخصص والدراسات العميقة.

◆ كانت التهمة التي وجهت لمؤسسة الأرض المقدسة، حين صدر قرار بتجميد أموالها، هي أن أحد المستفيدين من اليتامى الأطفال في فلسطين الذين وجهت إليهم الجمعية معونات هو ابن أحد الاستشهاديين. هذا وقد استنكرت المؤسسات الإسلامية الأمريكية هذا الإجراء واعتبرته مناف للمنطق والإنسانية.

استشهد بهذه الآية الكاتب الأمريكي انطوني سيلفان وهو استاذ في جامعة ميتشيغان وعضو مركز دراسات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، استشهد بها في خطاب وجهه إلى الشعب الأمريكي عبر وسائل الإعلام. وهو يرى أن الأعمال التي أُرتكبت في 11 أيلول/سبتمبر، إن كانت أُرتكبت من قبل مسلمين*، فلم يقم بها سوى مسلمين مرتدين

---

* جاء في رسالة وجهها أفرايم هاليفي، رئيس جهاز الموساد الإسرائيلي في 20 أيلول/سبتمبر 2001 إلى أرييل شارون، ما يلي: كيف يمكن أن نحرك العالم ضد العرب والمسلمين؟ هذا هو السؤال الذي طرحته عليّ يوم هنئتك بفوزك في الإنتخابات.. ويومها قالت لي زوجتي: 'عليكم أن تُشعلوا العالم إذا أردتم أن تدفأ إسرائيل...' منذ أيام استاذنا الأكبر دافيد بن غوريون، ونحن نحاول فصل جغرافيا الشرق الأوسط عن تاريخه دون جدوى، حتى اهتديت إلى فكرة تفتيت الجغرافيا بواسطة التاريخ. وهكذا وجهنا خيرة جواسيسنا لاختراق التنظيمات الاسلامية المتطرفة ومتابعة نشاطاتها.. وبما أن العرب الأفغان هم الأكثر تطرفاً وتمثلاً للتاريخ، فقد تابعنا تحركاتهم في مصر والخليج واليمن وأفريقيا وألمانيا والولايات المتحدة وطاجكستان، فهؤلاء المتطرفون كما تعلم يتقمصون شخصية السلف الصالح ويتكنون بهم (أبو حمزة، أبو قتادة، أبو حفص، وأبومحجن..)... كما ترى فإن عمل الأذكياء لا يتحقق إلا على ظهور الأغبياء والحمقى، ونحن نحمد رب إسرائيل على هؤلاء الحمقى، الذين لولاهم لبقيت أفكارنا مجرد حبر على ورق..فمنذ البداية أردنا أن نقوم بعمل يستفز أمريكا والعالم ضد العرب ويحجم وجودهم في الغرب المسيحي لكي تخلو الساحة لإخوتنا.وعلى أي حال فقد قام الإرهابيون العرب بأكثر مما كنا نأمل منهم، ولم نتخيل أن تصل جرأتهم ووقاحتهم إلى درجة التفكير بضرب البنتاغون، إذ أننا أوحينا لهم فقط بالبيت الأبيض ومركز التجارة العالمي..لكن مشيئة الرب أرادت أن تقدم ماما أمريكا أضحيتها لكي يسهل ربنا أعمالها القادمة..كان لا بد أن تتوقع بأننا نعرف شيئاً ما، عندما نصحناك بعدم السفر إلى الولايات المتحدة للقاء الرئيس بوش يوم الحادثة. لكن لم يكن من الممكن إعلامكم بالحدث، لكي لا تُخطأ باستغلاله سياسياً مع بوش للخروج من أزمتك مع الفلسطينيين. ولا شك أنك توافقنا على أن الخروج بإسرائيل من التيه أهم من مساعدتك كفرد إسرائيلي يريد النجاح...أما الآن فنريد منك أن تتأكد من أن هذا من عمل وإنجاز رجالنا..لقد كنا قد ساعدنا بإنشاء خلية إسلامية متطرفة تدعي تبعيتها لـ'القاعدة'، إذ ليس بالضرورة أن تتبع خلايا القاعدة لأسامة بن لادن مباشرة، وإنما هي خلايا تتشكل باجتهاد بعض الأصوليين، وفيما بعد يقوم بن لادن بتوجيه بعض رجال أعماله لتمويلها ودعمها في أي بلاد تتشكل فيها، وفي اكتشافها فإن خيط التحقيق ينقطع قبل وصوله إلى ابن لادن شخصياً..إذاً قمنا بتوجيه عميلنا وهو من رفاق بن لادن القدامى، كنا قد جندناه في نيروبي، أيام كانت ماما أمريكا تدعم الطالبان، وأوهمناه أننا من المخابرات العراقية..لقد وجهنا عميلنا المزدوج لكي يُشكل خلية في ألمانيا، ثم بعد نجاحها شكلنا ثلاث خلايا في الولايات المتحدة، ووجهنا بعض عناصرها للدخول إلى كليات الطيران المدني، بهدف تنفيذ خطتنا 'طير الأبابيل'.وعلى كل فقد كانت عملية 'طير الأبابيل' بسيطة للغاية، فبعد إعادة الكشف على الطائرات التجارية التابعة لخطوط (أميركان ويونايتد ايرلانز) قام عملاؤنا بوضع أسلحة خفيفة وأقنعة واقية من الغازات في أماكن معينة داخل تواليتات الطائرات، كما استبدلنا اسطوانات إطفاء الحريق الموجودة على متن الطائرات بأخرى مليئة بالغاز المنوم للتأكد من أن أحداً لن يقول شيئاً قد يُسجل في الصندوق الأسود للطائرة، ولك أن تتخيل ما جرى في الداخل..لقد كانت عملية نظيفة تماماً..إن أفضل ما نفعله هو استثمار إرهاب الآخرين وفتح السبل أمامهم لكي نصل إلى مبتغانا.هذه كانت فكرة زعيم الموساد السابق يوري ساغي، عندما بدأنا بتنفيذ بعض التفجيرات داخل إسرائيل كلما أردنا شن هجوم على الفلسطينيين.. لقد اتفقت أنا وكبار ضباط الموساد على أن ندفع الإرهاب الإسلامي إلى أقصى مداه يهدف اختصار الزمن الذي لم يعد لصالح إسرائيل. بالإضافة إلى أننا رأينا أن ندفع قادة أمريكا نحو سياسة رعاة البقر، لكي تستعيد أمريكا تلك الروح الغازية، التي أزالت الهنود الحمر من الوجود. ولا أحد يمكنه أن يُنكر أن هذه الضربة قد وفرت للولايات المتحدة فرصة حقيقية لسوق دول العالم تحت أمرتها ضمن ما يُسمى بالتحلف الدولي، وبضمنه الصين وروسيا وأوروبا، وتأكيد نظرية القطب الأوحد، قطبنا الذي نتعلق بحبله السري.فإذا لم يتحرك قادة أمريكا بقوة لنيل استحقاقات العولمة، بعد هذه الضربة، فإن لدينا حادثاً آخر سوف

عن الدين الإسلامي، فالقرآن (حسبه) لا يأمر بالحرب إلا 'دفاعاً عن النفس ولحماية المسلمين. والمسلم المؤمن عاجز عن تبرير ما وقع في أيلول/ سبتمبر. ويقول: صحيحٌ أن القرآن يحتوي على فقرات تتحدث عن العنف. ولكن العهد القديم لا يخلو منها أيضاً. ورد في سفر التثنية (42.32): 'اسكر سهامي من الدماء وسيفي يأكل لحماً من دماء الضحايا والسبايا ومن رؤوس العدو والشعراء. وكل من يتذرع بالاسلام لتبرير العنف، هو من الجاهلين لحقيقة الإسلام. فكم من المؤتمرات والمحاضرات عقدها زعماء دين مسلمون، بينوا فيها أن الإسلام ليس عدواً للغرب، واستبعدوا فيها فكرة 'صراع الحضارات'، وكنت قد شاركت في بعضها* .

وفي 24 أيلول/سبتمبر وجه أكثر من 70 زعيماً مسلماً بياناً نددوا فيه بالاعتداءات على الولايات المتحدة التي قتلت آلاف الأبرياء من أكثر من ستين بلداً، ووصفوا الحوادث بـ'المأساة'، معتبرين أنها جريمة ضد البشرية. وأضافوا أنه يجب معاقبة مرتكبي هذه الإعتداءات دونما تساهل. إن من يكتب عكس ذلك، هو ممن يضلل الرأي العام الغربي، ويُعادي الإسلام، ويجب أن يعلم هؤلاء الذين يصرون على ترويج فكرة معاكسة أن العالم الإسلامي هو أول الرافضين لها. وبدل أن يتصرف الأمريكيون والغربيون عموماً بعداء تجاه العالم الإسلامي، يجب أن يعلموا أن الغضب الذي تكنه الشعوب الإسلامية للولايات المتحدة ينبع من سخط مسلمين ومسيحيين وغيرهم على سياسات الولايات المتحدة في انحيازها لإسرائيل على حساب الفلسطينيين، وعدم رفع العقوبات عن العراق، ما أدى إلى مقتل نصف مليون طفل عراقي وفشلها في دعم الحريات الفردية. وأولئك الذين يطوبون الإسلام كعدو للغرب، لا يأتون أبداً على ذكر هذه القائمة من الشكاوي التي يتعاطف معها زهاء 6 . 7 مليون أمريكي مسلم، ولا يمنحونها أية مشروعية.

وهنا نستطيع القول إنه ليس من قبيل الصدفة أن يكون الذين يعلنون الإسلام عدواً للغرب هم أنفسهم أشد المنحازين لإسرائيل، أو هم إسرائيليون. فالإسلام لا

يطير صوابها ويجعلها تندفع نحو ما نُريد، دون تفكير أو روية.. فنحن الآن بصدد تدريب بعض المتشددين على استخدام قنابل كيميائية وبيولوجية. (المصدر: صحيفة النور السورية، العدد 30 . 2 ـ 12 ـ 2001 ـ نبيل صالح.)

* لعل من أكثر المبادرات المعاصرة الواعدة بالحوار بين الأديان والحضارات 'حلقة التراث والتقدم'. وهي منظمة تجمع مفكرين بارزين غربيين ومسلمين، يسعون إلى استكشاف التحدي العالمي للحداثة العالمية ومواجهتها. والأرضية الفلسفية المشتركة هي توجهات مفكرين مسلمين وغربيين كتوماس أكيناس وادموند بورك واريك فوغلن وغيرهارت نايماير وراسل كيرك. وتُمثل هذة المنظمة مسعى عالمياً وعملياً يُشرك الغرب والعالم الإسلامي في التصدي لآفات الحداثة التي تُهددنا جميعاً اليوم. يقول إعلان المنظمة:'نحث على بناء علاقات دولية على أساس احترام الحضارات المختلفة، ونرفض أي محاولة لتصدير أنظمة حضارية جاهزة وفرضها، أو دعم الأنظمة الديكتاتورية، أو عرقلة الأنظمة الديمقراطية، ولا بد من إفشال مساعي العودة إلى الحرب الباردة بأهداف إسلامية، أي جدل الإسلام في مواجهة الغرب أو العكس. نحن متحدون في اعتقادنا بأن صيغاً مانوية كهذه سوف تعرقل التعاون بين المسلمين والغرب، وقد تُؤدي مع مرور الزمن إلى جر آثار سلبية ودرامية على الاستقرار والسلام العالمي'.

يُشكل بأي صورة من الصور تهديداً للغرب، ولكن وجهه السياسي يُشكل تهديداً لإسرائيل. وإنصح هذا القول فالمشكلة هي مشكلة إسرائيل لا مشكلة الغرب. ويمكن لإسرائيل وحدها أن تُضعف حدة هذه المشكلة، وذلك عبر معاملة جيرانها، وخصوصاً الفلسطينيين معاملة عادلة وحسنة.

كما تكتسب آراء جيمس ويلزي، مدير وكالة المخابرات المركزية السابق، حيال أحداث واشنطن ونيويورك، أهمية بالغة، تنبع من كونه يُعتبر من الشخصيات السياسية الأمريكية الرفيعة المستوى، وهو من الداعين إلى ضبط النفس وعدم الانجرار وراء ردات الفعل، التي يرى أنها لا تصب لا في مصلحة العالم ولا الولايات المتحدة: «لدينا عدوان لدودان: المسلمون الذين يكرهون أمريكا، والأمريكيون الذين يكرهون الإسلام.»

وإذا تجولنا في الولايات الأمريكية واستطلعنا الرأي العام الأمريكي بشكل عام وأجرينا حوارات مع من يمثلونه بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر، يُمكننا أن نرى الآتي على أرض الواقع:

في 13 أيلول/ سبتمبر _ شجبت الجماعات الإسلامية بسرعة الهجمات الإرهابية على مبنى مركز التجارة العالمية في نيويورك ومبنى وزارة الدفاع الأمريكية في واشنطن يوم 11 الجاري.

وقال رؤساء تسع جمعيات أمريكية إسلامية رئيسية في رسالة مشتركة وجهوها إلى الرئيس بوش يوم الحادث إن «الأمريكين المسلمين، الذين شجبوا اليوم بصورة لا لبس فيها الهجمات الإرهابية على بلادنا، يدعونكم إلى تنبيه المواطنين الأمريكين إلى حقيقة أن هذا هو الوقت الذي يجب علينا فيه أن نقف متحدين في وجه هذه الجريمة البشعة».

وأضاف هؤلاء:« نأمل أن يتم اعتقال مدبري هذه الجرائم فورا وتقديمهم إلى العدالة. إن المسلمين يقفون مع بقية أخوتهم الأمريكين الذين يشعرون في هذا اليوم بالذات بإحساس عميق من الحزن والفقدان.» هذا وقد وقع الرسالة قادة جمعيات التحالف الأمريكي الإسلامي، المجلس الأمريكي الإسلامي، مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية، مجلس الشؤون العامة للجمعية الأمريكية الإسلامية، الجمعية الإسلامية لشمال أمريكا، الحلقة الإسلامية لشمال أمريكا، التحالف الإسلامي في شمال أمريكا، جمعية الأمريكيين المسلمين من أجل القدس. وتمثل هذه الجمعيات غالبية المسلمين الأمريكيين الذين يقدر عددهم بنحو سبعة ملايين.

ودعا الزعماء المسلمون في رسالتهم الرئيس بوش إلى وجود الحاجة «لتجنب الاتهامات القائمة على التكهن والتعميمات النمطية التي لا يمكنها سوى إيذاء الأبرياء وتعريض مجتمعنا وحرياتنا إلى الخطر.»

ودعا المجلس المسلمين العاملين في المجال الطبي إلى التوجه إلى مواقع التفجيرات الإرهابية وتقديم العون للضحايا. كما دعا جمعيات الغوث الأمريكية الإسلامية إلى تقديم خدماتها، ودعوا المواطنين المسلمين للتبرع بالدم إلى الصليب الأحمر.

فقد أعلن حسين إبش، مدير الاتصالات في اللجنة الامريكية العربية لمكافحة التمييز أن ما يزيد على مئتي أمريكي عربي كانوا يعملون في مركز التجارة العالمية وقتل العديد منهم بعد أن اخترقت طائرتان يقودهما إرهابيون ومحملتان بالوقود البرجين يوم 11 أيلول/سبتمبر. وقال إبش:« من المهم جداً أن يعي مواطنونا الأمريكيون أن الجالية العربية الامريكية استهدفت بهذا الهجوم تماماً كقطاعات أخرى من المجتمع الأمريكي.»

في 18 أيلول/ سبتمبر- وافق مجلس النواب الأمريكي على قرار بشجب ممارسة التعصب الأعمى والعنف ضد الأمريكيين العرب والمسلمين والأمريكيين المنتمين إلى جنوب آسيا وهو ما ترتب فيما يبدو على الاعتداءات الإرهابية التي وقعت مؤخرا واستهدفت مركز التجارة العالمية في نيويورك ومبنى البنتاغون (وزارة الدفاع) في واشنطن.

في 17 أيلول / سبتمبر- زار الرئيس جورج بوش المركز الإسلامي في مدينة واشنطن بعد ظهر اليوم حيث التقى بجمع من زعماء الجالية الإسلامية وتباحث معهم في أمور تتعلق بالاعتداءات الإرهابية على مدينتي نيويورك وواشنطن في 11 أيلول/سبتمبر. وبعد ذلك طاف في أرجاء المركز، وهو أكبر مسجد ومركز إسلامي في العاصمة الأمريكية، ثم وجه كلمة إلى الحاضرين قبل مغادرته المركز عائداً إلى البيت الأبيض. في ما يلي مقتطفات من نص كلمة الرئيس بوش:

«شكرا جزيلا لكم جميعا على حفاوتكم. لقد أجرينا مباحثات تضمنت طائفة واسعة من الأمور حول القضية التي نحن بصددها.

مثل القوم الكرام الماثلين معي، غضب الشعب الأمريكي وسخط بسبب الاعتداءات التي وقعت يوم الثلاثاء الماضي، وهذا ما شعر به المسلمون في شتى أرجاء العالم، والمسلمون الأمريكيون، أصدقاؤنا ومواطنونا المسلمون، مواطنونا دافعو الضرائب. كذلك غضب مسلمو البلدان الأخرى، ولم يكن بوسعهم تصديق ما شاهدناه على شاشات التلفزيون.»

في 17 أيلول / سبتمبر- في إطار من الوحدة لم تشهد له هذه البلاد مثيلا من قبل إطلاقا، تدفق الأمريكيون من كل الأديان والأعراق إلى المراكز الإسلامية، والمواقع الإلكترونية الإسلامية (مواقع الويب)، وأجرو اتصالات شخصية مع المسلمين، حاملين رسائل دعم ووحدة وشاجبين بعض أعمال العنف التي تعرض لها بعض المسلمين العرب وأبناء جنوب آسيا منذ حوادث الثلاثاء، 11 أيلول / سبتمبر.

وقد رافقت موجة الدعم هذه تغطية إعلامية على نطاق لم يسبق له مثيل للمسلمين في الولايات المتحدة كمواطنين أمريكيين عاديين يدينون بدين يدعو إلى السلام، مما غاير تماماً سنوات من التقارير الإعلامية والقصص الإخبارية التي تناولت الإسلام فقط من منظور أنه يضم «راديكاليين» متطرفين يرتكبون أعمال عنف ضد الغرب بأكمله باسم الله.

فجنباً إلى جنب مع تغطيتها المستمرة لهجمات الثلاثاء على مركز التجارة العالمي والبيتاغون، ألقت جميع الوسائل الإعلامية الرئيسية تقريبا، والصحف المحلية أيضا، نظرةً أكثر تعمقاً على الجاليات الإسلامية على الصعيدين الإقليمي والقومي طالبة منهم شرح دينهم للآخرين ومشاركتهم تجاربهم وردود فعلهم.

هذا وقد وفر الموقع الالكتروني الإخباري لشبكة «إيه بي سي» التلفزيونية (ABCNews. com) إلى جانب تقرير بعنوان «ردة الفعل المعاكسة» وصلتين: الأولى بعنوان «ما يقوله القرآن حقا» ، والثانية بعنوان «معظم الأمريكيين لا يعرفون إلا القليل عن الإسلام»، مفسحاً المجال بذلك أمام القراء لاكتشاف المزيد عن الدين الذي كان البعض يربط اسمه بدون تحفظ بأعمال إرهابية.

وجمع بيتر جينينغز، مقدم الأخبار الرئيسي في الشبكة ذاتها، في برنامج صباح السبت، طلاباً من مدارس مختلفة ليجيبوا عن أسئلة بعضهم البعض عن الهجمات. وحاول البرنامج توضيح تعاليم الإسلام الحقيقية. وميز الكثير من الطلبة بين الدين الإسلامي وأعمال الإرهابيين، بينما قال آخرون إنهم كانوا يظنون أن «الكتاب المقدس الإسلامي» كما أسموه يعلم المسلمين قتل الأمريكيين وكرههم.

ووصف تقرير أخباري بثته شبكة «سي بي إس» (CBS) التلفزيونية الاثنين «الرفض المطلق» الذي يشعر به المسلمون في الولايات المتحدة حيال ذلك الضرب من «الإسلام الأصولي المتطرف الذي يعتنقه....أسامة بن لادن»، مباعداً بين المسلمين الأمريكيين وأعمال العنف المرتكبة باسم الإسلام. وتحدث التقرير بلهجة مفعمة بالأمل عن صلوات عامة شاركت فيها طوائف دينية مختلفة في كاتدرائية في سياتل (بولاية واشنطن) أظهرت التضامن بين المسلمين والمسيحيين واليهود.

كذلك بثت شبكة «سي. إن. إن» (CNN) أكثر من قصة إخبارية عن «رد الفعل المعاكس»، بينما عدد تقرير الاثنين، حول جرائم الكراهية بالتفصيل، التعديات التي وقعت في الآونة الأخيرة ضد السيخ والمسلمين في الولايان المتحدة. وكان مجلس العلاقات الأمريكية - الإسلامية قد أعلن عن وقوع أكثر من 350 جريمة حتى بعد ظهر الاثنين. كما ذكر التقرير أن طلبة جامعة نورث تكساس سلموا 50 ملصقا مع تحيات وأزهار وتعاز وصلوات للمركز الإسلامي في دينتون في ولاية تكساس، وهو المركز الذي تضرر من جراء هجوم بقنبلة مولوتوف في الأسبوع الماضي.

ونقل مقال نشرته صحيفة واشنطن بوست في 13 أيلول/ سبتمبر عن زعماء مسلمين وعرب استعمالهم ألفاظاً قاسية لشجب هجمات الثلاثاء ، مثل «خسيس» و«مرعب» و«مروع» و«أعمال حرب» وأشارت الصحيفة إلى عدد من الزعماء والمواطنين المسلمين الذين وصفوا الإسلام بأنه ديانة محبة للسلام وباعدوا بينه وبين الأعمال الإرهابية.

وشرح تقرير لوكالة أنباء رويتر، نشرته صحيفة نيويورك تايمز ، التعارض بين عنف الأعمال الإرهابية وروح الإسلام الذي تقضي أحكامه الصارمة بصيانة الحياة وتؤكد قيمة السلام . ونقل التقرير عن العلامة جمال بدوي ، وغيره من العلماء ، قوله إن «كل من يحرم إنساناً حقه في الحياة ، أو حقه في ممارسة طقوس دينه بحرية، أو التفكير بحرية ، يحط من قدر الإسلام ويتصرف (بذلك) ضد الدين الإسلامي نفسه».

ونشرت صحيفة لوس أنجلس تايمز مقالاً بقلم المعلق خالد أبو الفضل الذي شرح أن «الشرع الإسلامي التقليدي الأصيل يحرم بصراحة ووضوح احتجاز الرهائن أو الدبلوماسيين أو قتلهم كرد انتقامي على أعمال محظورة قام بها العدو». وجاء قوله هذا في معرض تحريه لما يمكن أن يكون قد حدث للحضارة الإسلامية وسمح بتكوين عناصر «راديكالية».

كذلك قصد أحد أعضاء كنيسة بفرلي هيلز كوميونيتي المثودية المتحدة في الكزاندريا بولاية فرجينيا مقر «إسلام أون لاين» شخصياً «لنعرب عن مؤازرتنا لا غير».

وقال هيو ماكدونالد أن كنيسته ناقشت، في اجتماع خاص يوم السبت، سلسلة الهجمات التي وقعت ضد المسلمين في المنطقة، وأضاف قائلاً لإسلام أون لاين :«هذا فظيع...أنني أمقت أي شيء من هذا القبيل».

وتذكر ماكدونالد أنه بلغ السادسة عشر من عمره قبيل الهجوم الياباني على بيرل هاربر عام 1941 ، وكيف وصل إلى المدرسة في أحد الأيام ليجد أن 30 أمريكياً - يابانياً في صفه المكون من 60 تلميذا في المدرسة الثانوية قد اختفوا ، «اعتقلوا» في معسكرات. وقال أنه لاحظ وجود نفس «رد الفعل الفوري دون تفكير» الآن ضد المسلمين ، وأضاف أنه أمر «لا يصدق» أن يكون من الممكن الإعراب عن نفس المشاعر ثانية بمثل هذا العنف .

في 24 أيلول / سبتمبر - اشترك أكثر من 130 من طلاب جامعة جورج تاون في العاصمة الأمريكية مع خمسة من أساتذة مركز التفاهم الإسلامي - المسيحي التابع للجامعة في حلقة عقدت يوم 19 أيلول / سبتمبر لمناقشة قضية «الإسلام والولايات المتحدة والإرهاب».

وأكدت الحلقة ، التي اشترك فيها خبراء في التاريخ الإسلامي والقانون والشؤون الخارجية ، على أن الأغلبية الساحقة من مسلمي العالم لا تكتفي بشجب اعتداءات على شاكلة ما تعرض له مركز التجارة العالمية في نيويورك ومبنى البنتاغون في واشنطن، بل تشجب أيضا الآراء الراديكالية المتطرفة التي تستند عليها منظمات مثل «القاعدة».

وقال الإمام شاكر لحوالي 35 رجلاً وامرأة في قاعة الصلاة بمسجد عمر بن سيد، وهو مسجد صغير شديد النظافة هنا، «إن الإسلام هو في الهواء» وقال إن «الناس يتدافعون إلى محلات بيع الكتب (عن الإسلام) »، مضيفاً إن الديانة الإسلامية باتت مادة للنقاش في البرامج الحوارية التي يشارك فيها المستمعون على المحطات الإذاعية والقنوات التلفزيونية.

وقال الإمام شاكر إنه كانت هناك إيماءات مساعدة وإيماءات أخرى، إذ ذكر قيام طلبة إحدى مدارس الأحد من الكنيسة الأسقفية البروتستنتية بزيارة إلى مسجده، وباقة زهور أرسلت إليه من إحدى المصالح التجارية في المنطقة، وقال إن «سمعتنا هي أننا صناع سلام»، لكنه يضيف بأن «ليس كل ما نزرع ينبت زهوراً».

بعد أربعة أيام من وقوع الاعتداءات الإرهابية، ذهبت أديسرا جيتيبون، وهي مسلمة محجبة إلى مطعم و بوفيه «تشيسون» في مدينة وينشستر بولاية فيرجينيا برفقة صديقتين غير مسلمتين. وبعد مرور عشر دقائق على بداية تناولهن الطعام، جاءت نادلة إلى طاولتهن. تستذكر جيبيتون الحادث قائلة:«افترضنا أنها جاءت لتطردنا من المطعم. لكنها أعادت إلينا مبلغ الـ 30 دولار التي كنا قد دفعناها ثمناً للطعام وقالت إن المطعم يعتبرنا ضيوفاً عليه».

وقالت جيبيتون أيضاً، وهي طالبة بجامعة جورج ميسون عمرها 23 عاماً : «انحنت النادلة على الطاولة وأبدت تعاطفاً شديداً معي .. وقالت لاأريد أن نخوض حرباً وقالت أيضاً إنها فخورة جداً بشجاعتي في التحجب... وقد أفرحني ذلك جداً. وعندما غادرت النادلة طاولتنا، كانت الدموع تسيل من عينيها في الواقع. ابتعدت عنا والدموع تتساقط من عينيها. وهبط الصمت على الجميع».

وهكذا عندما أعلن الرئيس بوش يوم الجمعة بعد الاعتداءات يوماً للحداد، تحركت باتريشيا موريس للعمل، فوزعت منشورات على سكان حيها في (لي بوليفارد هايتس) دعتهم فيها إلى تظاهرة صامتة في الشموع في السابعة مساءً خارج المسجد كبادرة من التضامن، وحضر أكثر من 30 شخصاً تظاهرة الشموع هذه. وتقديراً منهم لهذه البادرة ، قام بعض المصلين المسلمين بعد أداء الصلاة بتوزيع ورود بيضاء على المشاركين في التظاهرة.



ب **ضحايا نيويورك في افغانستان**: بعض أفراد أسر ضحايا تفجيرات 11 أيلول (سبتمبر) لدى وصولهم الى مطار بغرام شمال كابول امس لزيارة أسر ضحايا ا
يكي في أفغانستان (أ. ف. ب)

و في نطاق آخر، وفي تحليل لإدوارد سعيد المفكر الفلسطيني، الذي يحمل الجنسية الأمريكية، حول مسلمي أمريكا، بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر، يقول فيه: «لا أعرف أمريكياً عربياً أو مسلماً واحداً لا يشعر أنه ينتمي إلى معسكر الأعداء، حيث يُتيح الوجود في الولايات المتحدة في اللحظة الراهنة أن يلمس على نحو مُزعج تماماً الاغتراب والعداء الواسع الانتشار الموجه إلى أهداف محددة. فعلى رغم التوصيات الرسمية التي تصدر بين حين وآخر مؤكدةً أن الإسلام والمسلمين والعرب ليسوا أعداءً للولايات المتحدة، يدل كل شيء على عدا ذلك في الوضع الراهن، بل على العكس تماماً. فقد جرى التحقيق مع المئات من الشباب العرب والمسلمين، وفي حالات كثيرة احتجزوا من قبل الشرطة أو مكتب التحقيقات الفيدرالي.

كما يتعين على كل من يحمل إسماً عربياً أو مسلماً أن يتنحى جانباً ويولى اهتماماً خاصاً خلال عمليات التفتيش الأمني في المطارات. وأفيد عن حالات كثيرة من السلوك التمييزي ضد العرب، حتى أن التحدث باللغة العربية أو مجرد قراءة وثيقة عربية في العلن، يُمكن أن يُثير ردود فعل سلبية. كما أن وسائل الإعلام قدمت سيلاً من 'المعلقين' و 'الخبراء' حول الإرهاب والإسلام والعرب، ودأب هؤلاء على ترديد موقف تبسيطي، بلغ من العداء والتشويه لتاريخنا ومجتمعنا وتراثنا حداً لم تعد معه وسائل الإعلام سوى أحد أسلحة الحرب على الإرهاب في أفغانستان وأماكن أخرى. كما هو الحال الآن بالنسبة للهجوم المتوقع لـ 'إنهاء' العراق».

وفي محاولة من ادوارد سعيد ولفيف من المثقفين العرب في أمريكا لتحسين صورة العرب والمسلمين في الخارج، قاموا بتنظيم ما أطلقوا عليه 'قافلة الصداقة' وهي عبارة عن قافلة تضم خمسين جملاً تقوم بقطع الولايات المتحدة من 'لوس انجلوس' غرباً إلى نيويورك شرقاً ولمدة شهرين، وتضم القافلة مجموعة من المثقفين العرب على رأسهم ادوارد سعيد ومثقفون أمريكيون وأوروبيون. وستقطع القافلة 4 آلاف كيلو متر، وتتوقف في عواصم الولايات وأهم المدن الأمريكية لعقد لقاءات ومحاضرات مع الجمهور الأمريكي. ومن المقرر أن تبدأ القافلة مسيرتها في آب/اغسطس 2002.

وهنا أود أن أختم هذا الفصل باستقراء الدروس المستفادة للمسلمين في الولايات المتحدة وأوروبا من أحداث 11 أيلول/سبتمبر:

يتلخص الدرس الأول في وجوب نشر المعرفة الإسلامية الصحيحة، الهدف الذي يسانده غالبية المسلمين، بغض النظر عن درجة الالتزام الديني عند هذا أو ذاك من المسلمين. وأسباب ذلك عدة، منها الاتهامات التي تطال سمعة الإسلام والمسلمين والعرب ومن شابههم في العرق واللون والمظهر في الولايات المتحدة حالياً، بما في ذلك بعض أعضاء طائفة السيخ الذين تعرضوا لاعتداءات جسدية لارتدائهم عمامة تشبه عمامة بعض المسلمين والعرب. ومن مصلحة الجميع أن يكون هذا التعريف دقيقاً يُبرز

ما في الإسلام من قيم إنسانية تُؤكد على السماحة والسلم والعدالة، وتُدين الإرهاب وتلتزم الوسطية والإعتدال. ويجب أن يجري التعريف بشكل هادئ وبأسلوب يفهمه المواطن الغربي.

وفي هذا الصدد، يجب استغلال الحقيقة التي أبرزتها وسائل الإعلام في أمريكا وأوروبا، التي تقول أنه بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر ظهر إقبال كبير في الشارعين الأوروبي والأمريكي للتعرف على ماهية الإسلام وحقائق فكره ومواقفه من مختلف قضايا العصر. ومن هنا يجب أن يستغل المسلمون هذه الظاهرة ليقوموا هم أنفسهم بنشر ما هو حقيقي وواجب عن الدين الإسلامي، وأن لا يتركوا وسائل الدعاية المعادية، من صهيونية وسواها، أن تخوض بهذا الجانب مشوهةً الحقائق والأفكار الإسلامية.

أما الدرس المستفاد الثاني فهو ضرورة انهاء عزلة المسلمين السياسية والإعلامية في المجتمعين الأمريكي والأوروبي. والآن وللحقيقة يسود هذا التوجة لدى المنظمات الإسلامية الكبرى في أمريكا. وتهدف تلك المنظمات في تحقيق هذا الهدف على مستويين؛ أهمهما مباشر وداخلي يتعلق بتفعيل مسلمي أمريكا سياسياً وإعلامياً في الوقت الحاضر لمواجهة موجة الإسلاموفوبيا السائدة في الدوائر الإعلامية والسياسية الأمريكية.

والدرس الثالث يتلخص في ضرورة إثبات وجود المسلمين في الاستحقاقات السياسية في أوروبا وأمريكا، من خلال المشاركة الفعالة المنظمة الموحدة في الإنتخابات، على مختلف مستوياتها.

أوروبا
والشراكة المتنزعزعة مع السياسة الأمريكية

«إن الولايات المتحدة الأمريكية، منذ تأسيسها، دؤبت على فرض سيطرتها وإرادتها على بقية دول العالم في المجالات كافة: الاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية والفنية..غير آبهة بالآخرين، وبالصديق قبل العدو، إنها الوريث القبيح للدول الإستعمارية الأوروبية التي عرفها العالم في القرنين: الثامن عشر والتاسع عشر، والتي اندفعت إلى (الانتحار) من خلال حربين عالميتين خلال القرن العشرين».

ميشيل بينيون . موردان

في أتون الحرب الباردة، كانت أوروبا الغربية الشريك المباشر للولايات المتحدة في سياساتها ضد الاتحاد السوفيتي ودول المعسكر الإشتراكي الأخرى. وكان حلف الناتو هو الركيزة الأولى لهذه الشراكة والتحالف. وما أن انتهت الحرب الباردة وتخلصت الولايات المتحدة من عدوها الجبار، حتى أخذت لا تُقيم وزناً لشريكها الأوروبي، إلى درجة أن أخذت تُملي على جميع دوله ما تريده من مواقف إزاء مختلف القضايا الدولية والإقليمية بما يحقق مصالحها بالدرجة الأولى. وكان هذا الشريك القديم الذي أخذ يسير على سياسية دمج أوروبا في ما يسمى بـ'الاتحاد الأوروبي'، باحثاً عن تجميع قواه لاستخدامها في تحقيق مصالحه في أوروبا وفي العالم.

أصبحت أوروبا بعد الحرب الباردة من المزاحمين المحتملين للولايات المتحدة في تولي صدارة العالم، الذي أخذت الإدارات الأمريكية المتعاقبة تنظر إليه باعتبار أنه يجب أن يُأمرك، وأن تسود فيه قيم الاستهلاك الأمريكية، وأن يُصبح مسهلكاً للسلع الأمريكية وراضخاً للسياسات التي تُؤمن المصالح الأمريكية فحسب.

هذه السياسات الأمريكية وهذه الظروف العالمية المستجدة، خلقت لائحة طويلة جداً من المواضيع التي يختلف حولها الفريق الأوروبي مع شريكه السابق الأمريكي، منها السياسي ومنها الاقتصادي والثقافي. وقد أدى تراكم البعض منها في الآونة الأخيرة (قبل وبعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر)، وسط حلقة تتقاطع فيها مصالح كثيرة، إلى تأجيج هذا الصراع الخفي وأخراجه إلى العلن بشكل لم يسبق له مثيل. ويمكن تقسيم أبواب الخلاف إلى:

الباب الأول: اقتصادي، وهو الذي اعتبره الفريقان، منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية، مجالاً حراً ومفتوحاً للتنافس، من دون أن يهدد التحالف الاستراتيجي بينهما.

الباب الثاني: ثقافي، وقد كان الأوروبيون قد أهملوه في السابق، وتتجاهله واشنطن وترفض فتح أي مجال للحوار حوله، على اعتبار أنه غير موجود إلا في أخيلة بعض المثقفين الأوروبيين، والذين يحنون للماضي ويتعلقون به. والأمريكيون على الرغم من إنكارهم لوجود هذا الباب من الخلافات، لم يتوقفوا يوماً عن بذل كامل جهودهم لخرق الدول الأوروبيه ثقافياً، على مختلف الصعد، بالطريقة التي يريدون منها تحويل الذوق الثقافي لشعوب هذه الدول، ليصبح على الطريقة الهيليودية.

الباب الثالث: عسكري، وهو ذو شقين: الشق الأول أمني استراتيجي، وبقي لمدة طويلة يُقرأ تحت عنوان المظلة النووية الأمريكية لمواجهة القوة النووية السوفيتية؛ والشق

الثاني، يتعلق بالصناعة العسكرية. حيث تعمل الولايات المتحدة على دمج مختلف الصناعات العسكرية تحت لواء حلف الأطلسي، ومحاصرة الصناعات العسكرية الأوروبية المستقلة. لكن أوروبا، أخذت في الآونة الأخيرة وتحت غطاء الاتحاد الأوروبي، العمل على تشكيل وحدات أوروبية مشتركة، لتصبح في المستقبل نواة للقوات المسلحة الأوروبية الموحدة، بالإضافة إلى السعي لتوحيد بعض الصناعات العسكرية بين دولتين أو أكثر من دول الاتحاد الأوروبي.

الباب الرابع: الجيواستراتيجيا الأمنية وأولوياتها، وينبع هذا الباب من اختلاف الآراء حول الأولويات الأمنية في العالم بين منطقة وأخرى وبين دولة وأخرى، والأخطار التي تهدد الكتلتين. وكمثال على ذلك نأخذ القضية الفلسطينية والخلافات حولها، حيث ساهمت السياسات الأمريكية بشأنها، في الآونة الأخيرة، إلى بروز هذه الباب من الخلافات إلى العلن.

لو بقيت الكتلة الإشتراكية على قيد الحياة، لما تسنى لهذه الأبواب من الخلافات أن تبرز على السطح وبقيت خلف الستار. أما وقد حصل ما حصل، فقد بدأت هذه الخلافات تطفو بارزةً، لأن البون أصبح أوسع في تناحر المصالح بين أوروبا والولايات المتحدة، في مختلف أقاليم العالم وعلى مختلف الصعد، الثقافية والإقتصادية والسياسية، إن كان على مستوى التكتيك أو الاستراتيجيا.

في أيام الحرب الباردة، حاربت أمريكا الاتحاد السوفيتي عن طريق سباق التسلح، هذا السلاح الذي أسقط الإتحاد السوفيتي وحلفائه في حرب لم تُطلق فيها أية رصاصة. وفي هذا المجال، كم كان حصيفاً أول من أطلق على الحرب بين المعسكرين الإشتراكي والرأسمالي 'الحرب الباردة'.

والآن، تحاول أمريكا أن تهدد باستخدام هذا السلاح ضد أوروبا. وأخيراً ومع قدوم جورج دبليو بوش إلى البيت الأبيض في أمريكا، أنتقلت أمريكا من مرحلة التهديد إلى مرحلة الفعل. وقررت الإدارة الأمريكية تسريع نمط سباق التسلح بينها وبين 'حلفائها'، قاصدة بذلك زيادة حجم الفجوة في القوة بينها وبينهم. فالموازنة الأخيرة للولايات المتحدة، تُشير إلى رغبة الإدارة الأمريكية في إعادة تأجيج سباق التسلح، ويبدو طبيعياً أن تتخذ هذه الإدارة حجة ضرورة مكافحة الإرهاب، لترفع ميزانيتها العسكرية إلى مستويات خيالية. وهنا تجدر الإشارة إلى أن رفع القدرات العسكرية لأمريكا، لا يمكن له أن يكون في مواجهة من وصفهم بوش بـ 'محور الشر'، لأن البون شاسع بالقدرات بينهم وبين أمريكا، فرادى ومجتمعين.

ومن هنا، نستنتج أن هذه الموازنة العسكرية الضخمة (379 مليار دولار) موجهة فقط لحسم مسألة ردم الهوة بين أمريكا وحلفائها، حسب تعبير دبلوماسي فرنسي. وهي تعلن سباقاً عسكرياً، لا سابق له، هذا إذا علمنا أن مجموع الميزانيات العسكرية

لدول الاتحاد الأوروبي مجتمعة لا يتجاوز 144 مليار دولار، وأن هذه الميزانيات آخذة بالإضمحلال، من سنة إلى أخرى، بينما تقدر الزيادة السنوية في الميزانية العسكرية الأمريكية بمعدل 15٪* .

أجل، نستطيع أن نقول أن هناك تضارباً بالمصالح بين أمريكا والدول الأوروبية، غير أن موازين القوى لا تسمح للأوروبيين أن يتخذوا سياسات علنية تصب في مصالحهم. وهم الأوروبيون يبدون في مطلع القرن الحادي والعشرين كالأشقاء الصغار للولايات المتحدة، وتحاول الأخيرة أن تعاملهم كأولاد مشاكسين.

وبهذا الصدد، كتب جون هامفريز مقالاً في صحيفة 'صاندي تايمز'، يلقي فيه الضوء على العلاقات الأمريكية ـ الأوروبية، جاء فيه: «... هنالك دولة واحدة لا يوجد لها تمثيل في الاتحاد الأوروبي، وربما يكون الكرسي المخصص لها فارغاً، رغم أنها تلقي بأكبر ظل هناك. إن هذه الدولة هي الولايات المتحدة الأمريكية. لقد أصبحت الأحادية الأمريكية عند الكثيرين ممن يجلسون على طاولة الميثاق الأوروبي، هي المحفز والمنبه الكبير الذي يدعو أوروبا إلى العمل المشترك...

حين تعهدت أمريكا بتقاسم العبء الدفاعي مع أوروبا الغربية ضد الوحش السوفيتي القابع في موسكو، لم تقم بذلك إلا لأن ذلك يصب في مصالحها، وهو ما كان يناسبها أيضاً. لكن انهيار الاتحاد السوفيتي أبعد هذا الهدف أو الغرض المشترك. ولقد ظهرت انقسامات عميقة حول كيفية معالجة الجرح اليوغسلافي، وبدأت المادة اللاصقة تصبح غير ذلك.

ظهرت أحداث 11 أيلول/سبتمبر، فظهر في البداية أن الخطر الجديد سوف يعزز قوة الربط مع أوروبا ثانية. حتى الفرنسيين قالوا إننا جميعاً أمريكيون اليوم. وتم، لأول مرة في تاريخ الحلف الأطلسي، وضع المادة الخامسة من ميثاقه تحت التطبيق، وهي المادة التي تعتبر أي اعتداء على أي دولة منه بمثابة اعتداء على جميع دوله. وهنا كانت ردة فعل أمريكا تشبه رد فعل الولد الكبير الذي يريد أن ينضموا إليه أشقاؤه الصغار في حديقة يريد فيها تمضية أوقات ما بعد الظهر، لكي يلعب فيها مع أترابه الكبار كرة القدم. فهؤلاء الأشقاء الصغار، سيسمح لهم فقط بالتقاط الكرة عندما تخرج من إطار الملعب ودون السماح لهم بضرب الكرة، ناهيك عن عدم ضمهم إلى المحادثات حول تكتيك اللعبة. ولقد برهن الولد الكبير على أنه لا يحتاج للأولاد الصغار، وذلك أنه ربح في المباراة دون أي عناء.

لقد جاءت عملية معاقبة طالبان لتزيد من الثقة الذاتية للولد الكبير 'أمريكا'.. وعندما وضع بوش 'محور الشر' (العراق وكوريا وإيران) في مجال تسديده، وانتخب

---

* في عام 1998 بلغت موازنة الدفاع الأمريكية 259 مليار دولار، وفي عام 1999، 279 مليار دولار، و290 مليار دولار عام 2000، لتبلغ 301 مليار دولار في السنة المالية 2000 ـ 2001.

العراق ليكون الهدف رقم واحد، وهنا يُمكن للأوروبيين أن يطلقوا صرخة احتجاج بقدر ما يستطيعون، لكن من الواضح أن واشنطن لن تُصغي إلى احتجاجاتهم.»

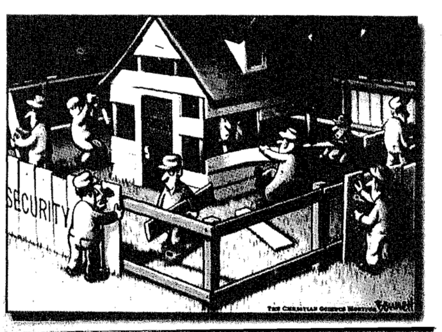
إن الإدارة الأمريكية، بدلاً من أن تصغي إلى احتجاجات الأوروبيين، حولت التسديد إلى منطقة أخرى أكثر حساسية بالنسبة لهم، ألا وهي فلسطين، وقيامها بالتغطية على شارون عندما نقل أولى حروب القرن إلى اتجاه آخر وناب عن أمريكا في هذا الشوط من الحرب، وأخذ يقتل المئات من الفلسطينيين ويعتقل الآلاف منهم ويدمر البنية التحتية للسلطة الفلسطينية ويدمر كل شيء يقف عثرة في وجهه

وفيما يخص الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية خاصة وكيفية التعامل الأمريكي معها، فإننا نُلاحظ بين فينة وأخرى أصوات أوروبية تظهر ناقدة، بل أحيانا شاجبة هذه الكيفية من التعامل. وهنا قد يكون الفرنسيون هم السباقون بهذا المجال.

بدأت بذور الحذر تجاه السياسة الخارجية الأمريكية تظهر على العيان، ففي أواخر شهر شباط، وصفها فيدرين، وزير الخارجية الفرنسي، بأنها سياسة 'تبسيطية' و'أحادية الجانب'، لا سيما منذ عمليات 11 أيلول/سبتمبر. أما شيراك، فقد كان أكثر وضوحاً وجرأةً في وصفه للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، حينما قال في مقابلة مع الواشنطن بوست: «إن ردود الفعل الأمريكية هي بدائية أحياناً.. إني ألاحظ أن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط لم تتكلل بالنجاح.. هنالك في الشرق الأوسط أنظمة معتدلة صديقة لنا، والتي تواجه مشاكل بالغة الصعوبة، مثل انخفاض مستوى معيشة شعوبها، ونمو الأصولية فيها. هذه الأنظمة علينا حمايتها. غير أن السياسة الأمريكية تدفع باستمرار الرأي العام في هذه الدول إلى اعتماد مواقف معادية للولايات المتحدة ومعادية للغرب، وبالتالي إلى الطعن بهذه الأنظمة المعتدلة والصديقة للغرب، لدرجة أنني أخذت أتساءل أحياناً ما إذا كان هنالك من تقييم فعلي لعواقب بعض المبادرات (الأمريكية) على مدى أبعد من أثرها الفوري.»

وعلى الصعيد الشعبي، أخذت التظاهرات تعم المدن الأوروبية منددةً بسياسات شارون العنفية والدعم المقدم له من الولايات المتحدة. ففي لندن خرجت مظاهرة دعماً لمعاناة الشعب الفلسطيني، استقطبت أكثر من 50 ألف شخص، ثلثهم من السياسيين والمثقفين والطلاب البريطانيين. وفي فرنسا عمت المظاهرات المدن الكبيرة، شارك فيها بالإضافة إلى العرب المقيمين هناك، أعداد كبيرة من المثقفين والكتاب وأكاديميون، أعلنوا فيها الحرب ضد سياسة القوة والحصار التي يمارسها شارون ضد الشعب الفلسطيني، وطالبوا أمريكا والدول الأوروبية إلى التصدي لهذه السياسة وإيقافها عند حدها. كما عمت التظاهرات أغلب مدن الدول الأوروبية.

«الإرهـــاب»
وأولى حروب القرن

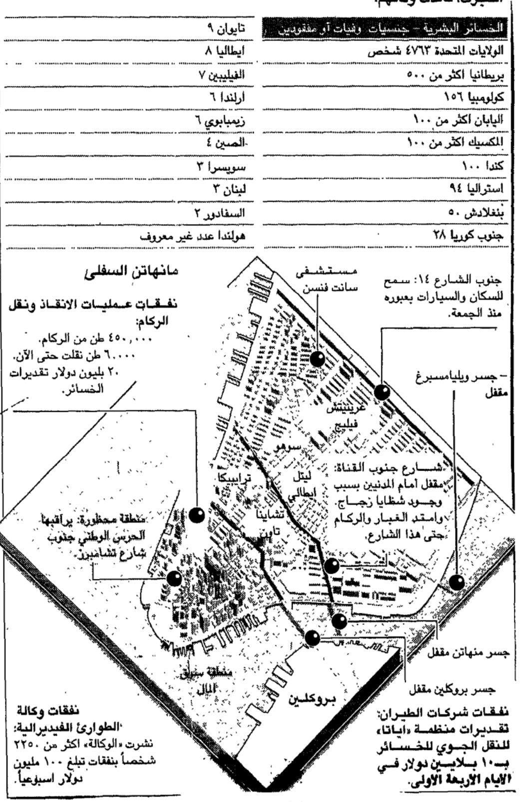


(عن مشروع القانون الاميركي لمكافحة الارهاب الذي اقرّ مؤخراً، واعتبره الكثيرون انتهاكاً للحريات الشخصية): عمال ينزعون هيكل احد المنازل ليبنوا سوراً امنياً.

خسائر لا تقدر في موقع برجي مركز التجارة

عندما صدم الارهابيون الطائرتين المخطوفتين بمركز التجارة العالمية قتل عدد كبير من الموظفين الاميركيين والاجانب الذين يعملون في برجي المركز. وسُجل أكثر من خمسة آلاف شخص في عداد المفقودين، واكثر من ٤٠٠ شخص، بينهم ٢٦٦ ركاب الطائرات التي انفجرت، تأكدت وفاتهم.

الخسائر البشرية - جنسيات وفيات أو مفقودين	
الولايات المتحدة ٤٧٦٣ شخص	تايوان ٩
بريطانيا اكثر من ٥٠٠	ايطاليا ٨
كولومبيا ١٥٦	الفيليبين ٧
اليابان اكثر من ١٠٠	ارلندا ٦
المكسيك اكثر من ١٠٠	زيمبابوي ٦
كندا ١٠٠	الصين ٤
استراليا ٩٤	سويسرا ٣
بنغلادش ٥٠	لبنان ٣
جنوب كوريا ٢٨	السفادور ٢
	هولندا عدد غير معروف



إن وجود الإرهاب قديم قدم التاريخ المكتوب. وكان استخدام العنف قديماً قدم الإنسان ذاته للدفاع عن النفس، أو حباً في التملك أو الانتقام.

ظهرت كلمة الإرهاب بمعنى (Terrorism) بعد تطور الثورة الفرنسية، وبالتحديد في عام 1794، وهذه الكلمة مشتقة من كلمات لاتينية أخرى بمعنى: جعله يرتعد ويرتجف. ومنها أتت الاشتقاقات، كـ 'أرهب، إرهابي..إلخ'. وفي الفرنسية (Terrorisme) كما في الإنكليزية (Terrorism) تدل كلمة الإرهاب على استعمال أساليب إرهابية من قبل أشخاص عاديين وضعفاء، أي ليسوا في مركز سلطة. أما إذا أستخدمت هذه الأساليب من السلطات كأداة للسيطرة، فعندها تصبحان، على التسلسل: Terrour و Terror، أما في اللغة العربية، فلا يوجد تمييز بين المصطلحين.

اختلفت الآراء والتعريفات حول مفهومي الإرهاب وحق الكفاح الوطني المسلح. فالبعض يعتبر الكفاح الوطني المسلح هو نوع من أنواع الإرهاب، والآخر يعتبره أنه حق مشروع للدفاع عن النفس وطرد المحتلين والمستعمرين والمستوطنين من أراضٍ اغتصبوها من الآخرين.

كان ثوريو مطلع القرن الماضي يعتبرون أن الإرهاب ايجابي المضامين، ويرون فيه مرادفاً لمعنى العنف الثوري، الذي قال عنه ماركس ذات يوم: إنه قاطرة التاريخ، لاعتقاده أن الطبقات القديمة والحاكمة لا تتخلى عن مواقعها وامتيازاتها، ولا تسمح بقيام نظام العدالة الإنساني الاشتراكي الجديد، الأمر الذي يجعل عدم الامكانية باطاحتها إلا بالعنف، الذي يجب أن يبلغ درجة الإرهاب. كما ربط تروتسكي بين العنف والإرهاب، واعتبر أن الإرهاب هو عنف ايجابي في العصور الثورية، لأنه موجه ضد فئات وقوى مالكة أوحاكمة، تحتكر العنف وأدواته، من خلال انفرادها بامتلاك سلطة القهر والقمع و المقدرات الاقتصادية والسياسية والثقافية. أما في العصر الحاضر فيبدو الإرهاب سلبياً في نظر المعاصرين، لاسيما بعد انهيار المعسكر الاشتراكي.

وهنا يجدر العودة إلى مفردة العنف واستخدامه، ومتى يكون دفاعاً عن النفس، ومتى يُصبح بالمعنى المعاصر للإرهاب، الذي يتفق على نفيه وإدانته جميع بني البشر، حيث عندها يصبح العنف المنطلق من الدفاع عن النفس، يأخذ تسميات أخرى غير الإرهاب: كالدفاع الفردي عن النفس ونضال الشعوب التحرري من الاستعمار والتحرر من الاستعباد وقتال المستوطنين لطردهم من ديار استوطنوا فيها بالقوة، بعد أن كانوا قد قاموا بطرد سكانها الأصليين..إلخ.

أما الأوساط الغربية فتصور الحرب ضد 'الإرهاب' على أنها (نضال ضد سرطان ينشره البرابرة) وهذا ما أعلنه ريغان، الرئيس الأمريكي السابق، وهيغ، وزير الخارجية الأمريكي السابق. ويقولون إن خصوم الحضارة يغذون هذا الإرهاب. «لذلك فقد عمدت الولايات المتحدة إلى تشكيل شبكة إرهابية ليس لها مثيل لتقوم في طول الكوكب وعرضه بفضاعات لا حصر لها، خصوصاً في أمريكا اللاتينية. لقد هوجمت نيكاراغوا، وقامت إدارة ريغان بحرب ضدها، أدت إلى مقتل 57 ألف ضحية، منها 29 ألف من القتلى، وإلى خراب قد لا يكون قابلاً للإصلاح في المستقبل. نوعام تشومسكي».

في الربع الأخير من القرن العشرين، اتخذ الإرهاب أبعاداً دولية، متجاوزاً بذلك الحدود المحلية والإقليمية والاستهدافات الفردية والمصالح الشخصية، وأصبح إرهاباً بلا حدود. لذا فقد اقتضت معالجة الإرهاب جهداً دولياً، متمثلاً في هيئة الأمم المتحدة.

أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في كانون الأول/ديسمبر 1979 مشروع قرار تضمن إدانة مطلقة لجميع الأعمال الإرهابية، ودعوة الدول للإنضمام إلى الاتفاقيات الدولية المناهضة للإرهاب، بخاصة تسليم أومحاكمة الأشخاص الذين يرتكبون أعمالاً إرهابية، ومن أبرز هذه الاتفاقيات:

1. اتفاقية القضاء على الإرهاب الموجه ضد السفارات وضد الدبلوماسيين وضد الأشخاص الدوليين الآخرين المشمولين بالحماية، وهذه الاتفاقية دخلت حيز التنفيذ، وبلغ عدد الدول التي صدقت عليها أو انظمت إليها 91 دولة.
2. اتفاقية مناهضة اختطاف الرهائن، ودخلت هذه الاتفاقية حيز التنفيذ. وبلغ عدد الدول التي صدقت عليها أو انضمت إليها 77 دولة.
3. الاتفاقية المتعلقة بسلامة موظفي الأمم المتحدة والأفراد المرتبطين بها لعام 1996. إذ أن عدد الدول التي صدقت عليها أو انضمت إليها لم يزد عن 9 دول في حين وجوب العمل بها يحتاج إلى تصديق 22 دولة.
4. الاتفاقية الخاصة بالجرائم وبعض الأفعال الأخرى المرتكبة على متن الطائرات، وبلغ عدد الدول التي صدقت عليها 156دولة وبدأ العمل بها.
5. اتفاقية مكافحة الاستيلاء غير المشروع على الطائرات التي بدأ العمل بها وبلغ عدد الدول التي صدقت عليها 156 دولة.
6. اتفاقية قمع الأعمال غير المشروعة الموجهة ضد سلامة الطيران المدني، التي بوشر العمل بها بعد أن صادقت عليها 156 دولة.
7. الاتفاقية المتعلقة بقمع أعمال العنف غير المشروعة في المطارات التي تخدم الطيران المدني الدولي، التي بدأ العمل بها وبلغ عدد الدول التي صدقت عليها أو انضمت إليها 65 دولة.

8. اتفاقية الحماية المادية للمواد النووية، بدأ العمل بها وبلغ عدد الدول التي صدقت عليها أو انضمت إليها 55 دولة.

9. اتفاقية قمع الأعمال غير المشروعة الموجهة ضد سلامة الملاحة البحرية، بدأ العمل بها وبلغ عدد الدول التي صدقت عليها 33 دولة.

10. الاتفاقية المتعلقة بحماية منصات الحفر والبحث البحرية، دخلت حيز التنفيذ وبلغ عدد الدول التي صدقت عليها أو انضمت إليها 31 دولة.

11. الاتفاقية المتعلقة بالكشف عن المتفجرات البلاستيكية. لم يبدأ العمل بها وقد بلغ عدد الدول التي صدقت عليها أو انظمت إليها 33 دولة في حين يحتاج العمل بها إلى تصديق 35 دولة.

وإلى جانب هذه الاتفاقيات الدولية اتخذ المؤتمر السابع للأمم المتحدة، الذي انعقد في مدينة ميلانو الإيطالية عام 1985 بمشاركة عدد كبير من دول العالم، قراراً بمحاربة النشاطات الإجرامية ذات الطابع الإرهابي، وفي كانون الأول/ ديسمبر 1987 أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة إعلاناً جديداً أكدت فيه ضرورة اللجوء إلى الوسائل القانونية للقضاء على الإرهاب. وتحقيقاً لهذا الهدف تم اعتماد الإعلان المتعلق بالتدابير الرامية إلى القضاء على الإرهاب الدولي في التاسع من كانون الأول/ ديسمبر 1994، وهو الإعلان الذي أكدته الجميعة العمومية عام 1996، بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيس الأمم المتحدة لتأكيد أهمية التعاون الدولي في القضاء على الإرهاب.

تشبه الحرب ضد الإرهاب اليوم، من حيث الأجواء الثقافية والسياسية المصاحبة، أجواء الحرب الباردة من قبل. فقد كانت أمريكا تخشى سابقاً ميول الإتحاد السوفيتي والصين للهيمنة ومد السيطرة والسلطة، بما يُهدد المصالح الغربية، فضلاً عن الجاذبية الثقافية للشيوعية. والجديد في الموضوع اليوم هو أن الإرهاب، الذي لا يتمتع بالجاذبية والقوة نفسها، يَضرب مباشرة وليس بالواسطة، ولذلك فهو خطر داهم بنظر الأمريكيين. ويرى بعض قدامى المعنيين بحقوق الإنسان من أيام الحرب الباردة، أن الأجواء اليوم ليست سيئة بالنسبة لتلك الحقوق، مقارنة بالسابق، لكن في حقبة ريغان، كانت مهددة بأن تُصبح غير شعبية، أما في حقبة بوش فإنها ستصبح على الهامش.

مع انتهاء الحرب الباردة وهزيمة المعسكر الاشتراكي وانتصار الرأسمالية، برزت دَولة تعبر عن مصير ومصالح جميع شعوب وأمم العالم وتُجسدها، وتعتبر الجهاز التشريعي والقانوني لبني البشر جميعهم، من أي عرق أو لون أو دين كانوا، هذه الدولة هي الولايات المتحدة الأمريكية، التي يجب أن يغير ظهورها طبيعة عمل المنظمات الدولية والدول الوطنية والحياة الدولية ونواظمها القانونية والتشريعية، كي تتأقلم مع استحواذ دولة واحدة على العالم أجمع، فأصبح كل ما من شأنه تعكير سلطة هذه

الدولة أو عملها أو الاضرار بمصالحها أو ما يثير اضطراباً في حياتها أو ما يشجع الدول المحلية الدنيا على عصيان سلطتها، يعد إرهاباً من شأنه نشر الفوضى والعنف في العلاقات الدولية. وفي المقابل ليس إرهاباً كل ما تقوم به هذه الدولة الكبرى، مهما كان عنيفاً ومعادياً لمصالح الآخرين من دول وأفراد وجماعات. ومن هذا المنطلق أخذت في الآونة الأخيرة، حتى قبل أحداث 11 أيلول/سبتمبر، تُزاوج بين الإرهاب والكفاح التحرري المسلح.

وبعد الأحداث السابقة الذكر أخذت بالتطبيق العملي لهذا التزاوج بأن اعتبرت أن الإسلام السياسي هو المسؤول عن الإرهاب، وبالذات ذلك القادم من الشرق الأوسط. ومن جهة أخرى، يتحدث الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، في أغلب خطاباته بعد أحداث أيلول/سبتمبر، كأنه الكافل والكفيل لإسرائيل، ولم يمل أو يكل من توجيه إنذارات، لا مجال للبس فيها، إلى من تسول نفسه تأييد المقاومة الفلسطينية أو تقديم أي دعم لها، إذ أنها بذلك تُصبح طرفاً راعياً للإرهاب ومحتضناً له، الأمر الذي يُدرجها تلقائياً ضمن المستهدفين الذين سيحل بهم العقاب، في إطار حملة القضاء على الإرهاب، التي تُكلف مليار دولار شهرياً.

هذه الأحداث، قبل أن يبزغ فجر اليوم التالي عنها، وُسِمت بـ 'الإرهاب الإسلامي* ، وأدرجت لاحقاً جميع المنظمات العربية والإسلامية التي تعمل على تحرير أراضيها من الاحتلالات والإستعمارات، أدرجتها في خانة المنظمات الإرهابية، كحزب الله اللبناني والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وحركتي حماس والجهاد الإسلامي الفلسطينيتين وكتائب شهداء الأقصى (فتح عرفات) في هذه القائمة.

قد يتعجب المرء من هذا الاتجاه في تغيير المفاهيم التي سارت عليها البشرية آلاف السنين من قبل دولة تدعي أنها ستحكم العالم بعقل وعدالة وعلمانية. فهنالك مفاهيم عديدة تعمل على تحديد نوع العنف** ، هل هو إرهاب؟ أم هو حق مشروع في الدفاع

---

* أورد الإحصاء الذي أعلنه مكتب التحقيقات الفدرالي الـ إف.بي.آي في عام 1995، الذي يُحصي العمليات الإرهابية التي تعرضت لها أمريكا، ما بين عامي 1982 و1992، أورد قائمةً هي على الشكل التالي: «تعرضت أمريكا لـ 27 هجوماً إرهابياً من أبناء بورتيريكو و23 هجوماً لجماعيات يسارية و16 لمجموعات يمينية أمريكية، هذا باستثناء عملية واحدة في مركز التجارة العالمي، التي قام بها مسلمون».
أما بالنسبة للعمليات التي تعرضت لها المصالح الأمريكية خارج أمريكا، فعددها 44 في دول أمريكا اللاتينية في العام 1994 وحده. أما في الشرق الأوسط فقد وقعت 8 عمليات، وفي آسيا 5، وفي أوروبا 5، وفي أفريقيا 4.

** يعرف أمير سالم، رئيس تحرير مجلة حقوق الإنسان غير الدورية التي تصدر في مصر، يُعرف العنف قائلاً: العنف وسيلة إجرامية، اخترعها الإنسان ليُعبر بها عن أحط الجوانب السلبية غير المتحضرة في تاريخ البشرية. العنف جريمة جزائية إذا أُستخدم فيها العقل، التدبير والتفكير، فهي عمدية، تنطوي على اصرار وترصد، وقد تنطوي على عقيدة ومصلحة. وإذا لم يُستخدم فيها العقل، أي غيّب الوعي عنها، انطلق عقال الطيش والانفعال والتهور. وفي كلا الحالتين هي جريمة من إنسان ضد إنسان، يتم فيها الاعتداء على جسد الإنسان وعلى حياته وكرامته وعلى حريته وحقوقه. وهي تعبير عن الجانب الهمجي في الإنسان. وفي جميع الأحوال، قد نقبل دراسة وتحليل وتصنيف العنف الإنساني، ولكن لا يقبل أي عقل بشري سليم، أي صورة من صور العنف، مهما كانت

عن النفس؟ وهذه المفاهيم كالقمع والاخضاع والسيطرة والعدوان والإجرام التدمير واستخدام الأسلحة النووية والقتل الجسدي والمعنوي والسيطرة الاستعمارية والسيطرة الاقتصادية والحصارالاقتصادي والثقافي والدفاع عن النفس والحيض عن الديار ونصرة المظلوم والدفاع عن الحق والجهاد ورد الظالم وإغاثة الملهوف والوقوف في وجه الطغيان، وغيرها الكثير، جميعها لها شأن في تحديد ماهية العمل العنفي إن كان مشروعاً أم لا. ونحن هنا نتساءل أين تقف أعمال كالتالية: اقتلاع الهنود الحمر بالقتل والرعب؛ الهجوم على ناغازاكي وهيروشيما بالقنابل النووية وقتل مئات الآلاف من اليابانيين وتدمير البنية التحتية لمدينتي هيروشيما وناغازاكي؛ الانحياز للتمييز العنصري في جنوب إفريقيا؛ حرب فيتنام؛ الحرب الكورية؛ غزو هاييتي؛ محاولات اغتيال كاسترو والعديد من الشخصيات العالمية؛ قصف ليبيا بالطيران الحربي؛ الحصار الاقتصادي على العراق؛ وإلى ما هنالك من هذه الأفعال؟ فهل هذه الأعمال هي من أعمال الدفاع عن النفس ومناصرة المظلوم أو إحقاق الحق أو رد الظالم؟

إن ما تسميه أمريكا بالإرهاب، ما هو إلا حق شرعي في الدفاع عن النفس. فالذي حصل في الصومال وفي لبنان وفي فيتنام وفي كوريا وفي أمريكا الجنوبية وفي مناطق مختلفة من شرق آسيا، ما هو إلا ردات فعل على ما ارتكبه الغرب، لاسيما الولايات المتحدة، من ظلم وقهر وتجاهل واعتداءات وانتهاكات لأبسط الحقوق الإنسانية لهذه الشعوب وللنهب المستمر لخيراتها، تلك الشعوب التي تجد نفسها أمام مفارقة حضارية خطيرة. فهي في الوقت الذي تجد نفسها تعيش مناخات حضارة اليوم المتقدمة، ترى نفسها في الوقت ذاته خارج دائرة تداول وإنتاج هذه الحضارة، باقيةً على الهامش وتأخذ دور المتفرج على مباهج رخاء وحضارة الآخر الغربي، في الوقت الذي فيه أيضاً تعاني من مظالمه وتعجز عن اللحاق به، ليس لقصر أو تقصير منها، وإنما بسبب أنه أي الغرب لا يسمح لها بذلك، حيث يضع أمامها المكابح الخارجية والعراقيل الداخلية بتدخلات مختلفة الصعد والمستويات، في عالم لا يرحمها ولا يفهم سوى لغة القوة وموازينهاوالكيل بمكيالين، الأمر الذي يجعل مشاعرها تتحول بهذه المفارقات وما ينتج عنها من ظلم وتهميش، لا سيما إذا أُضيف إلى ذلك ظلم الاحتلال والقهر القومي، كحال الشعب الفلسطيني، تتحول إلى وقود للعنف الموجه ضد مصالح الظالمين، الذين لم يتوقفوا عن اعتبار أن السياسة بدأت بمكيافيلي وستنتهي به، وأن المصلحة هي أساس الملك، دون الاكتراث بالمعايير الأخلاقية والإنسانية.

مبرراته. وقد يكون العنف البشري فردياً، وهي الجرائم ذات عشرات الصور التي تملأ صفحات الحوادث في جميع صحف العالم. وقد يكون جماعياً ومؤسسياً، ويدخل في ذلك حروب الدول ضد بعضها البعض والجماعات السياسية والدينية، عرقية أو إثنية أو عنصرية أو جماعات العنف لأسباب مصلحية بحتة، تجارية أو اقتصادية، كجماعات المافيا. وعنف الدولة ومؤسساتها ضد الأفراد والجماعات.

وفي تعبير لريمون آرون وهو أحد أقطاب مدرسة الحضارة الغربية الحديثة، أنه **ليس هنالك من حضارة سوى الحضارة الغربية*، ويجب القضاء نهائياً على كل من يُفكر بمسها بسوء، لأنها من تراث الدين اليهودي. المسيحي، وهي الحضارة اليونانية الإغريقية الأوروبية التي يجب أن يقبل بها العالم لأنها متفوقة على غيرها، ليستخلص أن إسرائيل هي امتداد لهذه الحضارة ويجب أن تدافع عنها أمريكا والغرب بكل ما لديهما من قوة، الأمر الذي يدل بالتأكيد على عدم الاعتراف بالآخر.**

ومن معالم إرهاب الدولة، ما مارسته أمريكا ولاتزال إلى اليوم تمارسه ضد دولة أفغانستان 'الإرهاب'، حيث هي بهذا تتخطى كل المواثيق الدولية، ومفهوم تعريف العدوان لعام 1974، وذلك عندما صورت الهجمات عليها وعلى الشعب الأمريكي في 11 أيلول/ سبتمبر 2001، وكأنه اعتداء عليها من دولة على أراضيها. مما دفعها لتأليب الرأي العام الدولي والأمريكي ضد أفغانستان، مقدمة لإعلانها شن الحرب ضدها.

والجميع يعلم أن منفذي الهجمات انطلقوا من الأراضي الأمريكية، ونفذت تلك الهجمات ضمن نطاق الولايات المتحدة. ونشير هنا إلى تعريف العدوان، الذي أصبح من القوانين المتعارف عليها دولياً والصادر عام 1974، والذي يقول: «إن العدوان هو استخدام دولة لقواتها المسلحة بطريقة غير مشروعة ضد دولة أخرى. ففقط في هذه الحالة تبرز حالة الدفاع عن النفس وفقاً لميثاق الأمم المتحدة.» وهنا تجدر الإشارة إلى أنه لا يمكن للولايات المتحدة أن تستند إلى المادة الثالثة الفقرة 'ز' من تعريف العدوان التي تقول: (بتصرف)«إن أي من الأعمال الواردة فيما يلي، سواء جرى إعلان حرب أم لا، ومع الاحتفاظ بأحكام المادة الثانية ووفقاً لها، إنما يتضمن شروط فعل العدوان.

ز. إذا أرسلت دولة ما، هي أو باسمها زمراً أو جماعات مسلحة أو قوات غير نظامية أو مرتزقة للقيام بأعمال قوة مسلحة ضد دولة أخرى، إلى درجة من الخطورة بلغت حد الأعمال المعادية، مثل اجتياح أراضٍ، قصف أراض، حصار موانئ دولة أو شواطئها...وإذا التزمت تلك الدولة بطريقة جوهرية بمثل ذلك.» إذن، إن الولايات المتحدة لا يمكنها التعويل على المادة '3'، الفقرة 'ز'، المذكورة أعلاه لسببين:

---

* في كتاب 'ديستوفسكي في مانهاتن'، يطرح كاتبه المنظر الفرنسي أندريه غلوكسمان النزعة العدمية كمسبب لما حدث في نيويورك وواشنطن، ويتساءل: 'لم يريدوا بالتحديد النصر للإسلام؟ أو للشعب الفلسطيني؟ أرادوا فقط وبالتحديد ما حلم به نيتشايف ذات يوم من العام 1869، حين كتب: »مهمتنا هي الدمار الرهيب الكامل الذي لا يعرف الشفقة... علينا أن نتحد بعالم قطاع الطرق الشجعان، ندك هذا العالم بقوة رهيبة مدمرة.« ومن العدميين الروس إلى مسؤولي 'القاعدة' يحاول غلوكسمان أن يشرح موضوع العدمية هذا الذي يجمع كل التنظيمات الحديثة ويضم مجرمين من 'دون حدود' في هدف واحد مشترك: محو الحاضر بصورته الحالية وعدم ترك حجر على حجر. إنه العنف غير المحدود تجاه الماضي والحاضر. أما الغد حيث يُصبح كل شيء مهدماً، فسوف يرتجلونه. وقد يتدخل الله حينها ليخلق إنساناً آخر. وبانتظار ذلك يجب الاستمرار بالهدم والقتل من دون هوادة ولا تراجع وبأي ثمن! هذا ما يمتلكه عدميو الأمس وعدميو اليوم من قواسم مشتركة.

الأول: لأن أسامة بن لادن (المتهم من قبل الولايات المتحدة) لا يمثل أفغانستان. كما أن أفغانستان لم تُرسل تلك الجماعات لتنفيذ هجمات.

الثاني: لم يصدر عن أفغانستان، أو عن أي دولة أخرى أي التزام أو إعتراف بطريقة جوهرية يؤكد إرسالها لتلك (الزمر) أو الجماعات المسلحة لشن الهجمات ضد الولايات المتحدة.

لذلك كان من المفترض على الولايات المتحدة، حسب القانون الدولي، جمع المستندات والإثباتات والدلائل التي تدعي أنها بحوزتها وتقديمها إلى الدولة التي تعتبر أن المحرضين أو المخططين موجودون على أراضيها، وذلك عبر الطرق الدبلوماسية المعروفة في القانون الدولي.

وبالتالي، كان على السيناريو أن يأخذ السياق القانوني التالي:

1. إذا وجدت الولايات المتحدة أن أسامة بن لادن، يُعتبر مسؤولاً كمحرض أو كمخطط للهجمات، عليها أن تُقدم المستندات التي بحوزتها إلى السلطات الأفغانية حيث يعيش أسامة بن لادن، وذلك من أجل تسليمه وتقديمه للمحاكمة، وذلك عبر الطرق الدبلوماسية (مثلاً يمكن لباكستان، التي تمتلك علاقات دبلوماسية مع أفغانستان أن تُساعد في ذلك، كما يُمكن للأمم المتحدة المساعدة أيضاً).

2. إذا ما رأت أفغانستان أن أسامة بن لادن يُعتبر مسؤولاً وفقاً للمعطيات والمستندات التي تسلمتها من الولايات المتحدة، عليها أن تقوم بأحد الاجراءات القانونية التالية:

أ. يُسلم أسامة بن لادن إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث حصلت العمليات على أراضيها.

ب. يُسلم إلى المحكمة الجنائية الدولية، فيما لو أصبحت بحكم المنشأة قانونياً (تحتاج إلى توقيع 60 دولة)، لأن من ضمن اختصاصاتها محاكمة الأشخاص المتهمين بجرائم ضد إنسانية.

ج.محاكمته في أفغانستان، وذلك لانتفاء وجود اتفاقية دولية مع الولايات المتحدة تُلزمها تسليم المطلوبين.

والذي حصل أن الولايات المتحدة اكتفت بالقول أن لديها اثباتات دامغة، حول تورط أسامة بن لادن ومسؤوليته عن الهجمات واكتفت باطلاع الدول المقربة منها أو التي تدور في فلكها (باكستان، بريطانيا)، ورفضت تقديم تلك المستندات إلى الحكومة الأفغانية.

كما اعتمدت الولايات المتحدة في حملتها هذه ضد 'الإرهاب' على الحملات الإعلامية التهويشية والمحرضة عنصرياً ودينياً، مستخدمة جميع وسائل الإعلام المتوفرة والتي تخضع لسيطرتها وسيطرة اللوبيات اليهودية في العالم، إن كان في

أمريكا أو في دول الغرب الأخرى. وكانت الحملات المعلنة وغير المعلنة ضد العرب والمسلمين في وسائل الإعلام الأمريكية والغربية تقود مباشرة إلى التحريض على الحقد والكراهية والعداء لأسباب تتعلق بالعرب كجنس وبالإسلام كدين، وهي أهداف لا تقرها مواثيق الأمم المتحدة، بل هي تعمل جاهدة على مكافحتها، وحتى أن هذه الأمور تقع أيضاً تحت طائلة العقاب والمقاضاة في قوانين ودساتير الولايات المتحدة وجميع دول الغرب الرأسمالي، لكن مناخ الحرب التي ارتأتها الولايات المتحدة سمح بذلك. إلى جانب أن التأثير السلبي المتزايد لوسائل الإعلام الأمريكية والأوروبية، منذ كارثة 11 أيلول/سبتمبر، على الرأي العام الأمريكي والأوروبي قد ضاعف من الآثار السلبية لحملات العداء والكراهية للعرب والمسلمين، التي سيطرت على أغلب وسائل الإعلام الغربية، واعتمدت كما سبق الإشارة على كم هائل من المعلومات المغلوطة والأكاذيب التي تُثير الرأي العام وتستعديه ضد شعوب وحكومات عربية وإسلامية، بينما لا يقوى الإعلام العربي للأسف على الرد على تلك المغالطات ودفع الأكاذيب، نتيجة أوضاع تاريخية وهيكلية لايتسع المجال لتفنيدها. وهنا تكفي الإشارة إلى أن حرمان الرأي العام الأمريكي والأوروبي من معرفة الحقائق والاطلاع على الرأي الآخر. العربي والإسلامي . يُؤدي إلى تعميق مشاعر العداء والاستقطاب بين الشعوب.

إن مثل هذه الممارسات في وسائل الإعلام الغربي وأكثرها انتشاراً وتأثيراً، تشجع على القول بأننا أزاء نوع جديد من الإرهاب، ألا وهو '**الإرهاب الإعلامي**'. فالإرهاب من أحد جوانبه هو استخدام العنف بقصد الإضرار المعنوي وتحقيق أهداف سياسية. ونحن إذا تأملنا الأهداف العامة والنتائج الحاصلة أو المتوقعة عن حملات الإعلام الغربي ضد العرب والمسلمين، نجد أنفسنا فعلاً أمام إرهاب معنوي يفوق ما تتركه الطائرات والسفن والصواريخ الحربية من آثار تدمير مادية. وإذا كان الإرهاب يشمل جميع أشكال استخدام العنف، فما تحدثه حملات الإعلام الغربية ضد العرب والمسلمين يندرج في إطار هذا التعريف، خاصة وأن تأثيره الواسع والقوي، اعتماداً على منجزات ثورة المعلوماتية والاتصالات، يجعل منها عنفاً رمزياً جديداً، فهو عنف معولم، يعبر الحدود القومية والثقافية بين الدول.

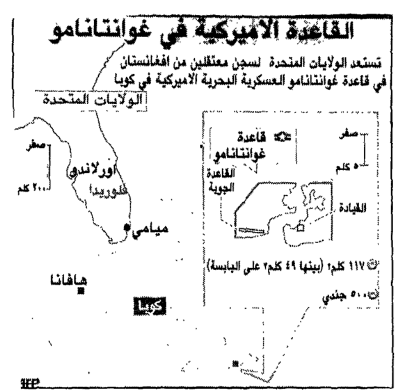
يبدو أن هذا الاتجاه السابق الذكر، إلى وقتنا الحاضر، هو الاتجاه المهيمن على الغرب وسياساته، ويقف بقوة ضد الاتجاه العقلاني الغربي المتنور، الذي تمثله مدرسة موجودة في أمريكا وأوروبا والتي تدعو إلى فتح أبواب الغرب نحو الشرق: **اتجهوا نحو الشرق. فإن النور لا يأتي إلا منه. فمن الشرق أتى الأنبياء، موسى وعيسى ومحمد. هذا الشرق العظيم لا يُمكن إلا أن يلتقي مع الغرب ولا يمكن أن تصب أخلاقياته إلا في مجمع الحضارة العالمية والإنسانية.** ومن هؤلاء أمثال كارل دويتش وروجر بيس وولونغ بللو ووليم فولبراين وسواهم، الذين ذهبوا أبعد من ذلك في الدعوة إلى محاولة تحويل العولمة الحالية المتوحشة إلى عولمة اندماجية عالمية وكتبوا عن التطور الديمقراطي وإرساء المجتمع الإنساني واحلال السلام على كافة أرجاء المعمورة. وبهدف الوصول إلى

هذا المبتغى الإنساني السامي كتبوا الكثير من الدراسات عن تطوير المواصلات بكل أشكالها لايجاد أواصر التفاهم والتعاون بين الشعوب والوصول إلى مستوى راق متساوٍ لجميع الشعوب دون استثناء، منوهين، في الوقت ذاته، إلى أنه حينما يكون بين الغربِ والآخرين جدار سميك، فإن هذا الأخير يمنع التواصل ويؤدي إلى عدم التعاون وحتى إلى العداء والإرهاب المتبادل، لكن إذا أُزيل هذا الجدار فسرعان ما تتحول العلاقة تفاهماً بين البشر وإشادة الاندماج والانصهار والتكامل وتضييق الهوة بين الأوطان والمجتمعات، كي يتعاون الجميع على محاربة الحرمان السياسي والاجتماعي والإقتصادي في العالم.

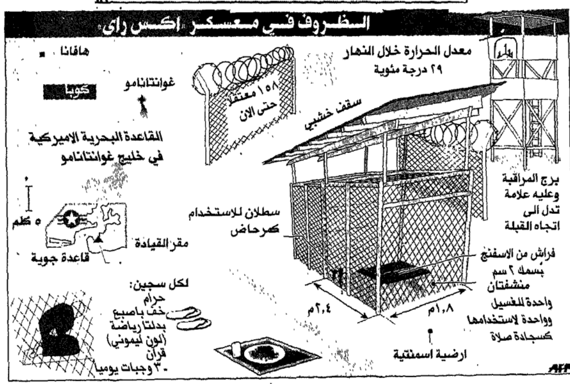
يقول بول فندلي، الباحث والسيناتور الأمريكي، والشخصية السياسية البارزة في أمريكا والعالم: **يجب أن نولي اهتماماً كبيراً بوضع كوكبنا برمته لأن يكون منبع هذا الاهتمام ممثلاً فقط في أننا نواجه جدول أعمال جديداً من الأخطار الأمنية كالاحتباس الحراري والهجرة الجماعية والحروب الاقليمية والمجاعة والمجازر واحتجاز الرهائن وقتل الأبرياء، بل الانفتاح على الآخر بقلب كبير وأن نقدر جميعاً أن نظاماً دولياً مستقراً وحضارة إنسانية خضراء على الأرض لا يمكن أن تتحقق في ظل انفجار سكاني كبير في العالم الثالث وانفجار تكنولوجي وعلمي يسير بسرعة هائلة في العالم الصناعي. إن هذا الواقع يحتم علينا أن نساهم بأي شكل من الأشكال في مواجهة المشكلة لكي تعطي نتائج ايجابية على الجميع، ليس لفئة دون أخرى ولا لشعب أو أمة دون سواها. وبذلك تُصبح جميع المسارات مفتوحة على بعضها البعض وتصب في النهاية في النهر العالمي الحضاري العظيم. فالأنا والآخرون روافد لهذا النهر، إن شاؤوا أم أبوا.**

بعد أن أحرزت الولايات المتحدة بعض من انتصارات خلال حربها لمكافحة 'الإرهاب' في أفغانستان. كيف عاملت القوات المسلحة الأمريكية أسرى حربها هذه، الذين من المفترض، حتى إذا اعترفنا بأن ما جرى عبارة عن حرب بين دولتين، أن يُصبحوا أسرى حرب؟

لقد أخذ المسؤولون الأمريكيون يتبارون بالتصريحات بأن هؤلاء المعتقلين لا يُعتبرون أسرى حرب ولن تعاملهم الولايات المتحدة كذلك، وأنهم سيخضعون لمختلف أنواع وأساليب التحقيقات القمينة بالكشف عن الأسرار التي بحوزتهم عن بن لادن وتنظيمة وعن طالبان وتشعباتها. وهذا هو القس نايجل كوبر، راعي كنيسة سانت ماري في مقاطعة إسكس البريطانية، ينتقد رد فعل الولايات المتحدة على إرهاب 11 أيلول/سبتمبر وعلى معاملة أسرى طالبان والقاعدة في قاعدة خليج غوانتانامو. كما يوجة انتقاداته إلى الرأسمالية، بشكل عام، والأصولية المسيحية بشكل خاص، المنتشرة في الولايات المتحدة ويقول: **بحق أنهم لا يُحاربون من أجل الدفاع عن المدنية، بل لبناء امبراطورية السلطة والتسلط وأسلوب المعيشة الأمريكي من الرفاه، وسط عالم من الفقر.**



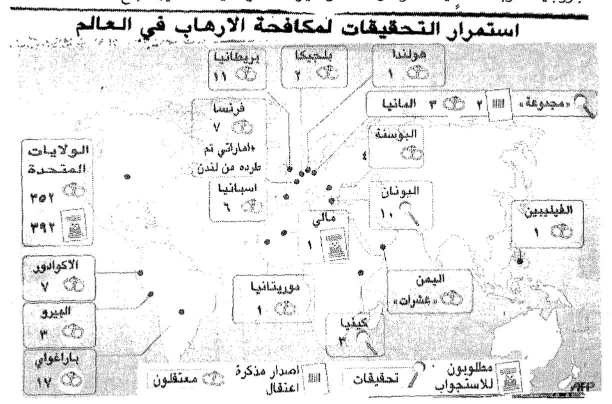
القاعدة الاميركية في غوانتانامو
تستعد الولايات المتحدة لسجن معتقلين من افغانستان
في قاعدة غوانتانامو العسكرية البحرية الاميركية في كوبا
الولايات المتحدة
صفر
٢٠٠ كلم
اورلاندو
فلوريدا
ميامي
هافانا
كوبا
قاعدة غوانتانامو
القاعدة الجوية
القيادة
صفر
٥ كلم
١١٧ كلم٢ (بينها ٤٩ كلم٢ على اليابسة)
٥٠٠ جندي
AFP



الظروف في معسكر «اكس راي»
هافانا
كوبا
غوانتانامو
القاعدة البحرية الاميركية
في خليج غوانتانامو
٥ كلم
مقر القيادة
قاعدة جوية
١٥٨ معتقلا حتى الآن
معدل الحرارة خلال النهار
٢٩ درجة مئوية
سقف خشبي
سطلان للاستخدام كمرحاض
برج المراقبة وعليه علامة تدل الى اتجاه القبلة
فراش من الاسفنج بسمك ٢ سم
منشفتان واحدة للغسيل وواحدة لاستخدامها كسجادة صلاة
٢،٤م
١،٨م
ارضية اسمنتية
لكل سجين:
حرام
خف باصبع
بدلتا رياضة (لون ليموني)
قرآن
٣ وجبات يوميا
AFP

ومن الولايات المتحدة ذاتها، ندد الداعية الأمريكي الأسود لويس فرخان، رئيس جماعة أمة الإسلام، بالحرب الأمريكية ضد 'الإرهاب'، قائلاً بلهجة انتقادية: «**الولايات المتحدة أكثر خطراً على السلام من الإرهاب، والرئيس بوش يجب أن يحاكم بتهمة ارتكاب جرائم حرب.» وحث فرخان في خطاب ألقاه في لوس أنجلوس، الأمريكيين على انتقاد الحرب الأمريكية ضد 'الإرهاب' وقال إن «في أمريكا الجميلة الكثير من البشاعة التي يُمكن تحويلها إلى جمال.»**

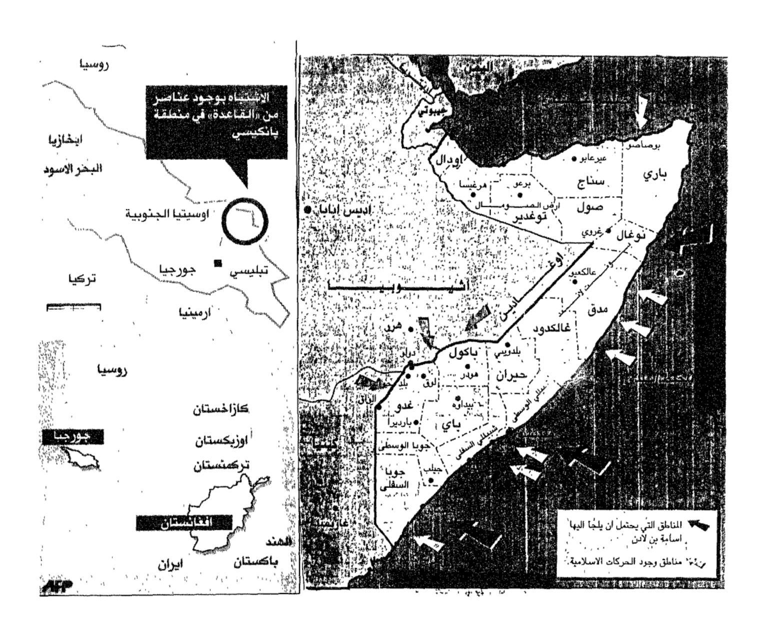
أما فيما يتعلق بالتنقلات غير المعلنة رسمياً لحملتها لمكافحة الإرهاب، فأنها آخذت تنتقل شيئاً فشيئاً، من دولة إلى أخرى فهي اليوم في الفلبين* وغداً في جورجيا** وبعد غدٍ في الصومال*** ، وأخيراً استقرت في فلسطين ..إلخ.



* كتب نيقولايس كريستوف في 'نيويورك تايمز' بتاريخ 2002/2/12، قائلاً: »أن فلاحاً شاباً هزيل الجسم اسمه انغولا، كان يمشي في ممر مواز لغابة في الفلبين، حين هاجمته مجموعة من الإرهابيين ... فحطمت سبعة من أضلاعه وثلاثة فقرات من سلسلة فقرات ظهره وطعنته في ذراعيه وعنقه وقطعت لسانه وأعضائه التناسلية... ولم يحصل موت انغولا على هذه الطريقة البشعة على أيدي جماعة أبو سياف. كان القتلة من الجنود الفلبينيين المحروسين من الجنود الأمريكيين، عبر حملتهم المشتركة على اراضي الفلبين ضد 'الإرهاب'.«

** في الأيام الأولى من شهر آذار/مارس 2002، وصلت إلى جورجيا في القفقاز قوات أمريكية بهدف 'تصفية الحسابات' مع من 'يُفترض' أنهم من تنظيم القاعدة. وقبلها جرت هنالك مهاترات بين وزير الخارجية الروسي إيقور إيفانوف والرئيس الجورجي إدوارد شيفيرنادزة، استهلها الأول بتصريح قال فيه أن أسامة بن لادن قد يكون قد التجأ إلى وادي بانكيسي في أراضي جورجيا، الأمر الذي اعتبرته الحكومة الجورجية إهانة لها. فرد عليه الرئيس الجورجي بأن الأولى بالوزير الروسي أن يبحث في بيت أمه عن ابن لادن، علماً بأن والدة إيفانوف من منطقة بانكيسي.

*** كانت القوات الأمريكية التي اشتركت في حملة 'إعادة الأمل' في الصومال عام 1993، كانت قد فقدت 12 عسكرياً قتلاً، وأسقطت لها مروحيتان. ويعتقد الأمريكيون أن أفراد من شبكة 'القاعدة' كانوا قد ساهموا بهذه 'الإعتداءات'.



روسيا
الاشتباه بوجود عناصر من «القاعدة» في منطقة بانكيسي
ابخازيا
البحر الاسود
اوسيتيا الجنوبية
تبليسي
جورجيا
تركيا
ارمينيا
روسيا
كازاخستان
جورجيا
اوزبكستان
تركمنستان
افغانستان
الهند
باكستان
ايران
AFP
اليمن
جيبوتي
اودال
مرغيسا
برعو
عيرعابو
بوصاصو
سناج
باري
ارض الصومال
توغدير
صول
اديس ابابا
نوغال
غروي
اثيوبيا
اوغادين
عالكعيو
مدق
غالكدود
هرر
باكول
بلدويني
حيران
لوق
غدو
بيداوه
باي
باردير
جوبا الوسطى
جوبا السفلى
جيلب
شبيلي الوسطى
شبيلي السفلى
كينيا
المناطق التي يحتمل ان يلجأ اليها اسامة بن لادن
مناطق وجود الحركات الاسلامية

أولى حروب القرن

ومصير الصراع العربي الإسرائيلي



لكي نفهم ما تمخض عن أحداث 11 أيلول/سبتمبر وأولى حروب القرن، فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي، والذي بات بجدارة ما يُمكن تسميته بالصراع العربي ـ الأمريكي الإسرائيلي، علينا أن ندرس ما هي خطط السياسات الأمريكية ـ الإسرائيلية إزاء قضايا الشرق الأوسط، التي وضعت قبيل نشوب أولى حروب القرن الأمريكية ـ الإسرائيلية. وخير ما يُطلعنا على ذلك هو التقرير المقدم للرئيس الأمريكي جورج/ دبليو بوش، والذي وضعه 'معهد واشنطن'، بعد أن نعلم أن هذا المعهد كان قد أُسس من تبرعات ومساهمات الأمريكيين اليهود.

ضمت مجموعة العمل الرئيسية أربعين سفيراً ووزيراً وخبيراً سبقت لهم الخدمة في إدارات جمهورية من قبل. وكان للمجموعة لجنة إدارية ضيقة ضمت وزراء خارجية سابقين (بينهم الكسندر هيغ من ادارة ريغان الأولى مثلاً)، ومستشاري أمن قومي (منهم أنتوني ليك من إدارة ريغان الأولى أيضاً)، وسفراء عملوا في منطقة الشرق الأوسط (مثل صموئيل لويس الذي خدم ثمان سنوات سفيراً في إسرائيل).

وقد تولت اللجنة ترتيب وتنسيق زيارات ولقاءات لأعضائها على اتساع عواصم الشرق الأوسط وذلك لاجراء حوارات 'استراتيجية معمقة'. لهذا الغرض قام أحد عشر عضواً من المجموعة بزيارة للمملكة العربية السعودية وللأردن ولإسرائيل وللضفة الغربية، وقابلوا مجتمعين وفرادى كل من ظنوا أن لديه شيئاً مهماً يسمعونه منه.

وعندما فرغت اللجنة من إعداد تقريرها وقد ركزت علية طوال أشهر ربيع 2001، قررت ارسال اثنين من أفراد المجموعة هما دافيد بروك وروبرت ساتلوف في أوائل الصيف (حزيران/يونيو) إلى المنطقة لمهمة 'النظرة الأخيرة' واضافة 'اللمسة الأخيرة'.

وأخيراً وفي الأيام الأخيرة من شهر حزيران/يونيو عام 2001، أكملت اللجنة تقريرها في ثمانين صفحة، أردنا في هذا العمل أن نورد أهم الارشادات التي وجهتها مجموعة الرئاسة للدراسات للرئيس جورج دبليو بوش، لكي يأخذها بنظر الاعتبار أثناء فترة رئاسته.

في صلب التقرير كلام صريح موجه للرئيس «جورج دبليو بوش» يخاطبه مباشرةب: لاتفعل ذلك ـ وافعل ذلك، وتنبه هنا ـ وحاذر هناك.

وأول المنهي عنه بالتصريح والتلميح مسألتان:

ـ المسألة الأولى خطاب للرئيس: لا تخلط في منطقة الشرق الأوسط ـ أو ما يسمى كذلك اصطلاحا ـ بين «نطاقين استراتيجين» لأنه لا بد أن يظل كل منهما مستقلاً بذاته وبعيداً عن الآخر:

الخليج وما حوله من ناحية، وفلسطين وماحولها من ناحية أخرى (بمعنى ضرورة الفصل في سياساته ما بين إسرائيل وبين البترول)، والاعتبار أن الخليج قضية وفلسطين قضية أخرى والمزج بين الاثنتين يخلق تفاعلات تنشأ عنها شحنات خطر يصعب تقديرها. يضاف الى ذلك أن الفصل بين النطاقين هو الضمان لإحكام السيطرة على إدارة كل واحدة منهما في حدوده المعينة وفي إطاره المحسوب.

ـ والمسألة الثانية خطاب للرئيس أيضاً: لاتقع في الأخطاء التي وقع فيها «كلينتون» قبلك ... بمعنى أن عليك أن تحتفظ لنفسك بمسافة كافية تبعدك عن التناول المباشر لأزمات الشرق الأوسط وتحميك من التفصيل وتحفظ للرئاسة مهابتها. لكنه فيما يتعلق بقضية الخليج تستطيع أن تقترب أكثر بحكم حجم المصالح وخصوصية الأطراف التي تتعامل معها الولايات المتحدة.

وهنا يظهر معنى الاتصال ـ الذي سبقت الإشارة إليه ـ بين بوش الأب وبين الأمير عبد الله ولي عهد السعودية مباشرة، ومن أثره أن الأمير عبد الله عرف مبكرا وتفهم أن الرئيس الجديد (الابن) ليس مستعدا بعد لموسم زيارات الربيع التي يتسابق إليها أمراء ورؤساء المنطقة على طرق السفر إلى واشنطن.

(وهكذا فإنه لم يكن في برنامج الأمير عبدالله زيارة لواشنطن تحدد موعدها ثم تأجل غضباً أو احتجاجاً، وإنما كان هناك منذ البداية وعلى مستوى البيت الأبيض اتفاق على موعد متفق عليه أُجل لاحقاً-إلى خريف قادم 2001 أو ربيع 2002).

وتتضح هنا نتيجة واضحة لها مقدمات جلية ومؤداها أن التعامل مع النطاق الإستراتيجي للخليج وماحوله هو اختصاص يقوم عليه البيت الأبيض، لأن تفاعلات هذا النطاق ـ خصوصا إذا غاب عنها تأثير نطاق فلسطين وما حولها ـ تفاعلات محكومة ومضبوطة. وليس من المحتم أن يقوم الرئيس بنفسه بالتعامل مع نطاق الخليج ـ فالاحتفاظ له في كل الأحوال بمسافة عازلة مطلب قائم ودائم ـ وإنما يمكن من البيت الأبيض باستمرار ـ أن يقوم بالاتصال «ديك تشيني» نائب الرئيس، كما يمكن أن يساعد فيه وزير الدفاع «دونالد رمسفيلد» لأن قوات الخليج ـ وهي الضامن الأول والأخير لأمن الخليج ـ في دائرة اختصاصه وتحت سلطته المباشرة.

أما فيما يتعلق بالنطاق الإستراتيجي الآخر «وهو فلسطين وما حولها» فهو نطاق يستحسن التعامل معه من بعيد، وفي كل الأحوال من خارج البيت الأبيض أي من وزارة الخارجية أو إدارة المخابرات المركزية حسب ما تقتضيه الظروف. وعلى أرض الواقع

فإن وزارة الخارجية لها سفير دائم مكلف بنقل الرسائل بين الأطراف، كما أن وكالة المخابرات المركزية قائمة على ترتيبات فاعلة ومؤثرة!

- يدخل صلب التقرير بعد ذلك مباشرةً مقترحاً على الرئيس توصيات يأخذ بها في سياساته وقراراته.

التوصية الأولى:

«عليك» أن تمنع نشوب حرب إقليمية في الشرق الأوسط.. وسائلك إلى ذلك على النحو التالي:

- عليك أن تؤكد طوال الوقت أهمية تحالفنا الإستراتيجي غير المكتوب مع إسرائيل وحتى يفهم الجميع بغير التباس أن القوة الأميركية غالبة وأن إسرائيل «شريك» إستراتيجي لنا.

- عليك أن تستغل وتستعمل الدول العربية المعتدلة (خصوصا مصر والأردن والمغرب والسعودية) وذلك لتشجيع طرح مبادرات وعرض صيغ تبقى عملية التسوية مفتوحة طوال الوقت.

- عليك أن تواجه المعارضين لسياستنا - الحاليين والمحتملين - بسياسة رادعة.

وفي هذا المجال فإن عليك أيضاً إفهام بغداد بأن اقترابها أو تدخلها في الصراع العربي - الإسرائيلي لايمكن السماح به. وأن الولايات المتحدة تراقب محاولات العراق لتخويف وابتزاز الأردن، كما لايستطيع العراق أن ينتهز فرصة زيادة التوتر في فلسطين ويجرب القيام بعمليات تعزيز سلطاته في مناطق الأكراد.

التوصية الثانية:

«عليك» أن تعيد تقييم تجربة المفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين بما في ذلك تجربة «أوسلو» حتى تتضح خطواتك نحو التسوية وتبين أمامك.. وسائلك إلى تحقيق ذلك على النحو التالي:

- عليك أن تقرر - بعد استكشاف مواقف الإسرائيليين والفلسطينيين - إذا كانت الجهود التي بذلت في الأسابيع الأخيرة من إدارة كلينتون وتحت إشرافه تستطيع توفير أساس تقوم فوقه إضافات ترتفع به إلى المستوى اللازم - أم أن ذلك الجهد كان مضيعة للوقت وبالتالي تفض يدك منه ومن نتائجه.

- عليك أن تقرر هدفاً لتدخل إدارتك في هذه الأزمة فإما أن تختار البحث عن حل دائم، أو تكتفي بسياسة خطوة خطوة مرة أخرى.

- عليك أن تقوم بتحذير الطرفين من قيام أي منهما بعمل منفرد أو التهديد بعمل منفرد ولابد أن يعرف الفلسطينيون دون أدنى شك أنك لن تقبل إعلان قيام دولة فلسطينية من طرف واحد - كما أنه لابد أن يعرف الإسرائيليون أنك لن تقبل بعملية فصل كامل بين الشعبين.

- عليك أن توضح أمام كل من الطرفين أن الولايات المتحدة ليست لها مصالح ملحة تريد ضمانها من توصل الطرفين إلى تسوية - وإذا تم فصل نطاق الخليج عن النطاق الفلسطيني الإسرائيلي - فإن مصالح الولايات المتحدة في التسوية النهائية بينهما محدودة وكل ما تريد الولايات المتحدة تحقيقه هو وضع نهاية للصراع تبقي الأماكن المقدسة هناك مفتوحة لأتباع كل الأديان. وليس لإدارتك أن تقدم أية «مقترحات أميركية» لحل عقد مستعصية وإن كان بمقدورها أن تفعل ذلك بشرطين:

1 . أن يطلب الطرفان تدخلها بتقديم صيغة حل.

2 . وأن يتعهد كلاهما بقبول الصيغة التي تقدمها.

- عليك إعلام الطرفين بكل الوسائل أن التفاوض هو مسؤولية الإثنين وحدهما وأن، إدارتك مع استعدادها لأن تتابع عملية التفاوض، ليست مستعدة لأن تكون طرفاً فيها.

وفي كل الأحوال فإنك بهيبة الرئاسة لاتستطيع أن تتدخل في المفاوضات ومن الأفضل:

- ترك المهمة لوزارة الخارجية.

- تفعيل دور وكالة المخابرات المركزية.

- موقفك بصفة عامة: اقترب من الأزمة عند الضرورة ولكن لا تأخذها في أحضانك مهما كانت الظروف!

التوصية الثالثة:

تستطيع السماح لأطراف دولية غير الولايات المتحدة ببذل جهود لتخفيف حدة التوتر في الإقليم.. وسائلك إلى ذلك على النحو التالي:

- عليك أن تتعاون في هذا الصدد مع الأمم المتحدة والإتحاد الأوروبي ويكون طلبك من الجميع أن يعملوا بجد على استعادة الهدوء في الإقليم دون أن يتجاوز أي طرف من هذه الأطراف الدولية ويسمح لنفسه بالتدخل في علمية التفاوض المباشر.

- عليك دفع الدول الإقليمية الموالية لك - وخصوصا مصر وتركيا - للوصول إلى العالم العربي والعالم الإسلامي وتخفيف أية احتقانات تحصل سواء لدى الشعوب أو لدى القادة.

- عليك أن تجعل مقاومة التحريض بين أولويات مطالبك، وهنا فإنه لابد من التأثير - بأي طرق تراها - في الرأي العام العربي والإسلامي، ومن المهم تشجيع الحوار على كل المستويات بين الإسرائيليين وبين العرب والمسلمين.

- عليك أن تعمل على استئناف المفاوضات المتعددة الأطراف، فمثل هذه المؤتمرات تساعد عملية السلام أو تخفف التركيز عليها (أي تنتقل من السياسة إلى الاقتصاد ومن لغة الإثارة إلى لغة المصالح).

ـ عليك أن تتشاور مع الدول المنتجة للنفط لكي تقدم بعض المساعدات للاقتصاد الفلسطيني، ولفت نظرهم إلى أن ارتفاع أسعار البترول يجعل مثل هذه المساعدة بلا تكلفة زائدة، ثم إن مثل هذه المساعدات تستطيع تغطية انسحاب دول النفط سياسياً من تعقيدات الأزمة (في فلسطين).

التوصية الرابعة:

«عليك» أن تهتم بمثلث سوريا ـ لبنان ـ إسرائيل، وتشجيع عملية «تغيير» في سوريا ولبنان تفتح الباب لمفاوضات قد ترى أنك تستطيع توجيهها.. وسائلك إلى ذلك على النحو التالي:

ـ عليك تقوية إمكانيات الردع الإسرائيلي لأن ذلك وحده هو ضمان تحجيم إمكانيات حزب الله في شن هجمات صاروخية على شمال إسرائيل. ومن المهم إبلاغ كل الأطراف باعتقادك أن إسرائيل تملك مشروعية الدفاع عن نفسها بالوسائل التي تقدرها.

ـ عليك تأييد موقف السكرتير العام للأمم المتحدة في اعتبار أن الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان هو وفاء من جانبها بشروط قرار مجلس الأمن 425. ولا بد للبنان أن يعرف أنك تربط بين أي مساعدات أو استثمارات لإعادة إعمار لبنان بشرط انتشار الجيش اللبناني على الحدود مع إسرائيل والبدء في نفس الوقت بنزع سلاح حزب الله.

ـ عليك استكشاف الفرص المتاحة في سوريا ـ جرِّب إذا كان في مقدور الرئيس السوري بشار الأسد أن يقوم بجهد في تحسين علاقاته مع الولايات المتحدة.

ـ عليك أن تتحرك بنشاط أكثر في لبنان. وتستطيع أن تقنع الحكومة اللبنانية بأن تأخرها في إرسال جيشها إلى حدودها الجنوبية ـ سوف يفرض عليك أن تعيد توجيه.. لاتقدم مساعدات للجيش اللبناني.. وجه مساعداتك إلى دعم النواحي الإنسانية ومنها منظمات حقوق الإنسان والهيئات العلمية والمدنية وأي نشاط لمؤسسات المجتمع المدني في لبنان!

التوصية الخامسة:

عليك أن تمنع تواجد أسلحة متقدمة بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل في ترسانات دول المنطقة، وعليك أن تحول دون انتشار هذه الأسلحة وبالتأكيد دون استخدامها.. وسائلك إلى ذلك على النحو التالي:

ـ عليك إيجاد توافق دولي إقليمي على منع انتشار أسلحة الدمار الشامل، وليكن ذلك عن طريق التفاوض والتفتيش وغير ذلك من الوسائل الضرورية لبناء الثقة.

ـ عليك أن تكون متأهباً للرد بقوة على أية مخالفة، ولابد أن تكون مستعداً على سبيل المثال لاستخدام قوة عسكرية طاغية ضد العراق إذا حاول إعادة بناء ترسانته

العسكرية. ومن الأفضل أن ترتب لمثل هذا الاحتمال عن طريق الأمم المتحدة ـ أو عن طريق تحالف حرب الخليج السابق، وإذا استحال ذلك فعليك أن تكون جاهزاً للعمل مع عدد قليل من الأصدقاء يدركون الخطر العراقي، ويتابعون خططه في مجالات الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية.

ـ عليك ردع إيران عن امتلاك أية أسلحة متقدمة، والمهم في حالة إيران أن تكون إجراءاتك ضد القيادة الإيرانية وبدون تأثير على الشعب الإيراني (لأن إيران حليف قوي إذا سقط نظام الثورة الإسلامية).

ـ عليك تشجيع فكرة إقامة نظام دفاعي صاروخي تقوم عليه الولايات المتحدة بالشراكة مع بعض الأطراف في المنطقة، ولتكن البداية بمجموعة دول مجلس التعاون الخليجي، وبعد ذلك تنضم الأردن ومصر وتركيا، وعندما تتهيأ الظروف تنضم إسرائيل. ولذلك فمن المهم تشجيع تركيا والأردن وغيرهما من الدول الصديقة في المنطقة على استعمال الصاروخ آرو (الذي تنتجه إسرائيل بالتعاون مع الولايات المتحدة).

التوصية السادسة:

عليك أن تبذل كل الجهود لمقاومة الإرهاب، فهذا هو الخطر الأكبر في المنطقة ذاتها ومنها إلى غيرها.. وسائلك إلى ذلك على النحو التالي:

ـ عليك أن تدرس قصص النجاح التي شهدتها المنطقة في مجال مقاومة الإرهاب، وأهمها تجربة تركيا في التعامل مع حزب العمال الكردي، وتجربة مصر في التعامل مع الجماعة الإسلامية.

ـ عليك أن تعمل على عزل ميدان العمليات الإرهابية وخطرها عن مجرى عملية السلام وتقلباتها، وعليك أن تجعل الأطراف ـ خصوصاً الأردن والسلطة الفلسطينية ـ يدركون أن السماح بصلة بين عمليات الإرهاب وعملية السلام سوف يكلفهم غاليا، وأول التكلفة أن يخسروا صداقة الولايات المتحدة.

ـ عليك تشجيع أوسع لتعاون دولي وإقليمي ممكن لمواجهة خطر الإرهاب خصوصاً من شبكات التطرف الإسلامي. تدخل بدور نشيط في مقاومة الإرهاب بواسطة التنسيق بين أجهزة المخابرات، وشجع على تبادل المعلومات سراً لأن هناك دوائر في العالم العربي والإسلامي على استعداد للتعاون، لكنها لاتريد لأحد أن يسمع ماتقول أويرى ماتفعل. لاحظ وجود كامن للإرهاب في إيران وباكستان واليمن وأفغانستان. ولك أن تتذكر أن في أوروبا دولاً قادرة على مساعدتك في هذا المجال.

ـ عليك تقدير وسائلك في العمل المباشر ضد الإرهاب دون أن تتردد لأي اعتبار، وعلى سبيل المثال فنحن نعرف أن بعض مدبري انفجار الخبر (في السعودية) موجودون في إيران. لاتتردد في إعلان عزمك على استخدام القوة ضد معاقل الإرهاب أينما كانت ـ وأعط لعزمك مصداقية فعلك!

التوصية السابعة:

عليك أن تكون مستعدا للقيام «بإجراءات نهائية» ضد القوى التي تهدد المصالح الأميركية في المنطقة، وأولها العراق وإيران.. وسائلك إلى ذلك على النحو التالي:

- عليك تشجيع التغيير في إيران والعراق، وعليك أن تلاحظ أن التغيير في إيران يمكن أن يتم بوسائل سياسية، وأما التغيير في العراق فلا يمكن أن يتم بوسائل سياسية. ومعنى ذلك أن التغيير في إيران يمكن أن يتم من الداخل، وأما التغيير في العراق فيقتضي دعماً من الخارج لثورة بالعنف أو انقلاب من الداخل. ولتسهيل التغيير في العراق وتقليلاً لتكاليف العنف الملازم له يستحسن إشغال صدام حسين وتشتيت انتباهه على أكثر من جبهة واحدة.

- عليك تقدير ردود فعلك العسكري مبكراً إزاء أي تطور يحدث في العراق:

❖ في حال قيام تمرد ضد النظام في بغداد.

❖ في حال تعرض صدام حسين للكيانات ذات الاستقلال المحلي في المناطق الكردية شمال العراق.

❖ في حال رفض صدام حسين نهائيا محاولات إعادة الرقابة والتفتيش على برامج تسليح العراق.

وفي كافة هذه الحالات ليس هناك ما يمنع من أن يكون صدام حسين على علم برد فعل الولايات المتحدة وتصرفها إزاء كل حالة، ويجري ذلك بالتوازي مع إعادة بناء إمكانية مالية وعسكرية وتكنولوجية لقوى المعارضة العراقية، على أن تكون هذه القوى على علم أكيد بحجم الدعم الذي يمكن أن تقدمه لها الولايات المتحدة في كل ماتقوم به من أجل نظام ديموقراطي في عراق مابعد صدام حسين.

- عليك أن تشجع المعتدلين في إيران ضد المتطرفين، وأن تصل من وراء الإثنين مباشرة إلى الشعب الإيراني: شجع السياحة بين الغرب وإيران - شجع القطاع الخاص في إيران - إبحث عن قنوات لحوار مع القوى الديموقراطية في إيران.

التوصية الثامنة:

بصرف النظر عن الموجة المعادية لأميركا - وهي تجتاح المنطقة الآن - فإن عليك أن تعزز التيارات والمواقع الموالية للسياسة الأميركية.. وسائلك إلى ذلك على النحو التالي:

- عليك أن تتأكد باستمرار من أنه ليس هناك «تآكل» - حتى بالتواكل - في علاقاتك في المنطقة.

- عليك أن تشجع عملية واسعة للتعريف بالقيم الأمريكية والديموقراطية الأميركية والممارسة السياسية في أميركا.

ـ عليك أن تعمل على ظهور قيادات جديدة صديقة لأميركا وقادرة على إجراء إصلاحات توفر لها (لهذه القيادات) شرعية مقبولة.

ـ عليك تشجيع الاتجاه نحو الديموقراطية وحماية حقوق الإنسان، وفي هذا الميدان فإن عليك أن «تفكر بجرأة وتتصرف بحذر» لأن عملك في هذه المجالات يمكن أن يخلق حساسيات تعطل جهودك. ركز على مصر باعتبارها أكبر دولة عربية. ركز على السلطة الفلسطينية لأن قضية فلسطين موجودة في كل بلد عربي، وهناك احتمالات واسعة لتطورات ديموقراطية مهمة في« عصر مابعد عرفات»![*]

التوصية التاسعة:

«عليك» أن تهتم بتقوية قواعد ووسائل عملك في الشرق الأوسط لمواجهة أية احتمالات تنشأ دون أن يفاجئك منها شيء.. وسائلك إلى ذلك على النحو التالي:

ـ عليك أن تعرف أن إسرائيل هي الركيزة الأولى لضمان أمن الإقليم، والتحالف الأمريكي مع إسرائيل بالفعل وبالقول وهي القاعدة المتينة لكل الخطط والسياسات، والحقيقة فإن قوة الشراكة بين البلدين هي أداة الفعل الرئيسية في المنطقة، ولابد أن تكون العلاقة بين الطرفين (الأمريكي الإسرائيلي) نظيفة من أي سبب للتوتر.

ـ عليك ـ للاستفادة القصوى من هذه الحقيقة الاستراتيجية ـ أن تكفل لإسرائيل تفوقاً نوعياً متجدداً طوال الوقت على كل الأطراف العربية. وهنا فإن عليك أن تقاوم وترفض بشدة كل محاولة من جانب أي طرف عربي يطلب أو يسعى للتساوي مع إسرائيل.

---

[*] وتلك إشارة مبكرة أو متأخرة إلى نقاش طويل دار في واشنطن أثناء الزيارة الأخيرة التي قام بها رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون إليها. وكانت هذه الزيارة في أعقاب التفجير الكبير في ملهى ليلي إسرائيلي قرب تل أبيب (قتل فيه 16 وجرح 49 إسرائيلياً)، وأبدى شارون عزمه على توجيه ضربة قاصمة للسلطة الفلسطينية تكسر أو تنهي وجودها في غزة.

وطرح شارون ضمن ما طرح. اقتراحاً بتصفية ياسر عرفات أو طرده من غزة، وكان رأي وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ـ وكان مديرها جورج تينيت يشارك في النقاش: إن التفكير بتصفية عرفات ـ على الأقل في الظروف الراهنة ـ خطر مؤكد، ذلك إذا ما تمت تصفيته جسدياً، فذلك يحوله إلى شهيد تحارب أعلامه حتى بعد موته، وإذا جرى طرده من غزة بالقوة، فذلك سوف يحوله إلى بطل يلتف حوله الجميع حتى في المنفى. وكان تقدير تينيت أن عرفات ما زال له دور يؤديه، ولا داعي لـحرق المراحل بتصرفات متسرعة وغير مضمونة النتائج.

وكان تقدير تينيت ، بعد ذلك، أنه عندما تنشأ ضرورة عصر ما بعد عرفات، فإنه من الأفضل إزاحة الرجل دون عنف، مع ابقاء السلطة الفلسطينية كجهة ممكن التعامل معها ولو في مطالب ضبط الأمن. وبالتالي لا بد من ايجاد بديل عن عرفات يقبل بالمهمة ويستعد لها، بحيث يبدو عصر ما بعد عرفات نوعاً من التغيير الطوعي الفلسطيني، وليس نوعاً من التغيير القسري الإسرائيلي. ثم عادت المناقشة إلى سياقها باقتراح أنه عندما تجيء الساعة عصر ما بعد عرفات، فإن هذا العصر يمكن أن يبدأ بقدر معقول من حسن السياسة وحسن الإدارة، وذلك أمر له سابقة في السياسة العربية من قبل، وهي سابقة يمكن تقليدها مع اختلاف في الظروف ـ ما جرى مع الرئيس السوداني جعفر النميري، عندما قام عليه الجنرال سوار الذهب بانقلاب أثناء وجوده خارج السودان، ونصحه حسني مبارك بعدم العودة إلى الخرطوم.(المرجع. خريف خطر. مقالة بقلم محمد حسنين هيكل. جريدة السفير. 29 آب/اغسطس 2001.)

ـ عليك أن تساعد مصر حتى تقوم بمسؤولياتها القيادية في إطار سياساتك، لكن إذا ما ترددت مصر في القيام بهذه المسؤوليات ـ بما في ذلك المبادرات الاقليمية الاقتصادية التي تشمل إسرائيل ـ ثم تذرعت في ذلك لتعثر عملية السلام ـ فإن عليك أن تتخذ ما تراه لازماً. وعليك أن تذكّر كل من يعنيه الأمر أن مصر وإسرائيل تحصلان على أكبر قدر من المساعدات الأمريكية الخارجية.

ـ عليك أن تبذل جهدك لتأييد وتسريع عملية التطبيع بين الأردن وإسرائيل، واقناع الأردن أن ذلك أفضل ضمان له سياسياً واقتصادياً. وحذّر الأردن من غواية تصورها أنها تستطيع مغازلة أو مهادنة صدام حسين ـ ذلك سوف يضر بسلامة الأردن واعتداله.

ـ عليك أن تشجع تركيا على القيام بدور رئيسي في المنطقة مع إفهامها بطريقة واضحه أنها لا تستطيع أن تمارس هذا الدور، ولا أن تحقق نتائجه السياسية والاقتصادية إلا بالتعاون مع إسرائيل.

وأخيراً يأتي دور توصيات نتيجة زيارة اللحظة الأخيرة التي قام بها عضوي المجموعة السابقي الذكر (حزيران/يونيو 2001) إلى منطقة الشرق الأوسط، التي جاءت كملحق مختصر:

$ ليست هنالك في الأفق في الظروف الراهنة فرصة لحل دائم.

$ ليس هنالك أي سبب للقلق على أمن إسرائيل.

$ ليس هنالك أمل كبير يمكن تعليقه على مقترحات تتردد هذه الأيام عن وقف إطلاق النار، وعن مراقبين على مواقع مراقبة، وعن ترتيبات من نوع وقف الاستيطان لأنه ليس بين المسؤولين الإسرائيليين من يريد أن يسمع عن مثل هذه الترتيبات أو يكررها قولاً ـ مجرد قول ـ على لسانه.

$ الممكن هو 'إدارة' أزمة الصراع العربي الإسرائيلي وليس حله.

$ إن إدارة الأزمة مهمة ثقيلة لكنها ليست خطيرة، طالما أمكن تحقيق المطالب الرئيسية في صلب تقرير اللجنة الرئاسية (الفصل في منطقة الشرق الأوسط بين نطاق البترول 'سريع الاشتعال'، ونطاق الصراع العربي الإسرائيلي 'القابل للإنفجار' ـ ثم التركيز على الدول المعتدلة 'الموالية للغرب' على حافة الصراع العربي الإسرائيلي "مصر والأردن").

$ من الممكن أيضاً اتخاذ مجموعة من الاجراءات تكفل تخفيض درجة العنف، بينها تخفيض عدد قوات الأمن الفلسطينية من مستواها الحالي وهو40 ألفاً إلى أقل من النصف 18 ألفاً، طبقاً لما جرى مناقشته أثناء اجتماعات "واي ريفر" ـ ونزع كل سلاح غير مرخص به في مناطق السلطة الفلسطينية ـ وأخيراً ترك القوة الإسرائيلية تكسر 'القاعدة الأساسية' التي تستند إليها نشاطات منظمات "الإرهاب" الفلسطينية.

بادء ذي بدء، يجدر القول أن الاستفاقة المفاجئة للرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر وخلال اشتعال أولى حروب القرن، حينما أعلنت إدارته عن قناعتها بوجوب قيام دولة فلسطينية، لم تكن سوى عمل من أعمال ذر الرماد في العيون، وللمساهمة في تسهيل تشكيل التحالف المضاد لـ 'الإرهاب'، الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية.

ولم يكن موقف بوش الابن هذا موافقاً من حيث ترتيب أولويات المصالح مع موقف ايزنهاور، الرئيس الأمريكي السابق، الذي اتخذه في الخمسينات، عندما أجبر حكومة بن غوريون على الانسحاب من سيناء، بعد العدوان الثلاثي على مصر، والذي كان أقل انحيازاً لإسرائيل، بل انحيازاً كاملاً للمصالح الأمريكية، حيث كانت الولايات المتحدة تجهز نفسها لتحتل مكان القوى الإستعمارية القديمة التي انسحبت من بلدان الشرق العربي من فرنسيين وبريطانيين.

هذا ولم تتأخر ردات الفعل لحرب أمريكا المزعومة ضد الإرهاب، على الأوضاع العربية، على مختلف الأصعدة:

اولاً: ردة فعل الشارع الأمريكي والأوروبي المعادية للعرب والمسلمين في أمريكا وأوروبا، مما اضطر الرئيس الأمريكي وسواه من القادة الأوروبيين لمعالجة هذه الأمور والحيلولة دون انفجارها، مما كان سيؤثر سلبياً على الحلف الذي أخذوا يشكلونه منذ بداية الحملة.

ثانياً: أصبح المجتمع العربي أمام خيارين، لا ثالث لهما، هما إما أن تكون إلى جانب الحملة، أو أن تصنف في الموقف المؤيد للإرهاب، وتصبح بالتالي هدفاً من أهدافها.

ثالثاً: محاولة إسرائيلية لوضع الانتفاضة الفلسطينية في قائمة الإرهاب الذي يجب أن يكافحه التحالف الدولي المشكل، الأمر الذي لاقى آذاناً صاغية من بعض كبار الساسة الأمريكيين، باعتبار أن المنظمات التي ترعى الانتفاضة هي من المنظمات الإرهابية (حماس، الجهاد الإسلامي)، بعد أن أضيف إليهما منظمة حزب الله اللبنانية، باعتبارها تدعم الإنتفاضة، وبعض المنظمات الفلسطينية المتواجدة على الساحة السورية (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة). وأخيراً وليس آخراً، وضع كتائب شهداء الأقصى (التنظيم العسكري لفتح) في قائمة الإرهاب.

رابعاً: اتخاذ تدابير فعلية ضد مجموعة من المنظمات والأشخاص العربية والإسلامية، ووضعها تحت الرقابة المباشرة باعتبارها داعمةً للإرهاب.

خامساً: شن حملة واسعة ضد بعض وسائل الإعلام العربية، التي تميزت بتغطيتها الواسعة والحثيثة والدقيقة للأحداث دون تحيز، وذلك بحجة أنها تساهم في الدعاية للأهداف الإرهابية (الجزيرة نموذجاً).

سادساً: استصدار مجموعة من القرارات من مجلس الأمن، فيها الكثير من التدابير والقيود على دول العالم ومن ضمنها الدول العربية، من أجل مكافحة 'الإرهاب'.

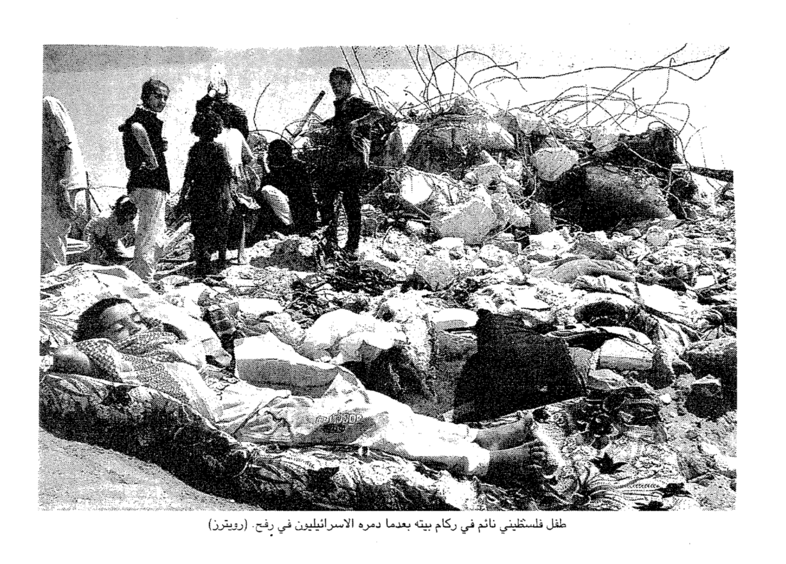
كان المستهدف الأول من هذه الاجراءات والقيود والحملات هو العالم العربي، حيث وضعته الإدارة الأمريكية في خانة الشبهة واتهمته، بصورة غير مباشرة، بما حدث في 11 أيلول/سبتمبر في كل من نيويورك وواشنطن.

بعد أن أخذ التحالف الدولي شكله الذي آل إليه، توقفت الإدارة الأمريكية عن الحديث عن ضرورة إقامة دولة فلسطينية، وأخذت تماطل في الإقدام على وضع حد للتعنت الإسرائيلي وإرهاب الدولة الذي أخذت تمارسه إسرائيل بأبعاد فاقت التصور (وصل عدد الشهداء الفلسطينيين في يوم الجمعة الدامي إلى خمسين شهيداً). وبعدها تبنت الرواية الإسرائيلية بخصوص سفينة الأسلحة المزعوم تهريبها عبر البحر الأحمر، من إيران إلى فلسطين، والتي تقول بمسؤولية ياسر عرفات عنها.

في خطابه الشهري 'حال الاتحاد'، الذي ألقاه الرئيس جورج دبليو بوش، لشهر شباط/فبراير 2002، تحدث الرئيس الأمريكي باعتباره ضامناً وكفيلاً لإسرائيل، ووضعها ضمن قائمة 'الأصدقاء والحلفاء'. كما وجه إنذاراً لا لبس فيه إلى كل من 'تسول له نفسه' تأييد المقاومة الوطنية الفلسطينية وتقديم الدعم لها، أياً كان، إذ أنه بذلك يصبح طرفاً داعماً للإرهاب ومحتضناً له، الأمر الذي يُدرجه تلقائياً وبالضرورة، ضمن لائحة المستهدفين، الذين سيحل عليهم العقاب المنتظر، في إطار حملة 'القضاء على الإرهاب'.

ومن جانبه، لا يشعر الطرف العربي ارتياحاً من سياسة الإدارة الأمريكية في منطقته العربية، لا سيما فيما يتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي. يقول أحد الدبلوماسيين الأمريكيين: (**كنت في زيارة مؤخراً لبلدين عربيين. المسؤولون وغير المسؤولين، قالوا لوفدنا: نعرف أنكم جئتم إلى هنا لتحسين صورة أمريكا في العالم العربي. ونحن نقول لكم: الطريقة الوحيدة لتغيير صورتكم هي تغيير موقفكم من النزاع العربي - الإسرائيلي.**)

إذن، يعرف الأمريكيون جيداً أن عليهم لتحسين صورتهم في العالم العربي، وقف ما يراه الرب انحيازاً لصالح إسرائيل. لكنهم يرفضون ذلك، ويجدون أن لسلوكهم ما يبرره. فهم حلفاء وثيقون لدولة إسرائيل. وسيظلون حلفاءً لها وسوف يُدافعون عنها إذا اقتضت الضرورة ذلك. وفي الجانب الآخر يريدون سلاماً في منطقة الشرق الأوسط يكفل الأمن الاستراتيجي لإسرائيل ولو على حساب الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة.



طفل فلسطيني نائم في ركام بيته بعدما دمره الاسرائيليون في رفح. (رويترز)

يقول باتريك سيل في معرض تفنيده للموقف الأمريكي من قضية الشرق الأوسط بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر: «بينما أخذ كبار المسؤولين الأمريكيين يُعلنون تأييدهم لإقامة دولة فلسطينية، إلا أنهم على أرض الواقع، لا يبدون أية دلائل أو إشارة من هذا النوع، بل على العكس تماماً. فقد اصطفت الولايات المتحدة خلف شارون، وهومن ألد أعداء الدولة الفلسطينية وحتى الحكم الذاتي...لقد ركزت الولايات المتحدة كل جهودها - انحناءً لطلبات شارون - على ضرورة إعادة الأمن، أي الأمن الإسرائيلي، لا الأمن الفلسطيني. ويبرر الأمريكيون هذا المنحى الجديد بقولهم: إن إعادة الأمن الإسرائيلي ستوفر لهم اليد الطولى في الضغط على شارون وادخاله في عملية السلام. كانت هذه مهمة أنتوني زيني وسواه من الموفدين الأمريكيين...ويبدو أن أكبر دليل على سلبية الولايات المتحدة وتراخيها مع شارون وأعمالها الاستفزازية، قبولها أن تتعامل مع اتفاقيات أوسلو وكأنها في حكم 'المتوفاة' وأن تعتبر العلاقات بين الفلسطينيين والإسرائيليين 'علاقات حرب، لا علاقات سلام'. هذا يعني، بصورة خاصة، أن الولايات المتحدة قررت أن تُغمض عينيها عن تصرفات شارون لالحاق هزيمة نهائية بياسر عرفات والسلطة الوطنية الفلسطينية.»

يؤيد ما يذهب إليه باتريك سيل العديد من تصريحات المسؤولين الكبار في الإدارة الأمريكية: «لا أعتقد أن الضغوط من جانبنا على إسرائيل ستُفلح، ولن تكون مجدية في دفع قضية السلام إلى الأمام - جون نيغروبونتي، مندوب الولايات المتحدة في هيئة الأمم المتحدة.»؛ «رد فعل وزير الخارجية الأمريكي على تدمير إسرائيل لـ 73 منزلاً فلسطينياً في رفح ليلة 9 - 10 كانون الثاني/يناير 2002، حين وصف هذا العمل بأنه 'رد فعل دفاعي'.»؛ **«بالنسبة إلي، تستطيعون أن تشنقوا ياسر عرفات - ديك تشيني، نائب الرئيس الأمريكي.»**

بشكل آخر، نستطيع القول أن الإدارة الأمريكية، بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر، أصبحت أكثر توافقاً مع موقف الحكومة الإسرائيلية من الحكومة نفسها. فهنالك في إسرائيل لا يوجد توافق تام بين أقطاب الحكومة، كما أن الصحافة الإسرائيلية تتحدث عن الفشل المطبق لسياسات شارون على أكثر من صعيد، من الأمن إلى الاقتصاد، فيما هو يتفاوض مع إدارة تشجع هذه السياسات.

قبل أحداث أيلول/سبتمبر، كانت دولة إسرائيل تعتبر بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية الولاية الواحدة والخمسون. أما بعد هذه الأحداث فيبدو أنها أصبحت هي الولاية الأولى من حيث الأهمية. ونستدل على ذلك بمجموع المساعدات والمنح المالية التي تقدمها الولايات المتحدة إلى إسرائيل، فقد بلغت في هذه السنة مامجموعه خمسة مليار دولار، أي أن كل مواطن إسرائيلي يتقاضى مايقارب ثمانمئة دولار شهرياً من دافع الضرائب الأمريكي، وبمعنى آخر أن كل أمريكي يدفع شهرياً عشرين دولاراً لإسرائيل.



كما أن تغيير بوصلة مكافحة الإرهاب، التي كانت موجهة إبان نهاية الحرب في أفغانستان على شكل سهم كبير إلى العراق، وأسهم أقل شأناً إلى كل من الفيلبين وجورجيا والصومال، هذا التغيير الذي صب في النهاية باتجاه فلسطين والفلسطينيين بحجة القضاء على المنظمات (الإرهابية)، إنه أكبر دليل على أن حكومة إسرائيل واللوبي اليهودي في أمريكا أصبحا هما اللذان يديران عجلة السياسة الأمريكية في مختلف شؤون العالم.

لم تكن أركان الحرب الأخيرة التي يشنها العدو الإسرائيلي ضد أطفال ونساء ومدن وقرى ومخيمات الفلسطينيين في أرضهم المحتلة، مستخدماً أحدث الأسلحة الأمريكية الثقيلة منها والخفيفة، لم تكن هذه الأركان سوى هيئة بزعامة جورج دبليو بوش وشارون وبعضوية كل من رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي وكولن باول وزير الخارجية الأمريكي وكوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومي الأمريكي. أي بمعنى آخر، نستطيع أن نقول أن هذه الحرب التي تشنها دولة إسرائيل، ما هي إلا امتداد لأولى حروب القرن الأمريكية الإسرائيلية.

ونستطيع القول إن أحداث 11 أيلول/سبتمبر بالنسبة لعلاقات واشنطن مع العالم العربي وقضية الشرق الأوسط، جاءت لتكون مفصلاً في السياسة الأمريكية، حيث ظهر أن أمريكا تُريد لهذه المنطقة من العالم أن تدور بصورة منظمة وقوية ومباشرة حول مصالحها ومصالح حليفتها الأولى إسرائيل، وستعمل على تركيز قواعد أمتن لهما في المنطقة، وستعمل على فرض احترام هذه القواعد بصورة منتظمة، بما لا يقبل المراجعة أو إعادة النظر.

وفي الرد على ذلك، أرى أنه يجب على العرب عدم التكيف مع هذه الشروط والقواعد الأمريكية الجديدة، ويجب عليهم السير في طريق المواجهة، لأنهم يجب أن يكونوا قد توصلوا إلى قناعة مفادها أن إسرائيل لن تتخلى عن شبر واحد من الأراضي العربية المحتلة إلا بواسطة الضغط الكفاحي المسلح. ويجب على العرب أن يأخذوا الدروس المستفادة من تجاربهم في مواجهة العدو الإسرائيلي: حرب تشرين الأول/اوكتوبر، على الرغم مما تخللها من تنازلات وتسويات من جانب أنور السادات؛ المقاومة الوطنية في جنوب لبنان، التي أجبرت إسرائيل على الاندحار والإنسحاب من الأراضي اللبنانية، دون شروط، في انتصار كان الأول من نوعه في تاريخ الصراع العربي . الإسرائيلي؛ الانتفاضة الفلسطينية الأولى، التي أجبرت إسرائيل على القبول بالجلوس خلف طاولة المفاوضات مع الفلسطينيين ودخول منظمة التحرير الفلسطينية إلى الضفة الغربية وقطاع غزة وإقامة ما يُسمى بالحكم الذاتي الفلسطيني؛ الانتفاضة الثانية، التي في طريقها إلى تحرير كامل أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة، وانهاء الإستيطان الصهيوني فيهما.

وبهذا الخصوص يجب على الخطاب العربي تجاه الولايات المتحدة، بما يتعلق بقضية الصراع العربي - الإسرائيلي، أن يكون موحداً منطلقاً من الحق العربي غير القابل للتفاوض أو التنازل باستخدام، من أجل ذلك، جميع الأوراق التي في حوزة العرب، حتى يُشعرون الولايات المتحدة أن مصالحها ستهدد في كامل منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي.

ومرض الجمرة الخبيثة (أنثراكس) Anthrax
الأسلحة البيولوجية والكيميائية
وأولى حروب القرن

الأسلحة البيولوجية، هي تلك المركبات التي تحتوي على الجراثيم والبكتريات والفيروسات والسموم التي يمكن نشرها في الهواء عن قصد بوسائل مختلفة، منها القذائف(الحروب) أو الاسقاط من الطائرات (الحروب) أو باستخدام الرسائل البريدية (أمريكا بعد 11 أيلول/سبتمبر) أو عن طريق الالقاء على الأرض في الأماكن المزدحمة وسواها من الوسائل (اليابان).

ومن الأسلحة البيولوجية، نذكر جراثيم الجمرة الخبيثة، المسببة لمرض الأنثراكس، والورسينيا المسببة لمرض الطاعون والفارولا المسببة لمرض الجدري. وتشخص وكالة الصحة العالمية وجود 23 نوعا من البكتيريا و43 من الفيروسات و14 من التوكسين (السم الموهن). ويجدر بالذكر أن بعض الأسلحة البيولوجية تسبب وباء هائلا كالجدري، على سبيل المثال. أما جراثيم الجمرة الخبيثة فهي لا تسبب ذلك، لأنها غير معدية. ويجدر بالذكر أن هنالك دولا كثيرة تصنع هذه الأسلحة، منها أمريكا وروسيا وإسرائيل* والعراق وكوريا الشمالية . هذا وقد نتج عن الضغط العالمي والراي العام العالمي ولادة معاهدة الأسلحة البيولوجية والتوكسين في عام 1972، التي تحذر من انتاج الأسلحة البيولوجية وتحذر من تطويرها ونشرها والاستحواذ عليها وقذفها وتسليمها. وقد وقع على هذه المعاهدة 143 دولة.

الأسلحة الكيميائية، هنالك حوالي ستون مركبا كيميائيا استخدم كسلاح كيميائي، أما في الوقت الحاضر، وبعد الخبرات المستقاة والتجارب، تقلص العدد إلى اثني عشر. تنتمي هذه المركبات إلى أربع فئات كيميائية:

- المركبات الفسفورية.
- مركب السيانسد.
- مركب الفوسجين.
- مركبات المشتقات الخردلية.

إن خطورة هذه المواد الكيميائية تتوقف على نوع الأذى الذي تستطيع أن تحدثه في جسم الانسان بالاضافة إلى الكمية المطلوبة لاحداث التسمم، فكلما قلت الكمية المطلوبة لاحداث التسمم زادت خطورة المركب. فمثلا مادة VX هي مادة سامة بكثافة

---

* يذكر أن إسرائيل من الدول المنتجة للأسلحة البيولوجية، حيث لديها مركز لتجميع البكتيريا، ابتدات فيه منذ الخمسينيات في مصنع موجود في بلدة نستسيونا جنوب فلسطين. وقد أقيم هذا المصنع تحت اسم مركز الأبحاث البيولوجي. وقد كشف الدكتور كلينبرغ ماركوس (نائب مدير عام المركز) عن هوية هذا المركز، الأمر الذي جعلهم في إسرائيل يقدمونه أمام المحاكم، حيث اتهم بالتجسس لصالح الاتحاد السوفيتي آنذاك. هذا وقد استعملت إسرائيل السلاح الكيميائي في محاولة اغتيال خالد مشعل، رئيس الدائرة السياسية في حماس، وذلك في محاولة حقنه بمصل كيميائي في أذنه.

مقدارها نصف ميليغرام في المتر المكعب من الماء، ومادة السارين ميليغرام واحد، ومركبات الخردل مائة ميليغرام ومركب الفوسجين ألف وستمائة ميليغرام، ومادة السيانيد ألفا ميليغرام. بالاضافة إلى عامل بقاء هذه المركبات في الجو، فمادة الفوسجين تبقى ساعة واحدة ومادة السيانيد أربع ساعات ومادة السارين يومين ومركبات الخردل ثمانية ساعات، ومركب الـ VX 16 اسبوعاً. وهنالك العديد من دول العالم التي تُنتج هذا السلاح والعديد من الدول التي تستحوذ عليه، منها أمريكا وروسيا والصين وإسرائيل والعراق. كما أن هنالك معلومات متناقضة حول امتلاك منظمة 'الجبهة الإسلامية لجهاد اليهود والصليبيين' على هذه الأسلحة.*

من تاريخ استخدام الأسلحة الكيميائية والبيولوجية.

تعود أول عملية معروفة لاستخدام أسلحة كيميائية على نطاق واسع إلى 22 نيسان عام 1915 حين استخدمت الجيوش الألمانية هذه الأسلحة لمهاجمة الخنادق الفرنسية قرب ايبريس في بلجيكا وفق ماذكرت منظمة الصحة العالمية، مشيرة إلى أن المقذوفات المسمومة لطالما استخدمت عبر التاريخ. قررت ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى استخدام غاز الكلورين الذي كانت تمتلكه وحدها لمحاولة الخروج من جمود الخنادق والتغلب على مشكلة نفاذ ذخائرها بسبب الحصار البحري الذي فرضته القوات الحليفة.

وعمد الجيش الألماني إلى نشر 180طناً من غاز الكلورين المعبأ في 5730 حاوية مضغوطة في الجو في اتجاه خطوط العدو، وقتل في هذه العملية 15 ألف جندي فرنسي وجزائري وكندي وفق تقرير منظمة الصحة العالمية. وذكرت المنظمة في تقريرها الأولي حول الأسلحة البيولوجية والكيميائية الذي يمكن الإطلاع عليه حالياً على موقع الإنترنت الخاص بها «كانت تلك أول تجربة عالمية لأسلحة دمار شامل»وفي العام 1917 استخدم «غاز الخردل» للمرة الأولى واستخدم مباشرة ضد الجلد الذي تصعب حمايته أكثر من الرئتين. وأطلق الغاز في بادئ الأمر بواسطة قذائف مدفعية ثم بواسطة طائرات. واستخدم في روسيا عام 1919 كما استخدمه الفرنسيون في المغرب بين عامي 1923 و 1926 والإيطاليون في ليبيا عام 1930 واليابانيون في سينكيانغ في الصين عام 1934 والإيطاليون في أثيوبيا بين عامي 1935 و1940.

---

* قال بن لادن، زعيم هذه الجبهة، في مقابلة مع صحيفة 'داون' الباكستانية، اجريت معه بتاريخ 9 تشرين الثاني/نوفمبر 2001: 'ارغب في ان اقول انه إذا ما استخدمت أمريكا اسلحة كيميائية او نووية ضدنا، نستطيع عندئذ الرد بأسلحة كيميائية أو نووية'. مؤكداً: 'لدينا اسلحة كيميائية ونووية نستخدمها وسيلة ردع.' اما في المقابلة التي أجرتها معه صحيفة 'اوصاف' باللغة الأوردية، لم يُؤكد بن لادن صراحة على امتلاك هذه الأسلحة، إذ نسبت إليه الصحيفة القول الآتي: 'في حال استخدمت أمريكا أسلحة كيميائية اونووية ضدنا، فإننا لن نسمح لها بقتلنا. الولايات المتحدة تستخدم الأسلحة الكيميائية ضدنا، لكن حربنا ستستمر.'

وعاد اليابانيون مجدداً بين عامي 1937 و 1942 إلى استخدام أسلحة كيميائية مثل غاز الخردل.

وفي فيتنام أسرف الأمريكيون في استخدام الأسلحة الكيميائية من غاز التريوكسين والعامل البرتقالي بين عامي 1961و 1967.

وتقول وثائق سرية أمريكية، سمح بنشرها لأول مرة، أن تسرباً لعصيات الجمرة الخبيثة من أحد المختبرات العسكرية السوفيتية أدى في نيسان/ابريل عام 1979 إلى سقوط من 200 إلى 300 ضحية في حينه. وتلقي الوثائق التي كانت ضمن محفوظات الأمن القومي الأمريكي الضوء على مأساة ضربت مدينة سفردلوفسك، التي أُطلق عليها فيما بعد اسم ايكاتنبورغ، وهي المهد الذي انطلق منه الرئيس الروسي الأسبق يلتسين. وقد أماط اللثام عن هذه المأساة للمرة الأولى يلتسين نفسه عام 1992، مؤكداً أن الوباء الذي شهدته المدينة كان سببه غبيرات الجمرة الخبيثة، التي تسربت من مركز للأبحاث العسكرية حول الحرب الجرثومية.

واستخدم العراق غاز الخردل وغازي التابون والسارين في حربه مع إيران بين عامي 1980 و1988. وفي 1984 استخدمت طائفة أميركية بكتيريا التريفيموريوم المسببة لداء السلمونيل ما أدى إلى مقتل عدد من الأشخاص.

وفي اليابان استخدمت طائفة 'أووم' مرتين غاز السارين في 27حزيران/يونيو عام 1994 في ماتسوموتو قرب جبل فوجي ما أدى إلى مقتل سبعة أشخاص وإصابة ثلاث مائة بجروح، ثم في 20 آذار/مارس عام 1995 في مترو طوكيو ما أدى إلى وقوع 12 قتيلاً وأكثر من خمسة آلاف جريح.

وإذا تحدثنا عن أمريكا المعاصرة، فإن الوسواس من احتمال انتشار جرثومة الجمرة الخبيثة (الانتراكس)، بدأ في نيسان/ابريل عام 1997، عندما تلقت منظمة يهودية في واشنطن طرداً أُلصق عليه لاصق معنون بكلمة 'انتراكس'. وفي عام 1999، وردت إنذارات كاذبة إلى مخزن كبير ومحل للإسطوانات والى إن.بي.سي والواشنطن بوست ومبنى البريد و35 إنذاراً خلال أربعة أيام من شهر شباط/فبراير فقط. وكمؤشر على تضخم هذه الظاهرة فقد سجلت زاوية 'الحرب الكيميائية الجرثومية' 27 مقالاً في أرشيف النيويورك تايمز لعام 1994، وفي عام 1995، 278 مقالاً. حتى أن وزير الدفاع الأمريكي وليم كوهين ، آنذاك، لم يعمل على تلطيف تلك الأمور عندما ظهر على شاشة التلفزيون حاملاً كيساً من السكر، ومعلناً أن كمية مماثلة من جرثومة الانتراكس كفيلة بإبادة نصف سكان واشنطن.

بعد أقل من إسبوعين على أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، التي أدت إلى تدمير برجي التجارة الدولية في نيويورك وجزء من البنتاغون في واشنطن، ظهرت البوادر الأولى لانتشار مرض الجمرة الخبيثة في الولايات المتحدة، وذلك عبر رسائل

بريدية موجهة إلى شخصيات معينة، حوت على مسحوق أبيض، تعيش فية عصيات هذا المرض.

شكل يوم 14 تشرين الأول/اوكتوبر منعطفاً خطيراً للمحققين في قضية ظهور وانتشار مرض الجمرة الخبيثة، إذ في هذا اليوم تسلم أحد معاوني السناتور دوشيل رسالة تحتوي على المسحوق الأبيض. وأصبحت هذه الرسائل والجراثيم التي تحتويها أكبر البينات على وجود الجراثيم. وحينما قام العلماء باختبارها وتحليلها مخبرياً، اتضح أنها فتاكة أكثر مما يتصورون، بل إن طريقة إنتاج الجراثيم، تنذر بأن هنالك شراً مستطيراً في انتظار البشرية، فشخص عادي لا يُمكن أن يُنتج جراثيم متقدمة بهذا المستوى، لأن الأمر يتطلب قيام عالم بيولوجي متخصص بذلك، وفي مختبر تتوفر فيه كل الأجهزة التقنية المتقدمة، والبديل لذلك يكون الحصول على الجراثيم الجاهزة من الولايات المتحدة أو روسيا أو لربما بلدان أخرى.

إن جميع المساحيق التي أكتشفت كانت مركزة للغاية وخالية من الشوائب وكل ذرة في مسحوق الجراثيم محاطة بهالة بنية اللون، مما يُشير إلى إضافة بعض الكيميائيات لمنع الذرات من التكتل، وهذا الاستنتاج أكد للباحثين أن الجهة التي قامت باعداد مسحوق الجراثيم متبحرة في العلم ومتخصصة، كما قال عالم الجراثيم وليام باتريك، الذي كان يُشرف على برنامج الأسلحة البيولوجية للقوات الأمريكية أيام الرئيس نيكسون.

أجل إن عدد الإصابات التي وقعت إلى الآن ليست بالكبيرة، وعدد القتلى لم يتجاوز عدد أصابع اليد، إلا أن الواقع يبقى فاقعاً، حينما يشير إلى حقيقة خروج إمكانية استخدام أسلحة الدمار الشامل من أيدي الدول المسؤولة إلى أيادي منظمات وأفراد، منتشرة في مختلف بقاع العالم.

هذا وقد كان الأصولي الإسلامي البارز أحمد أسامة مبروك، الذي تسلمته مصر من أذربيجان عام 1998، أدلى بتصريح إلى مراسل 'الوسط' في القاهرة أثناء جلسات محاكمته بتهمة الانتماء لتنظيم القاعدة، أعلن فيه أن 'الجبهة الاسلامية لجهاد اليهود والصليبيين' التي أسسها في شباط/فبراير 1998 ابن لادن وزعيم جماعة الجهاد المصرية أيمن الظواهري مع جماعتين من باكستان وأخرى من بنغلادش 'حصلت على أسلحة بيولوجية وكيميائية تم شراؤها من دول في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي* السابق خلال السنتين اللتين سبقتا تأسيس الجبهة'، وأن تلك الأسلحة 'وزعت على

---

* كما يتوقع أن يكون تنظيم القاعدة قد استقدم خبراء في تصنيع الأسلحة البيولوجية، لأن هنالك تقارير تُشير إلى أن البرنامج البيولوجي الروسي كان يستخدم 3000 شخص لحظة 'توقف نشاطه رسمياً عام 1999' وتذكر وول ستريت جورنال ان 20 إلى 50 من مسؤوليئ البرنامج الروسي ظلوا في الخفاء ولا يعرف أحد شيئاً عن مصيرهم.

عناصر تابعة للجبهة لاستخدامها عند الضرورة ضد أهداف أمريكية في حال فشل تنفيذ عمليات باستخدام المتفجرات والأسلحة التقليدية". وتخشى واشنطن من أن القبض على ابن لادن وأتباعه هي "الضرورة التي يمكن فيها استخدام تلك الأسلحة".

ومع دخولنا الألفية الثالثة، أصبح المخزون العالمي من الأسلحة الجرثومية أكثر خطراً على الأمن والسلام والصحة في العالم، وهو أشد خطراً وفتكاً من الأسلحة النووية، نظراً لسهولة استخدامه دون انفجارات وضجيج إعلامي عالمياً. هذا وتكمن خطورة السلاح الجرثومي في كونه سهل الإنتاج وزهيد الكلفة ويمكن استخدامه في جميع المواجهات العسكرية والمدنية. كما يؤكد الخبراء الدوليون أن "خمسة ملايين طن من مجمل مخزون السلاح البيولوجي البالغ خمسة وعشرين طناً قادرة على إفناء كل أشكال الحياة البشرية والحيوانية والنباتية على الكرة الأرضية".

مرض الجمرة الخبيثة

هو مرض معد وخطير، يُصيب الحيوانات أساساً، وعدواه خطرة ومميتة للإنسان والعامل الممرض لهذا الوباء هي عصيات عديمة الحركة، تُنتج منها أبواغ فائقة المقاومة، تتحمل درجة حرارة غليان الماء لمدة تتراوح بين 5 و 10 دقائق، وتتحمل حرارة الهواء الساخن حتى ما بين 120 و140 درجة مئوية لمدة تتراوح بين 2 و 3 ساعة. وتحافظ الأبواغ على حيويتها في التربة، ويُمكنها إحداث العدوى مجدداً بعد عشرات السنين، أما في اللحم المقدد فإنها تستطيع أن تبقى حية لعدة أسابيع. ولا تموت في اللحم المملح إلا بعد شهر ونصف فقط.

مصادر العدوى: المصدر الرئيسي للعدوى هو الحيوانات المصابة (الأبقار والخيول والأغنام والغزلان وغيرها)، التي تخرج الجراثيم الممرضة مع روثها، فتنتشر في المراعي فوق الطبقة السطحية من التربة، وعلى الأعشاب والأشواك والنباتات الرعوية، مما يؤدي إلى تشكل بؤر ومواقع موبوءة. وتتم الإصابة بالعدوى عن طريق التماس المباشر مع الحيوانات المصابة أو مخلفاتها. وأكثر الناس تعرضاً للإصابة هم أصحاب المواشي والرعاة والأطباء البيطريون والمتعاملون بالفراء والجلود وعمال المسالخ وغيرهم.

انتقال العدوى للإنسان: ينتقل مرض الجمرة الخبيثة إلى الإنسان بوساطة الطرق التالية:

1 ـ الجلد، في حال الخدش أو السحج أو الجرح،، مما يسبب الإصابة الجلدية وهي الأكثر انتشاراً وشيوعاً.

2 ـ الجهاز الهضمي، وهي لاتحصل إلا نادراً فيما إذا تناول الإنسان لحوماً نيئة لحيوانات مصابة، أو لحوماً غير مطهوة جيداً. وتدعى هذه الحالة الإصابة المعوية.

3 ـ الجهاز التنفسي، وذلك عن طريق استنشاق الإنسان لهواء مشبع بغبار ملوث بأبواغ الجمرة الخبيثة، أو غبار المساحيق الملوثة بالجراثيم الممرضة كما في سيناريوهات الحرب البيولوجية والهجمات الإرهابية، وتسبب هذه الطريقة الإصابة الرئوية المميتة.

تطور الإصابة: يختلف سير المرض وتطوره باختلاف الحالة التي تمت فيها العدوى المرضة، وبناء على ذلك يأخذ سير الإصابة المناحي التالية:

1 . الجمرة الخبيثة الجلدية: وتظهر أعراض الإصابة بها في مكان تلوث الجلد بالأبواغ المعدية بعد يومين أو ثلاثة من حدوث العدوى. وقد تظهر بسرعة فائقة بعد عدة ساعات من حدوثها. وفي أحيان نادرة تطول فتره الحضانة حتى 6 أو 7 أيام. تبدأ الأعراض على شكل بقع حمراء على الجلد المصاب. ومع مرو الزمن وتطور الإصابة تظهر الفقاعات (الجمرات). ثم تمتلئ هذه الفقاعات تدريجياً بسائل صديدي عكر أو محمر بلون الدم. ولا تلبث هذه الفقاعات أن تنفجر مخلفة قشرة تغطي القرحة بالكامل أو محيطها. ويمكن معالجة الإصابة الجلدية بالجمرة الخبيثة بالمساحيق والضمادات والمعالجة الفيزيائية للتعجيل بجفافها واندمالها. وفي حال المعالجة بالمضادات الحيوية يحدث التحسن بعد اليوم الخامس أو السادس، لكن إذا تأخرت المعالجة واستشرت الإصابة وتطورت الحالة للأسوأ فإن جمرات جديدة تظهر على محيط الفقاعة الأولى، فيزداد قطر الإصابة حتى 6 إلى 9 سم وهنا يأخذ المرض اسمه الحقيقي أي الجمرة الخبيثة.

تشاهد الجمرات الخبيثة لدى المصاب على الأيدي والوجه والرقبة وجميع الأماكن الظاهرة والمكشوفة من الجسم. ومع تطور المرض تأخذ المفرزات داخل الجمرات بالنز والسيلان، ثم تتدهور حالة المصاب فترتفع حرارة جسم المريض حتى 40 درجة مئوية، ويترافق ذلك بآلام مبرحة في الرأس مع فقدان للشهية وإقياء. ويمكن أن تظهر أعراض تقيح الدم sepsis نتيجة تسلل الميكروبات ووصولها إلى الأوعية الدموية واللمفاوية، ويمكن ظهور أعراض التهاب قشرة الدماغ meningos- meninx وهي حالات خطيرة ومميتة.

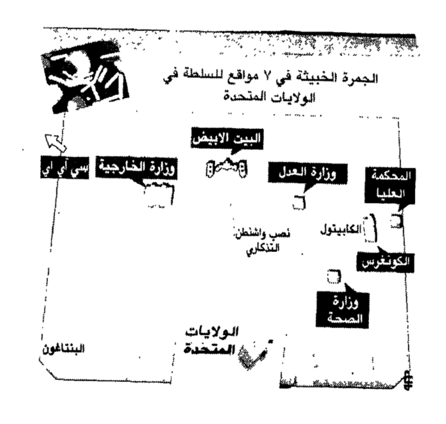
2 - الجمرة الخبيثة الصدرية: يكون تطور الإصابة بها سريعاً جداً في هذه الحالة، ويترافق بارتفاع شديد لحرارة المصاب وبالسعال والقشع المدمى وبصعوبة التنفس وآلام الصدر وأعراض التهاب الرئة plevret.

3 . الجمرة الخبيثة الهضمية: وتظهر الإصابة بها على شكل تسمم معوي شديد، يترافق بالتقيؤ والآلام المبرحة في منطقة البطن، ويرافقها في بعض الحالات إسهال شديد ونزيف دموي هضمي، كما تترافق الإصابة في أحايين أخرى بانسداد معوي وانتفاخ بالبطن والموت غالباً.

معالجة مرض الجمرة الخبيثة: تتم المعالجة حتماً بإشراف الأطباء ودوائر الصحة والحجر الصحي. ويتوجب على المشرفين والقائمين بالمعالجة والعناية بالمرضى توخي الحذر، واتخاذ التدابير الاحتياطية والإجراءات الصارمة لضمان سلامتهم الشخصية ومنع انتقال عدوى المرض. وتوجد مصول ولقاحات فعالة لمكافحة هذا الوباء الخطر

والمهول. ويمكن القول آن المرضى الذين يعالجون ويتعافون من هذا المرض تتكون في أجسامهم مناعة ثابتة مقاومة لجميع حالات المرض الشرسة.

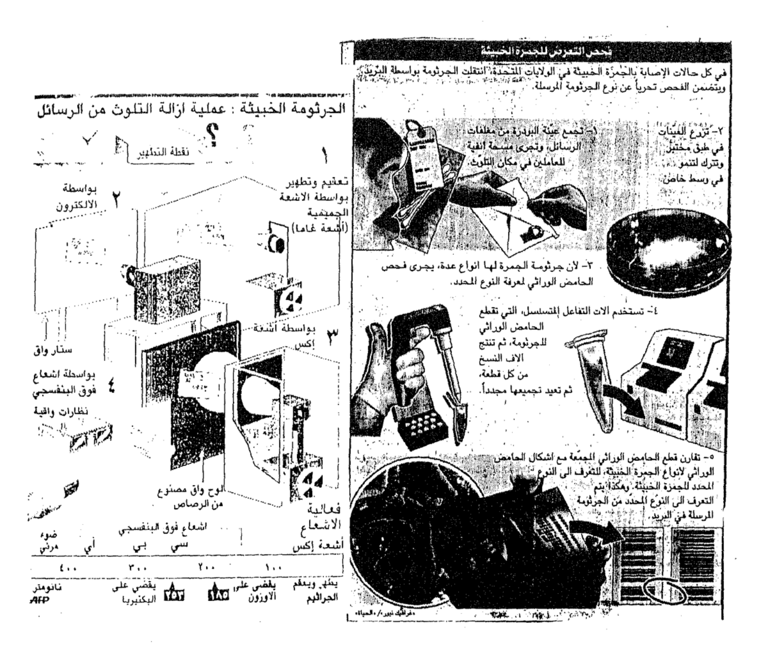
ولتلافي الإصابة بهذا المرض، في الأماكن التي تكون فيها إحتمالات انتشار الجراثيم عالية، يتوجب ارتداء الأقنعة الواقية، التي تمنع استنشاق هذه الجراثيم وأي جراثيم أخرى، وهو ما قامت به مكاتب البريد في الولايات المتحدة الأمريكية لحماية العاملين فيها، زيادة على تزويدهم بقفازات خاصة. أما إذا تسلم أي شخص رسالة يشك بمصدرها فليس أمامه إلا أن يتركها حيث هي، ويقوم باغلاق باب الغرفة، التي وجدها فيها، ثم يغسل يديه بالماء والصابون ويُخطر الشرطة. وفي الوقت الراهن فإن العلاج الناجع يكون بتناول المضادات الحيوية (سيبرو).





من «عندما يتفشى الوباء»


توسع الخوف من الجمرة الخبيثة
مع ظهور نتائج فحوصات إيجابية للمزيد من مكاتب واشنطن العاصمة وغرف بريدها، يظن المحققون أن هنالك رسائل أخرى ملوثة، عدا ما نعرفه.
4TH GRADE
GREENDALE SCHOOL
FRANKLIN PARK NJ 08852
SENATOR DASCHLE
509 HART SENATE OFFICE
BUILDING
WASHINGTON D.C. 2051
1 من مركز بريد مدينة ترينتون، بولاية نيوجرسي
مرفق بريد برينتوود المركزي
موقع تعرض للجمرة الخبيثة
رسالة داشل
واشنطن العاصمة
مبنى مكاتب ديركسين في مجلس الشيوخ
غرفة بريد المجلس
مبنى مكاتب هارت في مجلس الشيوخ
مكتب داشل
مبنى الكونغرس
مبنى لونغوورث لمكاتب مجلس النواب
مبنى فورد هاوس للمكاتب
مركز تسلم بريد شرطة الكونغرس
تعقب الورق
1 رسائل منطقة واشنطن الكبرى، بما فيها الرسالة الملوثة التي أرسلت إلى السيناتور توم داشل تعالج في مرفق برينتوود.
2 أرسلت الرسالة الملوثة إلى موقع توزيع بريدي يخدم كلا من مجلس النواب ومجلس الشيوخ.
3 البريد المتجه إلى مجلس الشيوخ يذهب إلى مبنى مكاتب ديركسين من أجل توزيعه.
4 يتسلم مكتب داشل في مبنى هارت الرسالة الملوثة بجرثومة الجمرة الخبيثة.
بعض المواقع القريبة المعرضة: في الأسبوع الماضي ظهرت آثار من الجمرة الخبيثة في مكاتب حكومية عديدة:
■ مرفق بريد وكالة الاستخبارات المركزية
■ مرفق بريد وزارة الخارجية
■ مخازن المحكمة العليا



فحص التعرض للجمرة الخبيثة
في كل حالات الإصابة بالجمرة الخبيثة في الولايات المتحدة، انتقلت الجرثومة بواسطة البريد، ويتضمن الفحص تحرياً عن نوع الجرثومة المرسلة.
١- تجمع عينة البودرة من مغلفات الرسائل، وتجرى مسحة انفية للعاملين في مكان التلوث.
٢- تزرع العينات في طبق مختبر وتترك لتنمو في وسط خاص.
٣- لان جرثومة الجمرة لها انواع عدة، يجرى فحص الحامض الوراثي لمعرفة النوع المحدد.
٤- تستخدم الات التفاعل المتسلسل، التي تقطع الحامض الوراثي للجرثومة، ثم تنتج الاف النسخ من كل قطعة، ثم تعيد تجميعها مجدداً.
٥- تقارن قطع الحامض الوراثي المجمّعة مع اشكال الحامض الوراثي لانواع الجمرة الخبيثة، للتعرف الى النوع المحدد للجمرة الخبيثة. وهكذا يتم التعرف الى النوع المحدد من الجرثومة المرسلة في البريد.
الجرثومة الخبيثة : عملية ازالة التلوث من الرسائل
نقطة التدقيق
١
تعقيم وتطهير بواسطة الاشعة الجمينية (أشعة غاما)
٢
بواسطة الالكترون
٣
بواسطة اشعة إكس
ستار واق
٤
بواسطة اشعاع فوق البنفسجي
نظارات واقية
لوح واق مصنوع من الرصاص
فعالية الاشعاع
اشعاع فوق البنفسجي
أشعة إكس
سي
بي
أي
ضوء مرئي
١٠٠
٢٠٠
٣٠٠
٤٠٠
نانومتر
يطهر ويعقم الجراثيم
يقضي على الاوزون
١٨٥
يقضي على البكتيريا
٢٥٣
AFP

ملاحق

الملحق رقم (1)

الحوادث العنفية والارهابية التي حدثت في أمريكا في النصف الثاني من القرن العشرين:

1. الحوادث العنصرية في ليتل روك عام 1957، التي اضطرت الجيش الأمريكي التدخل فيها ضد سلطات الولاية وقضائها. مما وضع الليبرالية الأمريكية والقضاء الأمريكي ومبادئ الحريات الأمريكي في موقف حرج، وعرض مصداقيتها محلياً ودولياً للشكوك.

2. حوادث لوس أنجلوس العنصرية، التي اندلعت اثر اعتداء شرطي أبيض على مواطن أسود، وتسجيل الحادثة على شريط فيديو، الأمر الذي استتبع حوادث عرقية تضمنت السلب والنهب واشعال الحرائق.

3. حوادث مدينة سينسيلاتس في ولاية اوهايو، التي اندلعت في 27 نيسان/ابريل 2001، والتي استمرت لبضع أيام تخللها النهب والشغب مما اضطر سلطات الولاية للجوء إلى أساليب العنف وإلى حظر التجول، كي تتمكن من السيطرة عليها وعلى الشغب الذي تأتى من جراء قتل جندي أبيض لمواطن أسود.

4. انفجار اوكلاهوما سيتي (1995) الذي قامت به حركة الميليشيات الأمريكية البيضاء، في محاولة لاظهار عدم رضاها عن الحكومة الفيدرالية، وإعلان خروجها عن طاعة الحكم الأمريكي، الذي تعتبره تابعاً لليهود.

5. هوس التسلح الفردي الأمريكي والذي تجلى في جرائم المدارس، حيث سُجلت عشرات الحوادث التي قام بها أطفال مدارس بقتل رفاقهم، قتلاً جماعياً.

6. العمليات السوداء للمخابرات الأمريكية، التي عكست مظاهر فصامية - تفككية، إذ تُشير إلى واقع الحكم الأمريكي واضطراره إلى تجاوز قوانينه.

7. الاغتيالات التي تطال الرؤساء الأمريكيين وبعض مقربيهم، والقائمة تطول منذ اغتيال لينكولن ولغاية محاولة اغتيال ريغان. وهذه الانقلابات تبقى في غالبيتها غامضة، مما تجعلنا نراها كنوع من أنواع غير القابلة للشفاء.

الملحق رقم (2)

بعض الانتهاكات الأمريكية لحقوق الأمم والشعوب في العالم.

1. قصف مدينتي هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين بالقنابل النووية وإبادةمئات الألوف من البشر.
2. قتل مئات الألوف من الشعب الكوري في الخمسينيات وتدمير بلاده.
3. التدخل في غواتيمالا (1954) والإطاحة بنظام الحكم فيه.
4. قتل مئات الألوف من الشعب الفيتنامي وتدمير بلاده.
5. اغتيال رئيس الوزراء الإيراني مصدق والقضاء على نظام حكمه الوطني الذي حرر النفط الإيراني من السيطرة الغربية عليه.
6. التخطيط للانقلاب الدموي ضد سلفادور ألندي في تشيلي عام 1973.
7. فرض الحصار على الساندينيستا في نيكاراغوا.
8. قتل واغتيال عشرات الآلاف من الثوار في أمريكا اللاتينية وفي طليعتهم غيفارا.
9. تمزيق أوروبا الشرقية والقضاء على وحداتها الوطنية، وتحويل أغلبها إلى دول عرقية.
10. قصف ليبيا وقتل الأبرياء وتدمير البنى التحتية.
11. تدمير العراق ومحاصرته اقتصادياً، وقتل وتجويع مئات الآلاف من أبنائه.
12. قصف السودان وتدمير معمل لانتاج الأدوية.
13. الاستخدام المتكرر لحق الفيتو ضد مصالح الشعوب والأمم والدول.
14. النهب المستمر لخيرات الشعوب.
15. قتل آلاف الأبرياء في أفغانستان.
16. أولاً وليس أخيراً، إغتيال الهنود الحمر، سكان أمريكا الأصليين، وإبادة حضارتهم.

الملحق رقم (3)

أهم محطات التاريخ الأمريكي:

1901 . اغتيال الرئيس الأمريكي وليم مكينلي، وانتقال بناء وإدارة قناة بنما إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

1917 . دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ضد ألمانيا.

1918 . أصدار الرئيس وودر ويلسون برنامج مؤلفاً من 14 نقطة حول أهداف الحرب وشروط السلام.

1919 . انعقاد مؤتمر فرساي للسلام، الذي رفض الكونغرس شروطه.

1927 . هبوط الطيار الأمريكي تشارلز ليدمبرغ بعد 33،5 ساعة طيران دون توقف في باريس.

1929 . الجمعة الأسود في بورصة نيويورك وهبوط قيمة الأسهم حتى 90٪، وبداية الأزمة الاقتصادية العالمية.

1941 . تشديد ميثاق الأطلسي على شروط السلام لروزفلت والبريطاني تشرشل؛ الهجوم الياباني على بيرل هاربر؛ اعلان أمريكا الحرب علىاليابان؛ اعلان ألمانيا الحرب على أمريكا.

1944 . انزال قوات الحلفاء في النورماندي.

1948 . خطة مارشال . دعم اقتصادي للدول الاوروبية الضعيفة بمبلغ 14 مليار دولار.

1949 . تأسيس حلف شمال الأطلسي (الناتو).

1950 . تدخل أمريكا العسكري في الحرب الكورية لصالح كوريا الجنوبية.

1952 . قيام أمريكا بتفجير أول قنبلة هيدروجينية بقوة تفجير وصلت إلى 700 مَثَل القنبلة التي أسقطت على هيروشيما.

1961 . اخفاق التدخل الأمريكي لاسقاط النظام الكوبي (أزمة خليج الخنازير).

1963 . اغتيال الرئيس الأمريكي جون كندي في دالاس.

1964 . نشوب ما أطلق عليه 'حرب فيتنام'، التي شارك فيها 2،8 مليون جندي أمريكي حتى عام 1973.

1969 . هبوط رواد الفضاء الأمريكيان نايل آرم سترونغ وادوين آلدرين على سطح القمر.

1972 . توقيع الرئيسين السوفيتي بريجنيف والأمريكي نيكسون على اتفاقية مراقبة التسلح (سالت 1).

1974 . فضيحة ووتر غيث واستقالة الرئيس الأمريكي نيكسون.

1979 . احتلال السفارة الأمريكية في طهران واحتجاز موظفيها كرهائن. والفشل في محاولة تحرير 52 رهينة من العاملين في السفارة الأمريكية، الأمر الذي تحول إلى هزيمة للرئيس كارتر.

1983 . أمر الرئيس الأمريكي بالتدخل في غرينادا.

1991 . حرب الخليج الثانية وقيادة أمريكية لتحالف دولي ضم 31 دولة ضد العراق قادته الولايات المتحدة، الذي نفذ 'عملية الصحراء' وأجبر العراق على الانسحاب من الكويت.

الملحق رقم (4)

ابرز الهجمات ضد الولايات المتحدة الأمريكية

. 1979/11/4 : اقتحام السفارة الأمريكية في طهران واحتجاز 52 رهينة أمريكية لمدة 444 يوم.

. 1983/4/18 : تفجيز مبنى السفازة الأمريكية في عين المريسة ببيروت وقتل 17 أمريكياً.

. 1983/10/23 : تفجير مقر جنود البحرية الأمريكية ببيروت مما أدى إلى مقتل 241 عسكرياً.

. 1983/12/12 : تفجير مبنى السفارتين الأمريكية والفرنسية في الكويت مما أدى إلى مقتل 5 أشخاص وجرح 86 آخرين.

. 1984/9/20 : تفجير سيارة أمام مبنى فرع السفارة الأمريكية في عوكر ببيروت، أدى إلى مقتل 16 وجرح السفير.

. 1985/6/14 : خطف طائرة تابعة لشركة (تي. دبليو. اي) من طراز (بوينغ727) في بيروت، وطالب المسلحون بالإفراج عن 700 أسير عربي يحتجزهم الإسرائيليون، قتل في العملية جندي أميركي واحتجز 39 آخرين.

. 1986/9/5 : خطف طائرة من مطار كراتشي . باكستان تابعة لشركة (بان آم) من طراز (جمبو) تحمل 358 مدنياً، قتل فيها 20 شخصاً بعد اقتحام قوى الأمن الطائرة.

. 1988/12/21 : إنفجار طائرة ركاب تابعة لشركة (بان آم) من طراز (بوينغ 747) فوق لوكربي . اسكتلندا خلال رحلة من لندن إلى نيويورك، قتل فيها 270 شخصاً.

. 1993/2/26 : انفجار قنبلة في موقف للسيارات أسفل مركز التجارة العالمي في نيويورك قتل فيها ستة أشخاص وجرح 1000 آخرين.

. 1995/4/19 : انفجار قنبلة في مبنى في أوكلاهوما، سقط فيه 168 قتيلاً و500 جريح.

. 1995/11/13 : انفجار سيارة في مقر عسكري أمريكي في الرياض . السعودية، قتل فيها 5 أمريكيين.

. 1995/9/13 : انفجار قنبلة صاروخية داخل مبنى السفارة الأمريكية في موسكو، لم تسفر عن إصابات.

. 1996/6/25 : انفجار شاحنة أمام برج الخبر في الظهران . السعودية، قتل فيها 19 أمريكياً وجرح المئات من جنسيات مختلفة.

. 1998/8/7 : إنفجار سيارتين أمام مبنيي السفارة الأمريكية في نيروبي . كينيا وفي دار السلام . تنزانيا في الوقت نفسه، سقط فيهما 224 قتيلاً وآلاف الجرحى.

. 2000/10/12: إنفجار البَاخرة (يو. أس. أس. كول) في اليمن، قتل فيها 17 عنصراً من البحرية الأمريكية.

الملحق رقم (5)

خطاب الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش إثر أحداث 11 أيلول/سبتمبر

باشرت قوات الولايات المتحدة بناءً على أوامري ضربات ضد معسكرات التدريب الإرهابية التابعة للقاعدة والمنشآت العسكرية التابعة لنظام طالبان في أفغانستان. وترمي هذه العمليات محددة الأهداف بدقة إلى وقف استخدام أفغانستان قاعدة للعمليات الإرهابية ومهاجمة القدرات العسكرية لنظام طالبان. وتنظم إلينا في هذه العملية حليفتنا المخلصة بريطانيا. وقد وعد حلفاء آخرون من بينهم كندا واوستراليا وألمانيا وفرنسا بمساندتنا بقوات أثناء العملية. منحتنا أكثر من أربعين دولة من الشرق الأوسط وأفريقيا وأوروبا وفي جميع أنحاء آسيا حق استخدام أجوائها أو الهبوط على أرضها. وشاطرتنا دول أخرى كثيرة معلومات أجهزة استخباراتها. أننا نحظى بدعم الإرادة الجماعية العالمية.

وجهت قبل أكثر من اسبوعين إلى قادة طالبان سلسلة من المطالب الواضحة والمحددة: إغلاق معسكرات التدريب الإرهابية وتسليم قادة شبكة القاعدة والإفراج عن الغربيين المحتجزين ظلماً في بلادهم وبينهم مواطنان آمريكيان. لم تستجب حركة طالبان لأيٍ من مطالبنا. وستدفع اليوم الثمن. عبر تدمير المعسكرات وتعطيل الاتصالات، سيصبح أكثر صعوبة على الشبكة الإرهابية تدريب عناصر جديدة وتنسيق خططها الشيطانية. قام الإرهابيون في بادئ الأمر بالإختباء في كهوف أو التواري في مخابئ محصنة. إن عملنا العسكري يهدف إلى تمهيد الطريق لعمليات عسكرية متواصلة، شاملة وقاسية لإخراجهم وإحالتهم على القضاء. وفي الوقت نفسه، سيعرف شعب أفغانستان المضطهد كرم أمريكا وحلفائنا. فإذ نضرب الأهداف العسكرية، سنلقي من الجو بالأغذية والأدوية والمؤن للرجال والنساء والأطفال الجياع والبائسين في أفغانستان.

إن الولايات المتحدة الأميركية دولة صديقة للشعب الأفغاني مثلما أننا أصدقاء لحوالي مليار شخص يعتنقون الإسلام في العالم. إن الولايات المتحدة الأمريكية عدوة لأولئك الذين يساعدون الإرهابيين والمجرمين المتوحشين ويدنسون ديانة عظيمة باقتراف الجرائم باسمها. وتندرج هذه العملية العسكرية في حملتنا ضد الإرهاب. إنها جبهة جديدة في حرب بدأناها على مستويات الدبلوماسية والاستخبارات وتجميد

الأموال واعتقال إرهابيين معروفين على يد قوا ت الأمن في 38 دولة. ونظراً لطبيعة أعدائنا، سوف ننتصر في هذا النزاع بتحقيق النجاح تلو الآخر بصبر والاضطلاع بسلسلة من التحديات بحزم وإرادة وتصميم.

اليوم نركز جهودنا على أفغانستان، لكن المعركة أكبر، أمام كل دولة خيار. فلا حياد في هذه المعركة. وكل حكومة تؤوي الخارجين على القانون وقتلة الأبرياء تصبح بدورها خارجة على القانون ومجرمة. وستسلك هذ الطريق الموحش على مسؤوليتها. أتوجه إليكم اليوم من قاعة المحاضرات في البيت الأبيض، حيث عمل رؤساء أميركيون على إحلال السلام.

نحن أمة مسالمة. لكن إن كان السلام غير ممكن في عالم يسوده الإرهاب، كما أدركنا بطريقة مفاجئة ومأسوية، فالسبيل الوحيد لإحلال السلام هو ملاحقة أولئك الذين يهددونه. لم نسع إلى هذه المهمة، لكننا سنضطلع بها. في عمليتنا العسكرية اليوم أطلق عليها اسم (الحرية الدائمة)، نحن لا ندافع عن حرياتنا الثمينة فحسب، بل كذلك عن حرية الشعوب في أي مكان من العالم في العيش وتربية أطفالهم بعيداً عن الخوف. أعرف جيداً أن الكثيرين من الأمريكيين يساورهم الخوف اليوم. وحكومتنا تلزم حيطة كبيرة. إن جميع أجهزة الأمن والاستخبارات تعمل جادة في جميع أنحاء أمريكا وفي كل مكان من العالم على مدار الساعة.

وقد عمل العديد من حكام الولايات بناءً على أوامري على نشر قوات من الحرس الوطني لتعزيز الأمن في المطارات. كما استدعينا الاحتياطي لتعزيز قدراتنا العسكرية وحماية وطننا.

وسيطول الصبر سلاحنا في الأشهر المقبلة. الصبر إزاء الانتظار الطويل الناجم عن تشديد الإجراءات الأمنية. إن تحقيق أهدافنا سيتطلب وقتاً. الصبر إزاء كل التضحيات التي قد نضطر إلى تقديمها. واليوم يقدم عناصر من قواتنا المسلحة على هذه التضحيات إذ يتولون الدفاع عنا بعيداً جداً عن أرضهم. كما تضحي عائلاتهم التي تفخر بهم وتقلق عليهم.

إن القائد الأعلى لايرسل أبناء وبنات أمريكا إلى ساحة المعركة في أرض غريبة إلا بعد توخي حيطة كبيرة ومرافقتهم بالكثير من الصلوات.

إننا نطلب الكثير من أولئك الذين يرتدون البذة العسكرية. نطلب منهم أن يودعوا أحبائهم ويعبروا مسافات ويجازفوا إلى حد التضحية بأرواحهم. إنهم مخلصون. إنهم شرفاء. إنهم يمثلون خيرة رجال بلادنا، ونحن ممتنون لهم.

إلى كل رجل وإمرأة في جيشنا، كل بحار، كل جندي، كل عنصر في سلاح الجو، كل عنصر في خفر السواحل، كل عنصر في المارينز، أقول: مهمتكم محددة. الأهداف واضحة، غايتكم محققة. أمنحكم كامل ثقتي وستحظون بكافة الوسائل التي تحتاجون

إليها لتحقيق مهمتكم. تلقيت مؤخراً رسالة مؤثرة تعبر كثيراً عن حال أمريكا في هذه الأوقات العصيبة. رسالة من تلميذة مدرسة والدها في الجيش. كتبت في رسالتها تقول: بقدر ماأنني لا أريد أن يذهب والدي إلى الحرب، فإنني متسعدة لمنحكم إياه. إنها لهدية ثمينة. أفضل مالديها. هذه الفتاة الصغيرة تعرف حقاً ماهي أميركا. لقد تكون لدى جيل كامل من شباب أمريكا بعد 11 أيلول/سبتمبر إدراك جديد لقيم الحرية وثمنها والالتزام من أجلها والتضحية في سبيلها. نخوض المعركة الآن على أكثر من جبهه. لن نتراجع ولن نكل، لن نتعر ولن نفشل. سينتصر السلام والحرية، أشكركم. وليستمر الله في مباركة أميركا.

الملحق رقم (6)

كلمة أسامة بن لادن بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر

«هذه أمريكا أصابها الله سبحانه وتعالى في مقتل من مقاتلها فدمر أعظم مبانيها فلله الحمد والمنة. ها هي أمريكا قد امتلأت رعباً من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها فلله الحمد والمنة. ماتذوقه أمريكا اليوم هو شيء يسير مما ذقناه منذ عشرات السنين. فإن أمتنا منذ بضع وثمانين عاماً تذوق هذا الذل وتذوق هذه المهانة فيقتل أبناؤها وتسفك دماؤها ويعتدى على مقدساتها وتقتل بغير ما أنزل الله، ولاسامع ولا مجيب.

فلما وفق الله سبحانه وتعالى كوكبة من كواكب الإسلام طليعة من طلائع الإسلام فتح عليهم، فدمروا أمريكا تدميراً أرجو الله أن يرفع قدرهم وأن يرزقهم الفردوس الأعلى. فلما رد هؤلاء على أبنائهم المستضعفين وأخوانهم وأخواتهم في فلسطين وكثير من بلاد الإسلام صاح العالم بأسره وصاح الكفر وتبعه النفاق.

الأطفال الأبرياء يقتلون إلى هذه اللحظة، يقتلون في العراق بلاذنب ولانسمع منكر ولا نسمع خطوة من الحاكم والسلاطين. وفي هذه الأيام تدخل الدبابات الإسرائيلية لتعيث في فلسطين فساداً في جنين ورام الله ورفح وبيت جالا وغيرها من أرض الإسلام ولانسمع من يرفع الصوت أو يحرك ساكناً.

فإذا جاء السيف بعد ثمانين عاماً على أمريكا ظهر واشرأب النفاق برأسه وتحسروا على هؤلاء القتلة الذين عبثوا بدماء وأعراض ومقدسات المسلمين. وأقل مايقال فيهم أنهم فسقة ابتغوا الباطل ونصروا الجزار على الضحية والمظلوم وعلى الطفل البريء. فحسبي الله عليهم وأراهم الله مايسحقون.

إن الأمر واضح وجلي. بعد هذا الحدث وبعد أن تحدث كبار المسؤولين في الولايات المتحدة، ابتداءً برأس الكفر العالمي (جورج) بوش ومن معه، وقد خرجوا أثراً وظفراً برجالهم وبخيلهم وقد ألبوا علينا حتى الدول التي تنتسب إلى الإسلام على هذه الفئة التي خرجت تفر بدينها إلى الله سبحانه وتعالى تأبى أن تعطي الدنية في دينها.. خرجوا ليحاربوا الإسلام باسم الإرهاب.

شعب في أقصى الأرض في اليابان قتل منهم مئات الألوف صغاراً وكباراً، فهذه ليست جريمة، فهذه مسألة فيها نظر. يقتلون في العراق مسألة فيها نظر. أما عندما

قتل منهم بضعة عشر في نيروبي ودار السلام قصفت أفغانستان وقصف العراق ووقف النفاق بأسره خلف رأس الكفر العالمي هبل (أكرر هبل)، أمريكا ومن معها. إن هذه الأحداث قد قسمت العالم بأسره إلى فسطاطين فسطاط الإيمان، لا نفاق فيه، وفسطاط كفر. ينبغي على كل مسلم أن يهب لنصرة دينه فقد هبت رياح الإيمان وهبت رياح التغيير لإزالة الباطل من جزيرة محمد. أما أمريكا فأقول لها ولشعبها كلمات معدودة: أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بلا عمد، لن تحلم أمريكا ولا من يعيش في أمريكا بالأمن قبل أن نعيشه واقعاً في فلسطين وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض محمد والله أكبر والعزة للإسلام»

الملحق رقم (7)

قائمة بأسماء الأشخاص والشركات التي شملها قرار تجميد الأموال الصادر عن المدعي العام الأمريكي

1 ـ شركة آران لخدمات التحويل المالي، مينيا بوليس، مينيسوتا ـ الولايات المتحدة.

2 ـ شركة البركة للصرافة ، ديره ، دبي ـ الامارات العربية المتحدة.

3 ـ البركات ، مقديشو، الصومال، دبي ـ الامارات.

4 ـ بنك البركات الصومالي (بي إس إس) مقديشو، الصومال، بوساسو، الصومال.

5 ـ بنك البركات ، مقديشو، الصومال.

6 ـ مجموعة البركات للتمويل، دبي، الامارات، مقديشو، الصومال.

7 ـ شركة البركات المالية، دبي ، الامارات، مقديشو، الصومال.

8 ـ البركات للاتصالات الدولية، دبي ـ الامارات، مقديشو، الصومال، هرغيسا، الصومال.

9 ـ مجموعة شركات البركات الصومال المحدودة، دبي ـ الامارات، مقديشو، الصومال.

10 ـ البركات الدولية، دبي ـ الامارات.

11 ـ البركات للاستثمارات، ديره، دبي، الامارات.

12 ـ البركات للخدمات البرقية، منيابوليس، مينيسوتا ـ الولايات المتحدة.

13 ـ التقوى للتجارة ـ شركة العقارات والصناعة المحدودة، لختنشتاين. المعروفة أيضاً بالتقوى للتجارة والعقارات والصناعة ـ ومؤسسة التقوى للتجارة والعقارات والصناعة ـ مؤسسة هيمت.

14 ـ إباث ترست رج، لختنشتاين.

15 ـ بنك التقوى ليمتد، ناساو، بهاماس.

16 ـ شركة بركات للإنشاء، دبي، الامارات.

17 ـ مجموعة شركات بركات، دبي ـ الامارات، مقديشو، الصومال.

18 ـ بركات الدولية، السويد.

19 ـ مؤسسة بركات الدولية، سبانغا، استوكهولم، السويد.

20 ـ شركة بركات أمريكا الشمالية، اوتاوا ـ انتاريو، كندا.

21 ـ بركات البحر الأحمر للاتصالات ـ الصومال.
22 ـ شركة بركات للاتصالات ـ الصومال ليمتد، دبي.
23 ـ بنوك وتحويلات بركات، مقديشو، الصومال، دبي، الامارات.
24 ـ بركات بوسطن، دورشستر، ماساشوستس ـ الولايات المتحدة.
25 ـ بركات لاستشارات الكومبيوتر (بي سي سي)، مقديشو، الصومال.
27 ـ شركة بركات الدولية للهاتف، مقديشو، الصومال، دبي، الامارات.
28 ـ مؤسسة بركات، كولومبس، اوهايو ـ الولايات المتحدة.
29 ـ شركات بركات الدولية (بيكو)، مقديشو، الصومال، دبي ـ الامارات.
30 ـ شركة بركات الدولية، مينيابوليس، مينيسوتا ـ الولايات المتحدة.
31 ـ بركات للبريد السريع (بي بي اي)، مقديشو، الصومال.
32 ـ شركة بركات للمنعشات، مقديشو، الصومال، دبي، الامارات.
33 ـ شركة بركات للاتصالات ليمتد، مقديشو، الصومال ـ هولندا.
34 ـ شركة بركات للتحويل البرقي، سياتل، واشنطن ـ الولايات المتحدة.
35 ـ شركة براكو التجارية ذمم، دبي ـ الامارات.
36 ـ شركة بركة التجارية ذ مم، دبي ـ الامارات.
37 ـ غلوبال سرفيس انترناشيونال، مينيابوليس، مينيسوتا ـ الولايات المتحدة.
38 ـ حياة الأولية، مقديشو، الصومال.
39 ـ مؤسسة ندى للإدارة اس. ايه، سويسرا.
40 ـ شركة بركة التجارية، ديره، دبي، الامارات.
41 ـ شركة بركات البحر الاحمر ليمتد، مقديشو، الصومال، دبي، الامارات.
42 ـ شركة الصومال انترنت، مقديشو، الصومال.
43 ـ منظمة صومالي للإغاثة الدولية، مينيابوليس، مينيسوتا ـ الولايات المتحدة.
44 ـ شبكة صومالي ايه بي، سبانغا، السويد.
45 ـ يوسف إم. ندى، سويسرا.
46 ـ يوسف إم. ندى وشركاه، فيينا، النمسا.

ثانياً: أشخاص لهم علاقة بإرهابيين.

47 ـ حسين محمود عبد القادر ، تاريخ الميلاد 1حزيران(يونيو) 1968، فلورنسا، ايطاليا.
48 ـ عبد الرزاق آدن، تاريخ الميلاد 1حزيران 1968، سبانغا، السويد.
49 ـ عباس عبدي علي، مقديشو، الصومال.
50 ـ عبدي عبد العزيز علي، تاريخ الميلاد 1 كانون الثاني (يناير) 1955، سبانغا ـ السويد.

51 . يوسف أحمد علي، تاريخ الميلاد 2 تشرين الثاني (نوفمبر) 1974، سبانغا، السويد.

52 . ظاهر عبيد الله عويس، روما، ايطاليا.

53 . حسن ظاهر عويس، تاريخ الميلاد 1935 . مواطن صومالي (المعروف أيضاً باسم: الشيخ حسن ظاهر-عويس علي . حسين ظاهر عويس).

54 . علي غالب هيمات، تاريخ الميلاد 16حزيران 1938 دمشق، سوريا، سويسرا، تونس.

55 . البرت فريدريك ارماند هوبر، تاريخ الميلاد 1927، سويسرا.

56 . حسين ليبان، اونتاريو، اوتاوا . كندا.

57 . غاراد جما، تاريخ الميلاد 26حزيران 1974، مينيابوليس، مينيسوتا . الولايات المتحدة.

58 . أحمد نور علي جمالي، دبي . الامارات، (المعروف أيضاً باسم: أحمد علي جمالي . أحمد نور علي جمالي . أحمد علي جمالي).

59 . عبد الله حسين كاهي، مقديشو، الصومال.

60 . محمد منصور، تاريخ الميلاد 1928 ومكان الميلاد مصر أو الامارات، زيوريخ، سويسرا.

61 . زينب منصور فتوح، زوريخ، سويسرا.

62 . يوسف ندى، تاريخ الميلاد 17 أيار (مايو) 1931 أو 17 أيار 1937. مكان الميلاد الاسكندرية، مصر وهو مواطن تونسي معروف باسم ندى يوسف مصطفى.

الملحق رقم (8)

النص الحرفي لبيان الناطق باسم تنظيم «القاعدة» سليمان أبو غيث* بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر:

بسم الله الرحمن الرحيم، الصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فبناء على ماوردنا من أسئلة واستفسارات ورأينا حول الأحداث التي جرت في الأيام الخمسة الماضية فإننا نقول بأن الحملة الصليبية التي يقودها بوش وبلير الصليبيان مازالت مستمرة على أرض أفغانستان الإسلامية وعلى أهلها الذين يثبتون يوما بعد يوم تضحيتهم وثباتهم وإصرارهم على نصرة دينهم وعقيدتهم. ونسأل الله العلي العظيم أن يثبت أقدامهم وأن يربط على قلوبهم وأن ينصرهم على القوم الكافرين.

كما نعلن وقوفنا التام مع هذه الإمارة ومع الشعب الأفغاني المسلم تجاه هذه الهجمة الشرسة بكل مانملك من قوة مادية ومعنوية تحت قيادة أمير المؤمنين الملا محمد عمر حفظه الله وأيده بنصره المبين. ومهما طال زمن الحرب فالقضية هي قضية أمه بأكملها رفضت حياة الذل والخنوع تحت الغطرسة الأمريكية والبطش اليهودي.

يعلن تنظيم القاعدة بأن بوش الأب وبوش الابن وبينهما كلينتون وبلير وشارون على رأس المجرمين من الصهاينة والصليبيين الذين ارتكبوا في حق الأمةالإسلامية أبشع الممارسات وأشنع الفظائع من قتل وتنكيل وتشريد، حيث قضى الملايين من المسلمين نحبهم من الرجال والنساء والأطفال دون ذنب اقترفوه. فدماء هؤلاء لن تضيع هدرا بإذن الله عز وجل حتى نقتص لهم من هؤلاء المجرمين.

---

* من مواليد الكويت 1965. وحتى حزيران/يونيو 2001، كان لا يزال في الكويت. كان يدرس الشريعة في إحدى مدارس الكويت الدينية، قبل أن تعينه وزارة الأوقاف إماما لأحد المساجد. كان أبو غيث عضوا نشيطا في جماعة الاخوان المسلمين. كان قد امضى شهرين في البوسنة، حيث قاتل إلى جانب المسلمين هناك. وهو رهن الملاحقة من قبل سلطات بلاده.

وعلى بوش أن يعلم في زحمة غروره وزخمه الإعلامي بالحرية الدائمة التي يتشدق بها وألا ينسى مشهد محمد الدرة وأخوانه من أطفال المسلمين في فلسطين والعراق. وإن كان قد نسي فإننا لن ننسى بإذن الله عز وجل ماحيينا ذلك المشهد وعليه أن يعرف أن حريته الدائمة التي يتشدق بها قضت على قرى بأكملها في قندهار قرب جلال أباد في أفغانستان حيث أبيدت القرى عن بكرة أبيها ولم يكن الأمر تعقباً وإنما كان تعمداً، فأي خطأ ذلك الذي يتكرر ثلاث مرات. فهذه القرية قصفت في أول الليل وقصفت في وسط الليل وقصفت قبيل الفجر. وعلى الذين وقفوا مع هذه الحملة الصليبية أن يعلموا حقيقة بعد أن استبان الأمر وتجلى أنها هجمة صليبية على الإسلام والمسلمين. وأين يذهب هؤلاء الذين وقفوا مع هؤلاء المجرمين من قول النبي صلى الله عليه وسلم «لزوال الأرض أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق». وماذا سيقولون عندما تنشر الصحف أمام الله سبحانه وتعالى وبين يديه عز وجل وماذا سيقولون إذا الموؤودة سئلت. ونحن في هذا الصدد نؤيد الفتوى أو الفتاوى التي أصدرها كبار العلماء في المملكة العربية السعودية وعلى رأسهم فضيلة الشيخ حمود بن عقلة الشعيبي الذي أفتى بعدم جواز التعاون مع اليهود والنصارى وأن من تعاون معهم ومدهم برأي أو قول أو فعل قد ارتكب ردة جامحة ونقض ايمانه وكفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

كما يعلن تنظيم القاعدة للأمريكان وللمشاركين في جزيرة العرب وعلى رأسهم الأمريكان والبريطانيين، يعلن لهم ويأمرهم بالخروج من جزيرة العرب. وإن كان لأمهات هؤلاء حاجة في أنفس أبنائهن فعليهن أن يطلبن منهم الخروج من جزيرة العرب لأن الأرض ستشتعل من تحت أقدامهم ناراً باذن الله عز وجل.

وفي هذا الصدد نحيي الشباب المجاهد الذي عرف دوره وعرف الطريقة التي يرد بها عدوان الظالمين فقام بقتل هؤلاء، كما نحيي جموع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الذين خرجوا مظاهرات غاضبة لهذا العدوان الإجرامي ولهذا البطش ولهذا الظلم في مشارق الأرض ومغاربها. ونقول لهم عليهم أن يستمروا في هذا الضغط خاصة بعد أن أعلن وزراء خارجية الدول الإسلامية تأييدهم لهذه الحملة الظالمة، فهؤلاء لايمثلون الأمة بحال من الأحوال وليست لهم تلك الشرعية التي تؤهلهم للتصرف بمصير الأمة وقراراتها.

أما عن التحذير الذي قام به بوش والإدارة الأمريكية وتلك القرارات التي كان يراد منها تحجيم الفضائيات ووكالات الأنباء العالمية من إيصال صوتنا إلى العالم ماهذا إلا دليل واضح على خوف الإدارة الأميركية من أن تنكشف الحقيقة التي أدت إلى أحداث الثلاثاء، تلك الحقيقة التي تبين أن بوش عميل لإسرائيل ويضحي بشعبه واقتصاد بلده من أجل هؤلاء ويعاونهم على احتلال بلاد المسلمين والبطش بأبنائهم.

وأخيراً أوجه خطابي إلى وزير الخارجية الأمريكي الذي شكك في بياننا السابق والذي استخف بما قلناه بأن هناك أُلوفا من الشباب المسلم يتوقون إلى الموت وأن عاصفة الطائرات لن تتوقف بإذن الله عز وجل. وباول وغيره من الإدارة الأميركية يعلمون أن تنظيم القاعدة إذا وعد أو توعد وفى بإذن الله عز وجل. لذلك نقول له أن غداً لناظره قريب، والخبر مايأتى لاماتسمع، والعواصف لن تهدأ وخاصة عاصفة الطائرات، لن تهدأ هذه العواصف حتى تجروا أذيال الهزيمة في أفغانستان وحتى ترفعوا أيديكم عن دعم اليهود في فلسطين وتفكوا الحصار عن شعب العراق وحتى تخرجوا من أرض الجزيرة العربية وحتى توقفوا دعمكم للهندوس ضد المسلمين في كشمير.

ونقول أخيراً ناصحين، ومن باب التأكيد، نقول للمسلمين في أمريكا وفي بريطانيا وللأطفال الذي يرفضون السياسة الأمريكية الظالمة ننصحهم بعدم ركوب الطائرات وننصحهم بعدم السكن في المباني العالية وفي الأبراج.

لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الملحق رقم (9)

خطاب مسجل لأيمن الظواهري ، الذراع اليمنى لزعيم تنظيم (القاعدة) أسامة بن لادن

(تمادى الخطاب الذي ألقاه الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش أمس في تجاهل الحقائق الأساسية للصراع والتي اتفق العقلاء على أنها الأسباب الرئيسية لما حدث في واشنطن ونيويورك وانتهى خطابه بتناقضات كثيرة. ولكننا حرصاً على الإختصار سنرد على أهمها . فلن نرد عليه بأن المتطرفين الطالبان رفضوا تسليم المجرمين بينما أمريكا هي التي رفضت احترام الشريعة الإسلامية وتقديم أدلتها لمحكمة إسلامية. ولن نناقشه في وصفه لأعضاء القاعدة بالإرهابيين متناسياً ما ارتكبه السلاح الأمريكي من مذابح (..)، ولن نناقشه في دعواه بعزلة القاعدة بالرغم من التظاهرات الكاسحة التي امتدت على طول العالم الإسلامي وهي تطالب بالقصاص من أمريكا . ولن نناقشه في ما زعمته أمريكا من حماية مسلمي البوسنة رغم أن السلاح الامريكي هو الذي منع وصول السلاح والدعم لهم ليذبحهم الصرب السفاحون ، ولن نناقشه في تواطؤ أمريكا مع الهندوس في الهند وكشمير ولا في موقفها الظالم في تقسيم أندونيسيا . ولا نناقش بوش في ما زعمه أمس من أنه يخوض حربه دفاعاً عن حرية التعبير في الوقت الذي يطالب فيه بحظر بياناتنا وتصريحاتنا. لا نناقشه في كل هذا، لكننا سنركز ردنا على قضية واحدة واضحة بينة نعتبرها الموضع البارز في الخلاف والصراع القائم بين المسلمين وأمريكا . وسنناقشه حول الجريمة الأمريكية . الإسرائيلية المستمرة في فلسطين منذ أكثر من خمسين عاماً . فمن المثير للدهشة والسخرية والإزدراء في خطاب بوش البارحة وكذلك في الرد الرسمي لوزارة الخارجية الأميركية المقروء على لسان كريستوفر روس في يوم السبت الفائت أن كليهما لم يذكرا حرفا واحدا عن فلسطين، بل وعندما نوقش كريستوفر روس في ذلك كان رده عذراً أقبح من ذنب، فقد ادعى أن الحكومة الأمريكية ترعى المفاوضات بين العرب وإسرائيل منذ عشر سنوات .
ثم عقب على ذلك بأن السؤال يعتبر خروجاً عن الموضوع. إن هذا الأسلوب يدفع المسلمين بلا شك إلى مزيد من القناعة بأن الإدارة الأمريكية لن تغير سياستها المجرمة تجاه فلسطين . وإذا كان الحديث عن فلسطين وهي القضية المركزية للمسلمين منذ أكثر من خمسين عاماً ، بل وهي المحرك الرئيسي لمعظم الأحداث في قلب العالم

الإسلامي وأحداث واشنطن ونيويورك ، إذا كان الحديث عنها خروجا عن الموضوع، إذا فلا سبيل إلا الجهاد في سبيل الله لتحرير فلسطين من اليهود الأمريكان ، وإذا كانت المفاوضات المستمرة منذ عشر سنوات بين السلطة الفلسطينية واليهود تحت رعاية أمريكا لم تصل بنا إلا إلى مزيد من القتل والعدوان على شعبنا المسلم في فلسطين وإلا إلى مزيد من المحاولات المتكررة لهدم المسجد الأقصى فمتى سنصل إلى تحرير فلسطين ؟ ومتى سنحصل على حقوق المسلمين في فلسطين؟ ومتى سنوقف العدوان على المسجد الأقصى ؟ متى بعد عشرة قرون من المفاوضات تحت رعاية أمريكا ؟ إن المماطلة في إعطاء الحقوق هي عقيدة يهودية عند اليهود وافقت عليها سياسة الخارجية الأمريكية. كيف يمكن أن ننسى إسرائيل التي تباركها وتدعمها أمريكا، التي قامت ابتداء من اسمها على أساس ديني) .

الملحق رقم (10)

وثيقة بريطانية تورد الأدلة على تورط القاعدة بأحداث 11 أيلول/سبتمبر:

أكد رئيس الوزراء البريطاني توني بلير أمس أمام مجلس العموم أن أسامة بن لادن وتنظيم «القاعدة» مسؤولان عن الاعتداءات الإرهابية يوم 11 أيلول/سبتمبر 2001. وقال أن بلاده تملك أدلة كافية ضد ابن لادن، أورد بعضها في وثيقة من 20 صفحة أودعها لدى البرلمان.

وجاء في نص الوثيقة (ترجمة غير رسمية).

المسؤولية عن المجازر الإرهابية في الولايات المتحدة:

لاتزعم هذه الوثيقة أنها تشكل ادعاء يمكن تقديمه إلى المحاكم ضد اسامة بن لادن. إذا لا يمكن في حالات كثيرة استعمال معلومات الاستخبارات كأدلة، بسبب قواعد مقبولية الأدلة في المحاكم من جهة، والحاجة إلى حماية مصادر المعلومات من الجهة الثانية. لكن حكومة صاحبة الجلالة، بناء على كل المعلومات المتوافرة لها، واثقة بصحة النتائج الواردة في هذه الوثيقة«.

مقدمة:

1 . إن النتائج الواضحة التي استخلصتها الحكومة هي:

. أسامة بن لادن، وشبكة الإرهاب التي يرأسها »القاعدة« خططا ونفذا المجازر في 11 أيلول/سبتمبر.

. أسامة بن لادن و»القاعدة« لاتزال لهما الإرادة والموارد للقيام بالمزيد من المجازر.

. المملكة المتحدة ومواطنوها من بين الأهداف المحتملة.

. أسامة بن لادن و»القاعدة« تمكنا من ارتكاب هذه المجازر بسبب تحالفهما مع نظام »طالبان« الذي سمح لهما بحرية التحرك للقيام بأعمالهما الإرهابية.

2 . مصدر المعلومات عن 1998 والسفينة الحربية الأمريكية »كول« هو الاتهامات الرسمية ومصادر الاستخبارات. مصدر المعلومات عن 11 أيلول/سبتمبر 2001 هي الاستخبارات والتحقيقات الجنائية حتى الآن. وإذ لايمكن إعطاء التفاصيل فيما يخص بعض أوجه القضية، فإن الوقائع واضحة بناء على معلومات الاستخبارات.

3 . هذه الوثيقة لاتشمل كل المعلومات التي بحوزة حكومة صاحبة الجلالة، آخذة في الاعتبار الحاجة المتمرة والمطلقة لحماية المصادر.

تلخيص:

4 . الوقائع ذات العلاقة .

الخلفية

. »القاعدة« منظمة إرهابية مرتبطة بشبكة عالمية. ويعود وجود »القاعدة« إلى أكثر من عشر سنوات، وقد أسسها وقادها دوما أسامة بن لادن.

. أسامة بن لادن و»القاعدة« يمارسان الجهاد ضد الولايات المتحدة وحلفائها. من بين آهدافهما المعلنة قتل المواطنين الأمريكيين وشن الهجمات على حلفاء أمريكا.

. أسامة بن لادن و»القاعدة« يتخذان أفغانستان قاعدة لهما منذ 1996، ولهما شبكة للعلميات في أنحاء العالم. من بين ما تشملة الشبكة معسكرات التدريب والمستودعات ومرافق الاتصال والمعاملات الاقتصادية القادرة على الحصول على مبالغ مهمة من المال لدعم العمليات. ومن بين الأنشطة الاستغلال، على نطاق مهم، لتجارة المخدرات من أفغانستان.

. بين »القاعدة« ونظام »طالبان« تحالف يقوم على الاعتماد المتبادل. اذ يقدم أسامة بن لادن و»القاعدة« إلى »طالبان« الدعم المادي والمالي والعسكري، ويشترك الطرفان في استغلال تجارة المخدرات. ويسمح نظام طالبان لابن لادن بتشغيل معسكرات التدريب على الارهاب والقيام بنشاطاته من أفغانستان، كما يحميه من الهجمات الخارجية ويحمي مخزون المخدرات. ولم يكن باستطاعة أسامة بن لادن القيام بنشاطاته الإرهابية من دون التحالف مع نظام »طالبان« وتلقي الدعم منه. بالمقابل فإن سلطة «طالبان» ستضعف بشكل خطير من دون الدعم المالي والعسكري الذي يقدمه أسامة بن لادن.

لأسامة بن لادن والقاعدة القدرة على القيام بهجمات إرهابية رئيسية.

. ادعى أسامة بن لادن بالمسؤولية عن الهجوم على الجنود الأمريكيين في الصومال في تشرين الأول/اوكتوبر 1993، الذي قتل فيه 18جنديا أمريكيا، وعن الهجوم على سفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا في آب/أغسطس 1998 الذي أدى إلى مقتل 224 شخصا وجرح نحو خمسة آلاف غيرهم، كما أن هناك ما يربطه بالهجوم على السفينة الحربية الأمريكية «كول» في 12 تشرين الأول/اوكتوبر 2000 الذي أدى إلى مقتل 17 من طاقم السفينة وجرح 40 غيرهم.

. سعوا إلى الحصول على مواد نووية وكيماوية لاستعمالها كأسلحة للارهاب.

فيما يخص الهجمات الإرهابية في 11 أيلول/سبتمبر:

5 . علمنا بعد 11 أيلول/سبتمبر آن أسامة بن لادن، قبل الهجوم بوقت قصير، أشار إلى آنه على وشك شن هجوم رئيسي على آمريكا. وقام بتنفيذ الخطة المفصلة للهجمات الإرهابية في 11 أيلول/سبتمبر واحد من أعوانه المقربين. وتأكد بعد

الهجمات أن ثلاثة على الأقل من الـ 19شخصا الذين خطفوا الطائرات، لهم روابط مع «القاعدة». وكانت الهجمات في 11 أيلول/سبتمبر مشابهة، من حيث طموحها والتأثير المطلوب لها، للهجمات السابقة التي قام بها أسامة بن لادن و«القاعدة»، كما أن هناك سمات مشتركة بين كل هذه الهجمات، خصوصا من هذه النواحي:

. المهاجمون الانتحاريون: 1) نسقوا شن الهجمات خلال يوم واحد.

2) كان الهدف إيقاع العدد الأكبر من الخسائر البشرية الأمريكية.

3) أبدوا لامبالاة تامة بالضحايا الآخرين، من ضمن ذلك المسلمين.

. التخطيط الدقيق على المدى البعيد.

1) عدم إعطاء تحذير مبكر.

6 . تحتفظ «القاعدة» بالقدرة والإرادة للقيام بالمزيد من الهجمات على الولايات المتحدة وحلفائها، من ضمنهم المملكة المتحدة.

7 . «القاعدة» لاتعطي تحذيرا مسبقا من هجوم إرهابي.

الوقائع

اسامة بن لادن والقاعدة:

8 . في 1989 أسس أسامة بن لادن وآخرون مجموعة إرهابية دولية باسم «القاعدة»، أسامة بن لادن هو رئيس «القاعدة» منذ ذلك الحين.

9 . قاعدة أسامة بن لادن من 1989 إلى 1991 كانت في أفغانستان وفي بيشاور في باكستان. وانتقل في 1991 إلى السودان حيث بقي الى 1996، وعاد السنة نفسها إلى أفغانستان، حيث لا يزال إلى الآن.

نظام طالبان:

10 . برزت حركة «طالبان» أوائل التسعينات من مخيمات اللاجئين الأفغان في باكستان، وتمكنت بحلول 1996 من السيطرة على كابول. ولايزال النظام يخوض حربا أهلية دموية من أجل السيطرة عل كل أفغانستان. قائد «طالبان» هو الملا (محمد) عمر.

11 . في 1996 عاد أسامة بن لادن إلى أفغانستان وأقام علاقة وثيقة من الملا عمر ورمى بكل ثقله وراء «طالبان». بين أسامة بن لادن والملا عمر تحالف وثيق يعتمد عليه وجود الطرفين. ويتشارك الاثنان في القيم والرؤية الدينية.

12 . قدم أسامة بن لادن لنظام «طالبان» المقاتلين والسلاح والمال لقتال التحالف الشمالي. وهو يشارك بقوة في التدريب العسكري والتخطيط والعمليات التي يقوم بها نظام «طالبان»، وله ممثل في بنية القيادة العسكرية لـ «طالبان». كما قدم أيضا مساعدات فيما يخص البنى التحتية والمعونة الإنسانية. قوات أسامة بن لادن تخوض الحرب الأهلية الأفغانية جنبا إلى جنب مع «طالبان».

13 . وفر الملا عمر إلى ابن لادن ملاذا آمنا تمكن من العمل فيه، وسمح له بإقامة معسكرات في أفغانستان للتدريب على الإرهاب. ويتشارك الاثنان في استغلال تجارة المخدرات من أفغانستان. ويسمح نظام «طالبان» لتنظيم القاعدة، مقابل الحصول على الدعم الفاعل من التنظيم، بالعمل بحرية في أفغانستان، من ضمن ذلك التخطيط والتدريب والتهيئة للقيام بالنشاط الإرهابي. إضافة إلى ذلك يوفر نظام طالبان الحماية لمخزون المخدرات.

14 . أثارت الولايات المتحدة مع نظام «طالبان» منذ استيلاء الحركة على كابول في 1996، عددا كبيرا من القضايا، من بينها المساعدات الإنسانية والإرهاب. ووفرت الولايات المتحدة لـ «طالبان»، قبل وقت طويل من 11 أيلول/سبتمبر 2001، أدلة على مسؤولية القاعدة عن الهجومين الإرهابيين في شرق أفريقيا. وقدمت هذه الأدلة إلى كبار قادة طالبان بناء على طلبهم.

15 . أوضحت الولايات المتحدة لنظام «طالبان» أن القاعدة قتلت مواطنين أمريكيين وخططت لقتل المزيد منهم. وعرضت العمل مع «طالبان» لطرد الإرهابيين من أفغانستان. ولم تؤد هذه المحادثات التي استمرت منذ 1998 إلى نتيجة.

16 . في حزيران/يونيو 2001، وإزاء الأدلة المتزايدة على التهديد الذي يمثله تنظيم «القاعدة»، حذرت الولايات المتحدة نظام «طالبان» بأن لها حق الدفاع عن النفس وأنها ستحمل النظام مسؤولية الهجمات على مواطنين أمريكيين يقوم بها إرهابيون يحتمون في أفغانستان.

17 . قامت الولايات المتحدة بذلك بدعم من الأمم المتحدة. وفي قراره 1267 أدان مجلس الأمن ابن لادن بسبب رعايته الإرهاب الدولي وتشغيل شبكة من معسكرات الإرهاب، وطالب نظام «طالبان» بتسليم ابن لادن من دون تأخير لكي يواجه العدالة.

18 . بالرغم من الأدلة التي قدمتها الولايات المتحدة عن مسؤولية ابن لادن والقاعدة عن التفجيرات في شرق أفريقيا في 1998، وبالرغم من التوقع الدقيق للمزيد من المجازر، وبالرغم من مطالبة الأمم المتحدة، فقد كان جواب نظام «طالبان» أن ليس هناك أدلة ضد أسامة بن لادن وأن النظام لن يطرده أو يطرد شبكته.

19 . وصف مسؤول حكومي أفغاني سابق «طالبان» وابن لادن بأنهما «وجهان لعملة واحدة. إذ لا بقاء لأسامة بن لادن في أفغانستان من دون طالبان، ولابقاء لطالبان من دون أسامة».

القاعدة:

20 . «القاعدة» هي منظمة تعمل على معارضة الحكومات «غير الإسلامية» في البلاد المسلمة بالقوة والعنف.

21 ـ «القاعدة» تعارض بشدة الولايات المتحدة. حض أسامة بن لادن وحرض أتباعه على قتل المواطنين الأمريكيين بتعابير واضحة تماما.

22 ـ في 12 تشرين الأول/أكتوبر 1996 أصدر ابن لادن «إعلان جهاد» جاء فيه:

«.... إخواني المسلمين: أخوتكم في فلسطين... يناشدونكم المساعدة وأن تشتركوا في القتال ضد العدو ـ أمريكا والإسرائيليين. إنهم يطلبون منكم أن تقوموا بما تستطيعون لطرد الأعداء...»».

ثم قال في وقت لاحق من تلك السنة: إن «إرهاب المحتلين الأمريكيين واجب ديني وشرعي».

وفي شباط/فبراير 1998 أصدر فتوى ووقعها وتوجه فيها إلى المسلمين:

«قتل الأمريكيين وحلفائهم المدنيين والعسكريين فرض عين على كل مسلم في أي دولة كانوا فيها حتى يتحرر المسجد الأقصى وتغادر جيوشهم أرض المسلمين».

وفي «الفتوى» ذاتها دعا علماء المسلمين وقادتهم وشبابهم إلى :

«مهاجمة جنود الشيطان الأمريكيين».

وختم: «نحن بعون الله ندعو كل مسلم يؤمن بالله ويريد أن يكافأ أن ينفذ أمر الله بقتل الأمريكيين ونهب أموالهم أينما وجدوا. وندعو أيضا المسلمين (..) إلى شن غارات على قوات الشيطان الأمريكية وداعميها المتحالفين معها، وأن يشردوا أولئك الواقفين مع الأمريكيين)».

وعندما سئل، في 1998، عن الحصول على أسلحة كيماوية ونووية أجاب:

«إن الحصول على هذه الأسلحة للدفاع عن المسلمين واجب ديني».

وقال في مقابلة بثتها قناة «الجزيرة» (الدوحة ـ قطر):«عدونا كل رجل أمريكي، سواء كان يقاتلنا مباشرة أويدفع ضرائب» (لحكومته).

وفي مقابلتين بثهما التلفزيون الأمريكي في 1997 و1998 أشار إلى الإرهابيين الذين نفذوا الهجوم على مركز التجارة العالمية في 1993 على أنهم «مثال يحتذى». وذهب إلى حض أتباعه على «نقل القتال إلى أمريكا».

23 ـ سعى أسامة بن لادن، منذ بداية التسعينات إلى الحصول على مواد نووية وكيماوية لاستخدامها كأسلحة إرهاب.

24 ـ على رغم أن الأهداف الأمريكية هي الأولوية لـ «القاعدة»، إلا أنها تهدد صراحة حلفاء الولايات المتحدة. فالإشارة إلى «التحالف الصهيوني ـ الصليبي والمتعاونين معه» و «قوات الشيطان الأمريكية ومؤيدي الشيطان المتحالفين معها» هي إشارات تتضمن المملكة المتحدة في شكل واضح جدا.

25 ـ هناك تهديد مستمر. قياسا على خبرتنا في طريقة عمل الشبكة في الماضي، فإن العملية الإرهابية في 11 أيلول/سبتمبر ـ لابد أن يفترض أنها موجودة.

26 ـ «القاعدة» تعمل لوحدها وأيضا من خلال شبكات منظمات إرهابية أخرى وهذه تتضمن جماعة الجهاد الإسلامي المصرية وجماعات إرهابية متشددة أخرى من شمال أفريقيا، وعدد من الجماعات الجهادية الأخرى في دول أخرى بينها السودان واليمن والصومال وباكستان والهند. وتحتفظ «القاعدة» بخلايا وأشخاص في عدد من الدول لتسهيل نشاطاتها.

27 ـ يرأس أسامة بن لادن شبكة «القاعدة». يساعده مجلس شورى يضم جماعات إرهابية أخرى، مثل زعيم جماعة الجهاد المصرية أيمن الظواهري وقادة آخرين بارزين مثل أبو حفص المصري. وجماعة الجهاد، في الواقع، ذابت في «القاعدة».

28 ـ إضافة إلى مجلس الشورى، «القاعدة» تملك لجانا أخرى تتعاطى مع الشؤون العسكرية، الإعلامية، المالية والإسلامية.

29 ـ محمد عاطف عضو في اللجنة المكلفة بالعمليات العسكرية والإرهابية. وواجباته تتضمن أساسا مسؤولية تدريب أعضاء «القاعدة».

30 ـ أعضاء «القاعدة» يجب أن يؤدوا بيعة تقضي باتباع أوامر أسامة بن لادن.

31 ـ باتت كمية كبيرة من الأدلة ضد أسامة بن لادن و «القاعدة» متوافرة في قرارات اتهام أمريكية في شأن جرائم سابقة.

32 ـ قام أسامة بن لادن، منذ 1989، بتحويلات مالية وتجارية مهمة لمصلحة «القاعدة» ومن أجل تحقيق أهدافها. وهذه تتضمن شراء أراض لإقامة مخيمات تدريب، شراء مخازن لحفظ أغراض بينها متفجرات، شراء أجهزة اتصال وأجهزة الكترونية، نقل أموال وأسلحة إلى أعضاء «القاعدة» والمنظمات الإرهابية المرتبطة بها في دول عبر العالم.

33 ـ أقام أسامة بن لادن، منذ 1989، مخيمات تدريب وبيوت ضيافة في أفغانستان، باكستان، السودان، الصومال وكينيا لاستخدامها من قبل القاعدة والجماعات الإرهابية المرتبطة بها. ونعلم من الاستخبارات أنه في أفغانستان حاليا مالايقل عن 12 مخيما، أربعة منها على الأقل تستخدام لأغراض إرهابية.

34 ـ أقام أسامة بن لادن، منذ 1989، مشاريع تجارية لتوفير مدخول لـ «القاعدة». ومن هذه المشاريع شركة قابضة تدعى «وادي العقيق»، وشركة مقاولات تدعى «الهجرة»، وشركة زراعية تدعى «الثمار المباركة»وشركات استثمار تعرف بـ «لادن انترناشيونال»و «طابا انفستمنت».

أسامة بن لادن والاعتداءات السابقة:

35 ـ بين عامي 1992 و 1993، سافر محمد عاطف إلى الصومال بمناسبات مختلفة بهدف تنظيم عمليات عنف ضد قوات الولايات المتحدة والأمم المتحدة التي

كانت آنذاك متمركزة في الصومال. وفي كل مرة كان يعود ويقدم تقريرا إلى أسامة بن لادن في مقره في حي الرياض في الخرطوم.

36 . في ربيع 1993، بدأ عاطف، وسيف العدل، وهو عضو بارز في «القاعدة»، وأعضاء آخرون تقديم تدريب عسكري إلى قبائل صومالية تحارب قوات الأمم المتحدة.

37 . في 3 و 4 تشرين الأول/اوكتوبر 1993، شارك أعضاء في «القاعدة» في هجوم على عسكريين أمريكيين يخدمون في الصومال كجزء من عملية «إعادة الأمل». وقتل 18 عسكريا أمريكيا في ذلك الهجوم.

38 . بدأ أعضاء «القاعدة» منذ عام 1993 في الإقامة في نيروبي وأقاموا مشاريع هناك، بينها «اسما ليميتد» و «لازا نايت كينغ». وكان أعضاء بارزون في القاعدة يزورونهم، خصوصا عاطف وأبو عبيدة البنشيري.

39 . في وقت لاحق من عام 1993، بدأ أعضاء «القاعدة» في كينيا يناقشون إمكان مهاجمة السفارة الأمريكية في نيروبي ردا على مشاركة الولايات المتحدة في عملية «إعادة الأمل» في الصومال. عاين علي محمد، وهو مواطن أمريكي يقر بعضويته في «القاعدة»، السفارة الأمريكية كهدف محتمل لهجوم إرهابي. أخذ صورا وروسوما لها وقدمها إلى أسامة بن لادن عندما كان في السودان. أقر أيضا بأنه درب إرهابيين من «القاعدة» في أفغانستان في بداية التسعينات، وأن كثيرين من الذين دربهم تورطوا في عمليات التفجير في شرق أفريقيا في آب/أغسطس 1998.

40 . في حزيران/يونيو وتموز/يوليو 1998، اشترى إثنان من «القاعدة»، هما فهد محمد علي مسلم والشيخ أحمد سليم سويدان، شاحنة تويوتا وأجروا بعض التعديلات على صندوقها الخلفي.

41 . في بداية آب/أغسطس 1998، اجتمع أعضاء «القاعدة» في عنوان 43 «نيو روندا استيت» في نيروبي لتنفيذ عملية تفجير السفارة الأمريكية في العاصمة الكينية.

42 . في 7 آب/أغسطس 1998، قاد «عزام» وهو سعودي عضو في «القاعدة»، شاحنة تويوتا إلى السفارة الأمريكية، في صندوقها الخلفي قنبلة ضخمة.

43 . في الشاحنة ذاتها جلس سعودي آخر هو محمد راشد داوود العوهلي. وهو، بحسب اعترافه، عضو في «القاعدة» وبدأ منذ 1996 التدرب في مخيمات «القاعدة» في أفغانستان على المتفجرات، خطف طائرات، خطف أشخاص، اغتيالات، وأساليب التجسس. وبموافقة أسامة بن لادن، حارب إلى جانب «طالبان» في أفغانستان. التقى أسامة بن لادن شخصيا في 1996 وطلب منه مهمة. فأرسله أسامة بن لان إلى شرق أفريقيا، بعد تدريب خاص في مخيمات في أفغانستان.

44 . مع اقتراب الشاحنة من السفارة، خرج العوهلي ورمى قنبلة يدوية صوتية على أحد الحراس. وقاد «عزام» الشاحنة إلى الجزء الخلفي للسفارة. وخرج منها ثم

فجر القنبلة التي دمرت مبنى مدرسة سكرتارية من طوابق عدة والحقت أضرارا جسيمة بمقر السفارة الأمريكية ومبنى المصرف التعاوني. وأدى التفجير إلى قتل 213 شخصا وإصابة 4500 آخرين بجروح. وقتل «عزام» في الانفجار.

45 . كان العوالي يتوقع أن يقتل في العملية. وكان مستعدا للموت من أجل «القاعدة». لكنه فر في اللحظة الأخيرة من الشاحنة المفخخة وبقي على قيد الحياة. ولم تكن لديه أي نقود أو جواز سفر أو خطة للهرب بعد تنفيذ المهمة لأنه كان يتوقع أن يموت.

46 . وبعد بضعة أيام اتصل برقم هاتف في اليمن كي يحول اليه مبلغ من المال في كينيا. وتلقى هذا الرقم في اليمن اتصالا من جهاز الهاتف العائد لبن لادن في اليوم ذاته الذي سعى فيه العوهلي إلى ترتيب الحصول على المبلغ.

47 . ومن بين الأشخاص الآخرين الذين اعتقلوا بالارتباط مع التفجير في نيروبي محمد الصادق عودة. وقد اعترف بتورطه. وكشف هوية المشاركين الرئيسيين في عملية التفجير. وأعطى أسماء ثلاثة أشخاص آخرين كانوا كلهم أعضاء في «القاعدة» أو تنظيم «الجهاد الإسلامي» المصري.

48 . وفي دار السلام في اليوم ذاته، في حوالي الوقت نفسه، فجر عناصر تابعون لـ «القاعدة» قنبلة في السفارة الأمريكية، ما أدى إلى قتل 11 شخصا. وكان من ضمن عناصر «القاعدة» مصطفى محمد فضل وخلفان خميس محمد. ونقلت القنبلة في شاحنة من طراز «نيسان أتلس» كان اشتراها أحمد خلفان غيلاني والشيخ أحمد سالم سويدان، وهما من عناصر «القاعدة»، في تموز/يوليو 1998 في دار السلام.

49 . اعتقل خلفان خميس محمد لتورطه في عملية التفجير. واعترف بعضويته في «القاعدة»، وكشف تورط أعضاء آخرين في «القاعدة» في التفجير.

50 . في 7 و8 آب/أغسطس 1998، قام عضوان آخران في «القاعدة» بتوزيع بيان ادعى المسؤولية عن التفجيرين وذلك بارسال فاكسات إلى مؤسسات إعلامية في باريس والدوحة في قطر ودبي في الإمارات العربية المتحدة.

51 . وتوافرت أدلة إضافية على تورط (القاعدة) في التفجيرين في شرق إفريقيا إثر عملية تفتيش أجريت في لندن لمساكن ومكاتب تجارية تعود لأعضاء في (القاعدة) وتنظيم (الجهاد الإسلامي) المصري . وعثر على بعض الوثائق، من ضمنها بيانات أعلان المسؤولية عن التفجيرين في شرق إفريقيا باسم جماعة وهمية اسمها (الجيش الإسلامي لتحرير الأماكن المقدسة).

52 . واعترف العوهلي ، منفذ التفجيرات الانتحارية المفترضة ، أنه طلب منه أن يصور نفسه في شريط فيديو وهو يستخدم اسم الجماعة الوهمية ذاتها .

53 ـ وأقتفي أثر بيانات ادعاء المسؤولية عن التفجيرين المرسلة بالفاكس إلى رقم هاتف كان تلقى اتصالات من الهاتف الخليوي لابن لادن . وكان واضحا أن بيانات ادعاء المسؤولية التي وزعت على الصحافة كتبت من قبل شخص لديه معرفة بالمؤامرة . وجاء فيها أن التفجيرين نفذا من قبل سعوديين اثنين في كينيا وشخص مصري في دار السلام . والأرجح أن البيانات أرسلت حتى قبل وقوع التفجيرين . وأشارت إلى مقتل سعوديين اثنين في اعتداء نيروبي . وفي الواقع ، لم يقتل سوى سعودي واحد لأن العوهلي فر في اللحظة الأخيرة .

54 ـ وفي 22 كانون الأول/ ديسمبر 1998 ، سألت مجلة تايم أسامة بن لادن هل كان مسؤولا عن الاعتدائين في آب/ اغسطس 1998 . فأجاب :

(إن الجبهة الإسلامية العالمية ، المجاهدة ضد الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ، أصدرت بحمد الله فتوى واضحة تماما تدعو الأمة الإسلامية إلى مواصلة الجهاد الهادف إلى تحرير الأماكن المقدسة . وقد لبت أمة محمد هذا النداء . إذا كان التحريض على الجهاد ضد اليهود والأمريكيين (....) يعتبر جريمة ، فليكن التاريخ شاهدا على أنني مجرم . إن مهمتنا هي التحريض ، وقد فعلنا ذلك بحمد الله، واستجاب أشخاص معنيون لهذا التحريض) .

وردا على سؤال ما إذا كان يعرف منفذي الاعتداءات قال:«إن أي سارق أو مجرم يدخل بلدا آخر ليسرق ينبغي أن يتوقع أنه سيكون معرضا إلى القتل في أي وقت (...) الولايات المتحدة تعرف أنني هاجمتها، حمدا لله، لأكثر من عشر سنوات حتى الآن (..) يعرف الله أننا سررنا لمقتل الجنود الأمريكيين (في الصومال في عام 1993). لقد تحقق ذلك بنعمة الله وجهود المجاهدين (...) إن العداء لأمريكا واجب ديني ونأمل أن يكافئنا الله عليه. وأنا واثق بأن المسلمين سيتمكنون من إنهاء اسطورة ما يسمى بالقوة العظمى، أي أمريكا».

55 ـ في كانون الأول/ديسمبر 1999، تم اكتشاف خلية إرهابية ذات صلة بـ «القاعدة» تسعى إلى تنفيذ هجمات داخل الولايات المتحدة. فقد أوقف شخص جزائري، أحمد رسام، عند الحدود الأمريكية ـ الكندية وعثر في سيارته على أكثر من 100 باوند من مواد تستخدم لصنع متفجرات. واعترف رسام بأنه كان يخطط لتفجير قنبلة كبيرة في مطار لوس انجلس الدولي في يوم رأس السنة الجديدة. وقال أنه كان تلقى تدريبات على أعمال إرهابية في معسكرات تابعة لـ «القاعدة» في أفغانستان وأعطي بعدها تعليمات بالذهاب إلى الخارج وقتل مدنيين وعسكريين أمريكيين.

56 ـ في 3 كانون الثاني/يناير 2000، حاولت مجموعة من أعضاء «القاعدة»، وإرهابيين آخرين كانوا تدربوا في معسكرات لـ «القاعدة» في أفغانستان، أن تهاجم

مدمرة أمريكية بقارب صغير محمل بالمتفجرات. وغرق قاربهم مما أدى إلى فشل الإعتداء.

57 . لكن في 12 تشرين الأول/أوكتوبر 2000، تعرضت المدمرة الأميركية «يو. إس . إس . كول» إلى هجوم بواسطة قارب محمل بالمتفجرات بينما كانت تتزود بالوقود في ميناء عدن. وقتل 17 من طاقم المدمرة وأصيب 40 آخرون بجروح.

58 . تلقى أفراد عدة من منفذي الهجوم على «كول» (غالبيتهم من اليمنيين والسعوديين) التدريب في معسكرات أسامة بن لادن في أفغانستان. وشخص العوهلي هوية قائدي الهجوم على «كول» باعتبارهما من بين المشاركين في التخطيط والإعداد لعمليتي تفجير السفارتين في شرق أفريقيا.

59 . في الأشهر التي سبقت اعتداءات 11 أيلول/سبتمبر، وزعت أشرطة فيديو دعائية في أنحاء الشرق الأوسط والعالم الإسلامي من قبل «القاعدة»، ويظهر أسامة بن لادن وآخرون وهم يشجعون المسلمين على مهاجمة أهداف أمريكية ويهودية.

60 . ووزعت أشرطة فيديو أخرى، تمجد العنف ضد الولايات المتحدة وأهداف أخرى، قبل الهجمات على السفارتين في شرق أفريقيا في آب/أغسطس 1998.

أسامة بن لادن واعتداءات 11 أيلول/سبتمبر:

61 . تم التعرف على هويات الخاطفين الـ 19 من لوائح الركاب في الطائرات الأربع التي خطفت في 11 أيلول/سبتمبر 2001. وكان جرى التعرف بالفعل على مالايقل عن ثلاثة منهم على نحو مؤكد كعناصر مرتبطين بـ «القاعدة». وكشف أن أحدهم لعب دورا رئيسيا في عمليتي تفجير السفارتين في شرق أفريقيا وكذلك الإعتداء على المدمرة «كول». وتستمر التحقيقات في خلفيات كل الخاطفين.

62 . واستنادا إلى مصادر استخبارية، تم التوصل إلى الحقائق التالية في أعقاب 11 أيلول/سبتمبر. ولاعتبارات استخبارية لن تذكر أسماء هذه العناصر رغم أنها معروفة:

× في الفترة التي سبقت 11 أيلول/سبتمبر، كان بن لادن يشن حملة إعلامية منسقة وسط تجمعات ذات أفكار متماثلة . من ضمنها أشرطة فيديو ووثائق . تبرر الهجمات على أهداف يهودية وأمريكية، وتدعي أن أولئك الذين ماتوا في مجرى تنفيذها كانوا ينفذون مشيئة الله.

× علمنا، في وقت لاحق بعد 11 أيلول/سبتمبر، أن ابن لادن نفسه أكد قبل وقت قصير من 11 أيلول/سبتمبر أنه كان يعد لاعتداء كبير على أمريكا.

× في آب/أغسطس وبداية أيلول/سبتمبر، جرى تحذير مساعدين على صلة وثيقة بابن لادن بأن يعودوا إلى أفغانستان من مناطق أخرى في العالم بحلول 10 أيلول/سبتمبر.

× قبل 11 أيلول/سبتمبر مباشرة ، كان بعض مساعدي ابن لادن المعروفين يشيرون إلى أن موعد التحرك سيكون يوم 11 أيلول/سبتمبر أو حوالي هذا التاريخ.

× منذ 11 أيلول/سبتمبر، علمنا أن واحداً من أقرب وأكبر مساعدي ابن لادن كان مسؤولاً عن التخطيط التفصيلي للهجمات.

× توجد أدلة ذات طبيعة بالغة الدقة تتعلق بمسؤولية ابن لادن، لكن يتعذر نشرها لأنها حساسة جداً.

63 ـ مايزال ابن لادن الشخص المسؤول والعقل الموجه لتنظيم «القاعدة». وفي «القاعدة»، تقتضي عملية بمستوى اعتداءات 11 أيلول/سبتمبر الحصول على موافقة أسامة بن لادن ذاته.

64 ـ كانت طريقة تنفيذ عملية 11 أيلول/سبتمبر منسجمة كلياً مع هجمات سابقة. ويمتاز سجل المذابح التي ارتكبتها «القاعدة» بتخطيط دقيق بعيد المدى، ورغبة في إنزال عدد ضخم من الإصابات، وباستخدام منفذين انتحاريين، وتنفيذ اعتداءات متعددة متزامنة.

65 ـ اعتداءات 11 أيلول/سبتمبر 2001 متوافقة كلياً مع حجم ومستوى تعقيد التخطيط الذي انطوت عليه الاعتداءات على السفارتين في شرق أفريقيا والمدمرة «كول»، ولم يعط أي تحذير مسبق لهذه الاعتداءات الثلاثة، مثلما كان الحال أيضاً في 11 أيلول/سبتمبر.

66 ـ وصف أعضاء «القاعدة»، في الأدلة التي قدمت خلال جلسات المحاكمة المتعلقة بتفجير السفارتين في شرق أفريقيا، كيف تقضي الجماعة سنوات في الإعداد لهجوم. فهم ينفذون عمليات رصد متكررة، ويجمعون المواد بأناة، ويشخصون ويتفحصون الأعضاء الذين يملكون المهارات المطلوبة للمشاركة في الإعتداء والاستعداد للموت من أجل قضيتهم.

67 ـ التحق المشاركون في تنفيذ مذابح 11 أيلول/سبتمبر بكليات لتعليم الطيران، واستخدموا أجهزة لدراسة معدات قيادة طائرات أكبر حجماً، وأخضعوا مطارات وخطوط طيران محتملة للمراقبة.

68 ـ امتازت الهجمات التي نفذها تنظيم «القاعدة»، بتجاهل تام لأرواح الأبرياء، بما فيهم المسلمين. وفي مقابلة أجريت مع أسامة بن لادن بعد عمليتي التفجير في شرق أفريقيا، أصر على أن الحاجة لمهاجمة الولايات المتحدة تبرر قتل مدنيين أبرياء آخرين، مسلمين وغير مسلمين على حد سواء.

69 ـ لايملك أي تنظيم آخر الدافع والقدرة على السواء لتنفيذ اعتداءات كتلك التي وقعت في 11 أيلول/سبتمبر ـ سوى شبكة «القاعدة» بقيادة أسامة بن لادن.

خاتمة:

70 . خططت اعتداءات 11 أيلول/سبتمبر 2001 ونفذت من قبل «القاعدة»، وهو تنظيم يرأسه أسامة بن لادن. هذا التنظيم لديه الإرادة والموارد لتنفيذ اعتداءات مماثلة أخرى. وتمثل الولايات المتحدة وأقرب حلفائها أهدافاً لمثل هذه الإعتداءات. ولم يكن للإعتداء أن يقع لولا التحالف بين «طالبان» وأسامة بن لادن، الذي سمح لبن لادن أن ينشط بحرية في أفغانستان، ليروج ويخطط وينفذ نشاطاً إرهابياً.

الملحق رقم (11)

وقت مواجهة مكة

بقلم الكاتب الصهيوني: ريوفن كورت

(ترجمة حرفية عن مجلة «إسرائيل من الداخل» Israel Insider «آراء» Views

وكاتب المقال هو ريوفن كورت Reuven Koret المدير الناشر للمجلة.

موقع المجلة على الإنترنت هو /http:// WWW. israelinsider. Com

14 أيلول/ سبتمبر 2001

إن تحطيم مركز التجارة العالمي والهجوم على البنتاغون . رمزا القوة الاقتصادية والعسكرية الأمريكية . لهو عمل لا يضاهيه شيء في البشاعة. والأخطر من ذلك أنه سيصبح سابقة وإلهاماً للمعتدين في المستقبل.

فخلال شهور أو أعوام معدودة . إن لم يكن الآن . سيكون في حوزة الدول الإسلامية الأصولية وجماعات الرعب سلاح نووي تستكمل به مخزوناتها الحالية من السلاح الكيميائي والبيولوجي. وكما دلت عليه الفضاعة في عملية نيويورك، فإن هؤلاء لن يترددوا في اتخاذ أسلوب الإبادة الجماعية سياسةً لهم.

إن منظر ركاب الطائرات وهم يرغمون على رمي أدوات حلاقتهم، ومنظر أعضاء الكونغرس أثناء إخلاء مبنى «الكابيتول» منهم، ومنظر الرئيس ونائب الرئيس وقد هُرع بهما إلى الملاجيء. كل هذا يكفي في بشاعته. لكن مرأى جو الرعب هذا مستمراً. هو أمر لا يمكن تحمله على الإطلاق. ويقتضي ذلك تبني استراتيجية ردع جديدة محسوبة، توقف زخم الإسلام الراديكالي الذي يهدد العالم الحر. لقد أعلن الإسلاميون المتعصبون الجهاد . الحرب المقدسة . ضد الغرب، ولابد من رد مباشر ومناسب.

لقد اختار أعداء الحضارة الغربية مركز التجارة العالمي والبنتاغون نظراً لأهميتهما كرمزين في مجتمعنا. فكان الهدف من تدميرهما هو إيجاد خواء سلبي في نفوس الأمريكيين وكل المؤمنين بالديمقراطية، وتقويض ثقتنا في قوتنا. وسيكون في اللائحة مستقبلاً . لو أتيح للجهاديين الاستمرار في مسارهم . البيت الأبيض، وتمثال الحرية، وجسر البوابة الذهبية، وساعة «بيغ بن» وبرج«إيفل» ، والكرملين. فكل هذه في خطر دائم كما يعرف الجميع ، وقد انفتحت شهية أتباع الإسلام الراديكالي، ووجدوا إلهاماً فيما حدث.

كنت كتبت من قبل أن أحد الردود الممكنة على العمليات(الانتحارية) التي يرى صاحبها في عمله القاتل تضحية متوحشة، تضمن له مكاناً في الفردوس مع اثنتين وسبعين من الحور العين والأبكار.. هي الإعلان الجاد أن *كل من يرتكب ذلك سيتم وضع اشلائه في جلد خنزير إلى الأبد، لكي يحرمه ذلك من تحقيق رغباته في الحياة الآخرة*. وربما تبدو هذه الفكرة بدائية وغير عقلانية بالنسبة للقارىء الغربي، لكنها تناسب نظام القيم المختل الذي يؤمن الجهاديون بقداسته.

في مكة يوجد برجان طويلان، في شكل منارتين شامختين تحيطان بعلبة سوداء عريضة، يعبدها المؤمنون ويتجهون إليها في حجهم المقدس. وإلى هذا الشيء الرمزي يتجه كل المسلمون في صلواتهم.

لنكن واضحين: لا ينبغي عتاب كل المسلمين على الشرور الذي يرتكبها بعض المنتمين إلى ديانتهم. فالأغلبية الساحقة من المسلمين بشر يعيشون حياة عادية لا تعصب فيها، كل همهم هو تنشئة أولادهم والقيام بأعمالهم. لكن دينهم ومؤسساتهم في أمريكا وفي كل أرجاء العالم تركا ليصبحا مصدراً لتفريخ التعصب والحقد الذي يهدد الآن مصير العالم أجمع، وخصوصاً الولايات المتحدة (الشيطان الأكبر) وإسرائيل (الشيطان الأصغر).

إن الأمريكيين مثل الإسرائيليين يتميزون من بين الأمم باحترامهم للحياة البشرية البريئة. وهم لا يستهدفون المدنيين عن قصد وإصرار، وإذا تضرر المدنيون عن غير قصد بسبب العمليات العسكرية، يأسفوا على ذلك بصدق. ولا بد أن تلتزم سياسة الردع التي تتبناها الديمقراطيات المتحضرة بهذا المبدأ بصرامة. وإلا فإننا سننزل إلى المستوى المنحط لأعدائنا المعلنين، الذين يتخذون من قبل المدنيين أهم وسيلة لخدمة سياساتهم.

لكن العالم الغربي يتعين عليه حماية شعوبه قبل أي شيء آخر، وهو ما يعني إيجاد سياسة ردع تجعل منفذي العمليات الانتحارية والمخططين لها يفكرون جيداً قبل الإقدام عليها. وفي كل الأحوال فإن الجهاديين برهنوا على عدم اهتمامهم بالحياة البشرية، بل واتخاذهم من الشهادة مثلاً أعلى.

لا بد أن يعلم الجهاديون بشكل لالبس فيه . سواء بالإعلان الصريح أو من خلال القنوات الخاصة . أن أي اعتداء قادم على هدف غربي سيكون الرد عليه ضربة مباشرة ومدمرة ضد واحد من رموز الإسلام الأساسية. وليس من الواضح ما إذا كانت مثل هذه الضربة القاضية مطلوبة الآن، ردا على الاعتداء على نيويورك وواشنطن.

وتوجد سابقة لهذا في الحرب العالمية الثانية، أدت إلى إغلاق ملف الصراع الذي بدأ بالهجوم التسللي الفظيع على «بيرل هاربر». وقد تم إنذار اليابانيين حول القنبلة

النووية قبل إلقائها على «هيروشيما وناكازاكي»، فلم يأخذوا الإنذار مأخذ الجد. وحينما نفذت أمريكا تهديدها انتهت الحرب خلال أيام معدودة.

لا أحد يشك في أن هدم واحد من الرموز المقدسة في الإسلام - حتى مع عدم الإضرار بأي مدني - سيحول العالم الإسلامي إلى حالة من الجنون والسعار المعادي للغرب. لكن هل يمكن التساهل مع عملية إبادة أخرى ضد الغرب؟؟

لندعو جميعنا أن تبقى الأماكن الإسلامية المقدسة في خدمة المؤمنين المسالمين الذين يعبدون الله فيها، لكن إذا تجرأ الجهاديون على ارتكاب مذبحة أخرى ضد الغربيين، وضد رموز الحضارة الغربية، فلا بد من إقناعهم بشكل لا لبس فيه أنهم لن يجدوا قبلة يتجهون إليها حينما يحنون ظهورهم لعبادة إله 'الخراب' الذى يعبدونه.

إننا لا نستطيع الانحناء والقبول بإهانة ومذلة أخرى، ولا نستطيع القبول بخسارة كبرى في الأرواح مثل التي حدثت، ولا نستطيع الاكتفاء بمجرد الصلوات والدعوات أن تُذهب عنا هذه المشكلة بعيداً، ولا نستطيع الاقتناع بأن حلها سيكون بضربات تقليدية على أهداف عسكرية، أو باللعبة الدبلوماسية المعتادة..

لا بد أن يتجه الغرب الآن إلى مكة، ويتعامل بشكل مباشر مع التهديد الذي أرغمنا رجال الجهاد الجبناء على مواجهته، ويتحدث إلى القتلة باللغة الوحيدة التي يفهمونها.

الملحق رقم (12)

رسالة المثقفين العرب إلى العالم، بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر

عمرو موسى : الأجندة السياسية العربية

بعد 11 أيلول/سبتمبر وجد العالم العربي نفسه متهماً. أدرج اسمه في صدارة لائحة المتهمين بممارسة الإرهاب أو احتضانه.أو تغذيته. وتزايد الانطباع بأن العرب يؤمنون بتوظيف العنف في العلاقات الدولية. أحدثت الهجمات التي شنت في ذلك اليوم والتي تسببت في سقوط عدد كبير من الأبرياء حالةً من الغضب الشديد.

وفي مثل هذه الأحوال تنجح الانفعالات في القفز إلى الصدارة. وأدى الكشف عن ضلوع شبان عرب في الهجمات إلى توجيه اصبع الاتهام إلى العالم العربي وبلغ الأمر إلى حد قيام أحد رؤسا ء حكومات دولة غربية بوصم الحضارة العربية والثقافة العربية بالتخلف معتبراً أن الحضارة الغربية التي هزمت الشيوعية يمكنها أن تهزم الحضارة الإسلامية.

تحرك العالم الغربي تحت وطأة الصدمة . تصاعدت شكوكه إزاء العالم العربي، وكذلك إزاء العرب المقيمين في دوله . حال الريبة هذه جعلت كل عربي أو مسلم متهماً أو مشروع متهم، وحرصت الجهات المعادية أصلاً للعرب على توظيف هذا المناخ لإحداث شرخ في العلاقات بين الغرب والعالم العربي وفي المقابل تنامت مشاعر الإحباط والغضب لدى العرب خصوصاً أن الحكومات والقيادات سارعت إلى إدانة هجمات 11 أيلولسبتمبر، وبالتالي فإن تحميل شعوب مسؤولية ما ارتكبته حفنة متطرفة بدا ظالماً ومتسرعاً.

غيرت أحداث ذلك العام الأولويات الأمريكية والغربية. وظهر أن الأجندة السياسية للعالم الغربي سيحتلها في الشهور والسنوات القادمة بند وحيد هو مكافحة الإرهاب . هذا المناخ دفعني إلى التحرك سريعاً خلال اتصالات مع الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي وروسيا واليابان.

طرحت في هذه الاتصالات أجندة سياسية من ثلاثة بنود هي: النزاع العربي- الإسرائيلي خصوصاً في شقه الفلسطيني ، وما يتعلق بصراع الحضارات أو الحوار بينها.

هذه الأجندة المكونة من ثلاثة بنود تتسم بالأهمية والأولوية نفسها ولا يعلو فيها موضوع على الموضوعين الآخرين ، وبدأنا العمل عليها جدياً. وبموافقة عربية جماعية دعونا إلى عقد مؤتمر ضم مئة من المثقفين والمفكرين العرب مثلت فيه كل دولة عربية وحضره ممثلون عن الجاليات العربية في الولايات المتحدة الأمريكية والأرجنتين وفرنسا وبلجيكا وغيرها .ناقشنا الأمر مناقشة مستفيضة ، وكان واضحاً الشعور العام بأننا جميعاً في قارب واحد ، وأننا جميعاً متهمون وأننا في الوقت نفسه أبرياء ، وأننا لن نقبل أن نعامل كمواطنين من الدرجة الثانية في العالم الجديد، وأننا يجب أن نقاوم ونرتفع إلى مستوى الأحداث، ونقارع الحجة بالحجة والرأي بالرأي ، وأننا سنعمل وفق الأجندة التي نقترحها ولن نعمل على أساس أجندة أخرى .

والإصرار على الأجندة التي نطرحها يجب أن لا يدفع البعض إلى اعتقاد بأننا معزولون أو أننا في جانب والعالم كله في جانب آخر. أود القول أن كثيرين في العالم الغربي وفي مختلف دول وقارات العالم يتفهمون وجهة نظرنا ، بل ويشاركون موقفنا سواء ما يتعلق بالقضية الفلسطينية أو في إدانة هذا الميل نحو العنصرية وعدم التسامح الديني والذي تجلى في الممارسات التي أشرت إليها . ومن ثم ينبغي أن نؤكد ايضاً أن ما عبرت عنه حول الهجمة التشويهية في العالم الغربي ضدنا بأنها لا تصدر عن الغرب كله ولكن من تيارات بعينها تهدف إلى دق إسفين تاريخي في العلاقات بين العرب والقوى الفاعلة في العالم ، وإلى أن تشعر العرب بالذنب. ونحن كعرب لا نرى أن هناك مايستدعي بأن نشعر بالذنب ، فالذنب في الواقع هو ذنب غيرنا، ذنب هؤلاء الذين يعملون على فرض الهيمنة الإسرائيلية على العرب، وعلى إعاقة حل المشكلة العربية . الإسرائيلية بإبقاء الاحتلال العسكري للأراضي العربية، ثم إلقاء الاتهامات جزافاً ضدهم . إننا من منطلق ثقتنا بأنفسنا الثابتة الجذور لن نخضع لسياسة الابتزاز هذه ويجب ألا نخضع .

وعودة إلى الأجندة السياسية الثلاثية التي اشرت إليها آنفاً، فهي لن تكون الوحيدة التي سنعمل على أساسها وإنما سنستمر في العمل على إعادة هيكلة منظومة العمل العربي من أجل تفعيل التعاون الاقتصادي والدفع بالتنمية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للعالم العربي ، وسوف نعمل على طرح أفكار اجتماعية جديدة تتعلق بالمرأة والطفل والمجتمع ، بالإضافة إلى مد أيدينا لنضعها في يد كل من يحاول إقرار السلام العادل على المستويين العالمي والإقليمي لنساهم في إقامة عالم جديد يراعي مصالح الجميع ، كما سنعمل على دفع المسيرة العربية النشطة حالياً نحو إرساء مبادىء الديموقراطية الحقة واحترام حقوق الانسان.

وأنا من المؤمنين بأن العرب مؤهلين لهذا العمل وأن المجتمعات العربية كلها تتطلع إلى مستقبل من العمل المشترك في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية

والاجتماعية ، والتحرك نحو المساهمة في التقدم العلمي وتحقيق قفزات تكنولوجية والانضواء في القرن الواحد والعشرين . وأعتقد أن العرب لديهم من القدرات والعلاقات الدولية ما يؤمن لهم ذلك ، بالإضافة إلى المصالح المشتركة الإقليمية والدولية الكثيرة ، هذا كله مع الحفاظ على الهوية وصيانة ثقافتنا ومعتقداتنا وأسلوب حياتنا .

وضعت أحداث 11 أيلول/سبتمبر العالم العربي في موقف صعب ، لكن العرب يملكون في اعتقادي مفاتيح الخروج من هذا الموقف . ورحلة الخروج تبدأ بمعرفة مكامن القوة لدينا ونقاط الضعف ، كما تبدأ بالتمسك بالحقوق مع ممارسة أقصى درجات المسؤولية ، فصعوبة الحاضر لا تعفي من واجب المشاركة في صناعة المستقبل وموقعنا فيه .

الملحق (13)

رسالة وجهها 60 مفكراً ومثقفاً أمريكياً إلى العالم بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001 (مع الاختصار):

(من الموقعين على البيان: صموئيل هنتغتون، فرانسيس فوكوياما، دانييل باتريك مونمهان، جين بتكي ألشتين، مايكل وايلز).

«...إن القتل باسم الله مخالف للإيمان بالله.. وإن ذكر الله لقتل بشر أبرياء أمر لا أخلاقي ومخالف للإيمان...لا يجوز ادخال الله في خدمة أغراض سياسية مباشرة...إن الولايات المتحدة ارتكبت أخطاء وبعض القيم الأمريكية ليست مثالاً يُحتذى، كالنزعة الاستهلاكية والحرية الشخصية غير المحدودة وتحلل العائلة، وأنه من حق شعوب وحضارات أخرى أن ترفضها وأن تتمسك بقيمها وتقاليدها، ولكن هذا لا يُشكل سبباً لقتل أبرياء. لكن هذه القيم المأخذ علينا ليست هي القيم الوحيدة في الولايات المتحدة، بل هنالك قيم أخرى إلى جانبها، كالحرية والديمقراطية والمساواة والعدالة، وهذه ليست قيماً أمريكية بل عالمية، بل هي تراث عالمي قديم، شاركت به البشرية جمعاء، ومنها الحضارة الإسلامية، وفي بلورته وتطوره نحو ما وصل إليه اليوم...لقد عرف الغرب حروباً 'مقدسة' و'باسم الدين'..إن الدين والمؤسسات الدينية حملت خيراً كثيراً للبشرية، وقادت أحياناً إلى حروب.. إن العلمانية التي تُطبق في الولايات المتحدة، أو فصل الدين عن الدولة،لم تؤد إلى الكفر والالحاد، بل إن حرية العبادة مضمونة، والدولة لا تتدخل في أمور الدين ورجال الدين، ولا تحارب أي دين..إن إشكالية الحقيقة الدينية والحرية الدينية لم تُحل بعد، ولكن التسامح واحترام حق الآخرين في معتقدهم هو الحل الوحيد اليوم. وعلينا أن نُعمق معرفتنا بالدين الذي نتبعه وبالأديان الأخرى. وأن نعترف بأن الحرية الدينية هي حق أساسي لكل الشعوب...إن الحرب هي نتيجة فشل السياسة في حل الخلافات والمشاكل بين الدول والبشر..إن الفرق بين الخير والشر ليس فرقاً بين الأديان، لأن كل الأديان، لاسيما السماوية تدعو إلى المودة والسلام.. إن الحرب مسموح بها إذا كانت أخلاقياً ضرورية، وتُصبح ضرورية إذا جاءت للرد على العدوان والعنف والحقد والظلم وللدفاع عن أبرياء...ولن تكون الحرب عادلة إذا كانت الأخطار ضئيلة وغير محدقة وقابلة للحل

بالحوار...ولكي تكون الحرب عادلة* يجب أن تعلن وتُقاد من قبل سلطة شرعية وضد جنود، لا ضد أبرياء عزل ومدنيين، ولا من قبل أفراد.-لأن العنف الفردي والمجاني غير مقبول أخلاقياً...أيها المسلمون: نحن لسنا أعداؤكم، بل أمامنا طريق مشترك. وكما أن لكم الحق بحياة جميلة، لنا نحن أيضاً الحق بحياة جميلة. إننا نعرف أن قسماً منكم لا يثق بنا ونحن مسؤولون عن ذلك، ولكن يجب أن لا نكون أعداء، بل أن نعمل معاً لبناء عالم جديد وسلام عادل وشامل.

* هنا طبعاً، يستخدم هؤلاء المفكرون لغة مواربة ودقيقة، من حيث الانشاء، لكي لا يُفهم من كلامهم، لا من قريب أو من بعيد، ما من شأنه الإشارة ولو تلميحاً إلى دولة إسرائيل. ومن جهة أخرى فالنص يتحمل التفسير الذي يقول أو يتقارب ولو قليلاً من اتهام الإنتفاضة الفلسطينية بتعبراتها السياسية والعسكرية بالارهاب.

الملحق رقم (14)

نماذج من آراء المثقفين الغربيين والعالميين حول أحداث 11 آيلول/سبتمبر وتداعياتها:

هوامش على دفتر الانفجارات الأخيرة:

نورمان فنكلستين*

كثير من الحاضرين في هذه القاعة لن يحبوا ما آنا على وشك قوله. ولكن المخاطر المحدقة أعظم من أن نقتصر على الأكاذيب. فالآن، أكثر من أي وقت مضى، علينا أن نقول الحقيقة (كما نفهمها نحن) بغض النظر عن تبعات ذلك.

الجواب السهل عما حدث يوم الثلاثاء هو أن نكتفي بهز رؤوسنا غير مصدقين ما ارتكبه أولئك المجانين. المعتوهون. المتعصبون. الأصوليون الشرق أوسطيون. العرب. المسلمون. إلى ماهنالك من نعوت، وأن نختزلهم بوصفهم جنساً مختلفاً عن جنسنا نحن، بل أن نقول إنهم أدنى من جنسنا بعدة درّجات. ولكن رداً أصعب إنما يتمثل في أن نعترف بالإنسان داخل هؤلاء الناس، وأن نقر معاناتهم والمهانة التي يقاسونها. غير أن الرد الأقسى هو أن ننظر نظرة فاحصة إلى أنفسنا، وإلى مسؤوليتنا عن عذابهم.

إن حكومة الولايات المتحدة، وهي حكومة نتحمل كلنا مسؤولية أعمالها، تسبب البؤس والرعب، مباشرة وبصورة غير مباشرة، لأعداد ضخمة من البشر. والبؤس والرعب، سواءً أكانا ماثلين في التدمير المنهجي للبنان عام1982 آم في العراق عام 1991 آم في صربيا مؤخراً، يتسمان بالنسبة إلى معظمنا بواقعية ألعاب الفيديو. ففي هذه البلدان كان ثمة قتل جماعي دونما تبعات تسببه الأمريكان. لقد كان الأمر مسلياً لنا إلى حد كبير. ولكننا الآن نحصد الزوبعة المروعة التي زرعناها.

لقد نظرت الولايات المتحدة بارتياح وإعجاب إلى منزلتها الجديدة كقوة عظمى لا شريك لها. وراحت تتصرف بغرور وتيه يأخذان بالأنفاس: فرفضت مؤخراً محكمة دولية لجرائم الحرب، ورفضت اتفاقاً على وقف الحرب الجرثومية، وانسحبت من

---

* هوامش أدلى بها هذا المثقف التقدمي الأمريكي بعد يومين فقط من وقوع أحداث 11 ايلول/سبتمبر، وذلك في جامعة ديبول في شيكاغو. وفنكلستين صاحب كتب عدة أشهرها صناعة الهولوكوست الذي صدر منذ اشهر عن دار الآداب.

معاهدة كيوتو ومن مؤتمر دوربان، وسعت إلى تفكيك معاهدة الصواريخ الباليستية المضادة، وهلمجرا. واللائحة طويلة. والافتراض حتى الآن هو ما هو الثمن الذي ينبغي للولايات المتحدة أن تدفعه مقابل كونها قوة عظمى لاشريك لها: بل إن بإمكانها أن تفعل ماتشاء، وبحصانة تامة. ولكن يبدو أن على واشنطن أن تعيد الآن التفكير في هذا الافتراض.

غير أن الانخراط في التفكير الجدي والصعب يجب ألا يقتصر على قادتنا في واشنطن، وإنما على كل واحد منا في هذه القاعة أن يفكر ملياً في حياتنا. فالحق أن معظمنا تصرف وكأن لا عالم موجوداً خارج الولايات المتحدة، ولسان حالنا أنه إذا كان كل الآخرين يريدون أن يكونوا مثلنا فلا ينبغي أن نعرف أو أن نهتم ببلدان العالم من حولنا إلا لتمضية عطلة محتملة فيها. لم نبال بقراءة الجرائد. وبالتأكيد لم نضيع وقتنا في تعلم لغات أجنبية، ولسان حالنا يقول: ألا يتحدث كل إنسان في العالم اللغة الإنكليزية؟! (وحدها الدولة المسممة بداء الغرور المفرط تستطيع أن تنتج حركة جاهلة عنيدة لاتسمى »الإنكليزية أولاً»، على ما في ذلك من جهل وعناد، بل «الإنكليزية فقط!»). ما لدينا من المشاكل كان أعظم من أن يدفعنا إلى الاهتمام بمشاكلهم «هم». ولكن، يوم الثلاثاء، انهار العالم على رؤوسنا. وعلينا الآن أن نهتم بمشاكل «هم» وإلا... بل إن علينا ألا نقوم بذلك وكأنه فعل خيري، وإنما بوصفه ضرورة لبقائنا على قيد الحياة.

إنه ليبدو لي حقاً أننا نحتاج إلى أن نسأل أصعب الأسئلة عن أنفسنا. أليس ثمة ظلم أساسي في وجود حفنة قليلة من الناس، منتفخين بالمال حتى حافة الانفجار، وفي مقابلهم قسم عظيم من البشر يعيش عيشة الكلاب؟ وواقع الأمر أن هذا التشبيه ليس صحيحاً تماماً، لأن الكلاب في الولايات المتحدة تحظى عادة باهتمام ورعاية يفوقان ماحظي به نصف مليون طفل عراقي (أو نحو ذلك) ماتوا نتيجة العقوبات الأمريكية!.

ليس ثمة من جواب سهل عما جرى يوم الثلاثاء. حين فجر أول جهاز نووي كان أينشتاين هو من قال. إن لم أكن مخطئاً. إن كل شيء قد تغير إلا طريقة تفكير الإنسان.

إن الأمل الوحيد المتبقي لدينا، بعد أهوال الثلاثاء الماضي، هو أن تتغير طريقة تفكيرنا أيضاً.

نهاية «نهاية التاريخ»

جان بريكمون*

«إنه لخيار قاس جداً، ولكننا نعتقد أن الأمر يستحق ذلك.»

---

* بريكمون أستاذ الفيزياء النظرية في جامعة لوفان في بلجيكا.

. مؤتمر دوربان: الغرب يرفض أدنى تفكير في تقديم تعويضات لضحايا العبودية والاستعمار. ولكن أليس واضحاً أن دولة إسرائيل تمثل شكلاً من أشكال التعويض الغربي عن حملات الاضطهاد المعادية للسامية، سوى أن من يدفع ثمن الجرائم التي ارتكبها الأوروبيون إنما هم الفلسطينيون العرب؟ أوليس بيناً أن إزاحة المسؤولية هنا لابد أن يَعُدها ضحايا الاستعمار شكلاً من أشكال العنصرية؟

. أفغانستان: لقد تنوسي بسرعة أن أسامة بن لادن كان قد دُرِّب وسُلِّح من طرف الأمريكان، الذين يجهرون بالاعتراف بأنهم كانوا يستخدمون أفغانستان لزعزعة الاتحاد السوفياتي حتى قبل غزو هذا الأخير ذلك البلد. كم شخصاً مات في تلك اللعبة التي دعاها زبيغنيو بريزنسكي، مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر، «رقعة الشطرنج العظمى؟» وكم إرهابياً في آسيا، أوفي أميركا الوسطى، أو في البلقان، أو في الشرق الأوسط تُركوا ليَعدُوا مُنفلتي السرّاح بعد أن استخدمهم «العالم الحر؟»

. العراق: عشر سنوات وشعب هذا البلد يختنق نتيجة لحصار سبب مئات آلاف القتلى من المدنيين. وكل هذا لأن العراق حاول أن يستعيد ما اعتبره آبار نفطه التي كان البريطانيون قد صادروها منه بقوة الأمر الواقع. فلنقارن ذلك فقط بالمعاملة التي حظيت بها إسرائيل بعد احتلالها المناقض للشرعية الدولية مناقضة تامة عام 1967، أمِن المحتمل حقاً أن يتفهم العالم العربي الإسلامي المقولة التي يقبلها الغرب إجمالاً، ومؤداها أن على صدام حسين أن يلام على كل شيء؟

فليس هناك من فائدة ترجى من التصدي للعصيان نفسه. بل إن مايجب أن يتم التصدي له هو المعاناة التي تسبب العصيان. ذلك لأن التصدي للعصيان لا للمعاناة سيؤدي إلى نتيجتين سياسيتين سلبيتين على الأقل. فالجمهور الأمريكي، أولاً، وهو جمهور غارق في المشاعر القومية (الضيقة) على نحو مقلق، سيسارع إلى الالتفاف من حول «العَلَم» (كما يقولون) داعماً حكومته أياً كانت بربرية سياساتها. وسيكون الأمريكيون أشد عزماً من أي زمن مضى على «حماية طريقة عيشنا»، دون أن يسألوا عن الثمن الذي ستدفعه بقية البشر على هذا الكوكب. وستهمش الحركات الخجولة (المناهضة للعولمة) التي انبثقت بعد سياتل، إن لم تجرم.

وفي المقابل، سيزين للملايين ممن هزمتهم الولايات المتحدة وأذلتهم وسحقتهم، هي والعالم الذي تهيمن عليه، أن يَرَوا إلى الإرهاب سلاحاً أوحد قادراً حقاً على ضرب الإمبراطورية الأمريكية. ولهذا فإن نضالاً سياسياً حقيقياً ـ لاعنفاً ـ ضد الهيمنة التي تمارسها ثقافياً واقتصادياً، وعسكرياً قبل كل شيء آخر، أقلية ضئيلة على الغالبية الساحقة من البشر، إنما هو أمر أكثر ضرورة من أي زمن مضى.

حوار مع نعوم تشومسكي:

أجراه: دايفيد برسميان

تبين أن الإعلام يفتقر بوضوح إلى توفير سياق وخلفية للاعتداءات على واشنطن ونيويورك. فما هي بعض المعلومات المفيدة التي تستطيع أن توفرها أنت؟

هناك فئتان من المعلومات المفيدة بشكل خاص، لأن ثمة في الحقيقة مصدرين للاعتداءات. فلنفترض أن هذه الأخيرة كانت مرتبطة في أصولها بشبكة بن لادن. ففي هذه الحال نكون إزاء فئتين: الأولى هي شبكة بن لادن. والثانية هي الناس في تلك المنطقة من العالم. وهاتان فئتان منفصلتان، برغم وجود الروابط بينهما. مايجب أن يكون في واجهة النقاش هو الفئتان معاً. بالنسبة إلى شبكة بن لادن أشك أن أحداً يعرفها أفضل من المخابرات المركزية الأمريكية لأنها كانت ذات أثر كبير في تشكيلها أصلاً. فهي شبكة بدأت عام 1979 إن أنت صدقت زبيغنيو بريزنسكي. فقد قال، وربما كان يتباهى فقط، إنه في ذلك العام حرض على تقديم دعم سري «للمجاهدين» الذين كانوا يحاربون حكومة أفغانستان في محاولة لجر الروس إلى ماسماه «الفخ الأفغاني» . وهذا تعبير جدير بالتذكر. وهو فخور جداً بأنهم وقعوا حقاً في الفخ الأفغاني بإرسالهم قوات عسكرية لفرط الحكومة بعد ستة شهور، وكانت نتيجة ذلك الغزو معروفة. لقد قامت الولايات المتحدة، ومصر، والمخابرات الفرنسية قلباً وقالباً، والسعودية تمويلاً، وإسرائيل ضلوعاً، بتنظيم جيش ضخم من المرتزقة، يقدر بحوالي 50 ألفاً، وجمّعوهم من أكثر الفئات التي وجدوها قتالية، وحدث أن كان هؤلاء من الإسلاميين الراديكاليين، الذين سميناهم هنا «الأصوليين الإسلاميين»، وجاءوا بهم من كل أنحاء العالم، ومعظمهم من خارج أفغانستان. اسمهم «الأفغان» ولكنهم - شأنهم شأن بن لادن - ليسوا من أفغانستان.

بحلول عام 1989 حين نجحت هذه الشبكات في حربها المقدسة في أفغانستان قالت لنا بكل صراحة إنه ما إن تبني الولايات المتحدة قاعدة عسكرية دائمة في السعودية فستعتبر هذا شبيهاً بالاحتلال الروسي لأفغانستان. ثم أدارت تلك الشبكات بنادقها باتجاه الأمريكان، كما سبق أن فعلت عام 1983 في لبنان. فهذه الشبكات تعتبر السعودية عدواً أساسياً، وكذلك الأمر بالنسبة إلى مصر. وهي تريد الإطاحة بما تعتبره حكومات معادية للإسلام في كلا البلدين، وفي غيرهما من البلدان في الشرق الأوسط وشمالي أفريقيا. وفي عام 1987 قتلت تلك الشبكات حوالي 60 سائحاً في مصر، ودمرت قسماً كبيراً من السياحة المصرية. ثم واصلت نشاطاتها المسلحة في المنطقة بأسرها، في شمالي أفريقيا وشرقها وفي الشرق الأوسط، طوال سنوات.

هذه فئة أولى، وهي ثمرة للحروب الأمريكية في الثمانينات، بل قبل ذلك الوقت، إن نحن صدقنا بريزنسكي، أي حين نصب (الأمريكان) «الفخ الأفغاني» للروس. وسنتحدث مطولاً عن هذه الشبكة، ولكنها فئة واحدة فحسب مما يجدر الحديث عنه.

وأما الفئة الثانية فهي الناس الذين يعيشون في تلك المنطقة من العالم. والفئتان مرتبطتان بالطبع، فشبكة بن لادن والشبكات الشبيهة الأخرى تستقي دعمها من يأس الناس في تلك المنطقة ومن غضبهم ومن استيائهم. وهؤلاء الناس فيهم الغني وفيهم الفقير. نشرت وول ستريت جورنال، وذلك مايسجل لصالحها، مقالات عدة عن توجهات مسلمين أثرياء من أصحاب المصالح الكبيرة، ورجال أعمال ورجال مصارف ومهنيين وآخرين في منطقة الشرق الأوسط يجهرون فيها صراحة بالتعبير عن شجونهم. صحيح أنهم يفصحون عنها بشكل أكثر تهذيباً من الفقراء في الشوارع والأحياء، ولكن المغزى واضح في الحالين. الجميع يعرف هؤلاء الناس. فهم أولاً غاضبون جداً للتأييد الأمريكي للأنظمة القمعية غير الديمقراطية في المنطقة، وغاضبون لإصرار الولايات المتحدة على عرقلة أي جهود لإيجاد مخارج ديموقراطية.

كما اشتكى الناس في تلك المنطقة من أن الولايات المتحدة منعت النمو الاقتصادي المستقل بسبب «دعم الأنظمة القمعية»، وهذا هو التعبير الذي استخدموه. لكن الشكوى الرئيسية التي ركزت عليها مقالات وول ستريت جورنال المذكورة، ويركز عليها جميع من يعلم أي شيء عن المنطقة هناك أو يهتم بأي شيء فيها، وهي شكوى آتية من أفواه المسلمين الأغنياء، وهم بالمناسبة مؤيدون للأمريكان، إنما هي موجهة إلى سياسات الولايات المتحدة المزدوجة المتناقضة تناقضاً صارخاً في رأيهم، وهم على حق، حيال العراق وإسرائيل.

ففي حالة إسرائيل فإن الولايات المتحدة هي الداعم الأول وقاعدة الإسناد للاحتلال العسكري الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية الذي يدخل اليوم عامه الخامس والثلاثين. وقد كان هذا الاحتلال منذ أيامه الأولى قاسياً ووحشياً وبالغ القمع. معظم هذه الأمور لاتناقض هنا في الولايات المتحدة، ويتم التكتم على دور هذه البلاد (في استمرار الاحتلال والقمع الإسرائيليين)، فقد منعت الولايات المتحدة طوال 25 سنة المبادرات الديبلوماسية. بل يجري التكتم على حقيقة بسيطة وهي أنه مع بدء الأحداث في 28 أيلول/سبتمبر من العام الماضي بين الفلسطينيين وإسرائيل بدأت إسرائيل في اليوم التالي تستخدم مروحيات أمريكية (لأن إسرائيل لاتستطيع أن تصنع مروحيات خاصة بها) لمهاجمة الأهداف المدنية. وخلال الأيام التي أعقبت ذلك قتلت إسرائيل عشرات الأشخاص داخل شققهم. وبالمناسبة جرى القتال كله في الأراضي المحتلة، ولم يكن ثمة إطلاق نار من قبل الفلسطينيين (في الأيام الأولى من الانتفاضة الثانية)، بل كان الفلسطينيون يستخدمون الحجارة. إذن، نحن أمام شعب يرمي الحجارة ضد المحتلين العسكر. وهذه مقاومة مشروعة بحسب كل المعايير الدولية.

في 3 تشرين الأول/أوكتوبر عام 2000 أبرم كلينتون أكبر صفقة خلال ذلك العقد حين أرسل مروحيات عسكرية هجومية جديدة إلى إسرائيل. وتواصل إرسال هذه المروحيات خلال الشهور القليلة اللاحقة.

إن تعليقك بأن الولايات المتحدة «دولة إرهابية طليعية» قد يصعق عدداً كبيراً من الأمريكيين. أتستطيع أن تفصل ذلك؟

لقد سبق أن ذكرت مثالاً واحداً. فالولايات المتحدة هي البلد الوحيد الذي أدين بالإرهاب الدولي من قبل المحكمة الدولية، ورفض قراراً من مجلس الأمن يدعو إلى احترام القانون الدولي.

ومازالت الولايات المتحدة تواصل الإرهاب الدولي . وهذا أهون ماتفعله. الجميع هنا كان ساخطاً، وبحق، على التفجير في مدينة أوكلاهوما. ولعدة أيام كانت عناوين الصحف تقول مامعناه: «مدينة أوكلاهوما تشبه بيروت بسبب (مافعله) العرب بها». والسبب في ذلك جزئياً هو أن إدارة ريغان قامت بتفجير إرهابي هناك عام 1985 يشبه كثيراً ماحصل في مدينة أوكلاهوما، وكان عبارة عن تفجير شاحنة خارج أحد المساجد مفخخة وموقتة بحيث تقتل أكبر عدد من المصلين عند خروجهم، فقتلت 80 شخصاً وجرحت 200 آخرين. وكانت الشاحنة المفخخة تستهدف رجل دين مسلم (هو العلامة محمد حسين فضل الله) لم تكن الولايات المتحدة تحبه ولكنها أخطأته. ولم تكن هذه الحادثة بالأمر السري جداً.

أنا لا أعلم ماتسمي الهجوم الذي قتل ربما مليون مدني في العراق، وربما نصف مليون طفل عراقي، وهذا هو الثمن الذي قالت وزيرة الخارجية السابقة إننا على استعداد لدفعه. أثمة اسم لهذا العمل؟ أثمة اسم لدعم الفظائع الإسرائيلية؟

مثال ثالث: دعم أمريكا لتركيا في سحق سكانها الأكراد أنفسهم، وهو عمل قدمت له إدارة كلينتون الدعم الحاسم، أي 80٪ من الأسلحة، وتصاعد مع تصاعد الفظائع التركية.

مثال رابع: قصف السودان. ثمة هامش صغير وضئيل هنا، إلى درجة أن أحداً لم يذكره وإن مجرد ذكر: فما تراه يشعر الأمريكان لو تم نسف نصف الأدوية في الولايات المتحدة، مع أن هذه ليست مقارنة عادلة لأن السودان بلد فقير لايستطيع أن يسد النقص في تلك الأدوية؟ لا أحد يدري كم عشرات من الآلاف كانوا قد ماتوا بسبب ذلك. لو فعل قوم مثل ذلك في الولايات المتحدة، لكنا على الأرجح دعونا إلى قصفهم بالسلاح النووي! لكننا في حالة السودان قلنا: «آه، حسناً، هذا أمر مؤسف جداً، فلننتقل إلى موضوع آخر». غير أن الآخرين في العالم لايستجيبون للأحداث هكذا.

أتستطيع باختصار شديد أن تحدد الأسباب السياسية للإرهاب، وكيف تدرج في النظام العقيدي الأمريكي؟

الولايات المتحدة ملتزمة رسمياً بمايسمى «الحروب المنخفضة الحدة» - low intensity warfare. هذه هي العقيدة الرسمية. فإذا أنت قرأت تعريف هذا المصطلح في كتيبات الجيوش، ثم قابلته بتعريف الولايات المتحدة للإرهاب، وجدت أن التعريفين

يكادان أن يتطابقا. فالإرهاب هو استخدام الوسيلة القاهرة الموجهة إلى السكان المدنيين في مسعى لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو غير ذلك. وهذا ينطبق على تفجيرات مركز التجارة العالمي في 11 أيلول/سبتمبر. ولكنه أيضاً العقيدة الرسمية الأميركية. لقد ذكرت بضعة أمثلة. ونستطيع أن نذكر أمثلة أخرى إلى ما لانهاية: فالإرهاب، ببساطة، جزء من أعمال هذه الدولة (أمريكا).

على هذه الأمور جميعها يجب أن نتعرف جيداً. ومن المعيب أن الحال ليست كذلك. على كل من يريد أن يعرف هذه الأمور أن يقرأ كتاباً يضم مجموعة من المقالات نشرها قبل عشره أعوام ناشر كبير، وعنوان الكتاب: إرهاب الدولة الغربية، وهو يستعرض الكثير من الحالات. إن هذه أمور ينبغي على الناس أن يعرفوها إن كانوا يريدون أن يفهموا شيئاً عن أنفسهم.

إرهابهم وإرهابنا:

إقبال أحمد*

في عام 1985 استقبل الرئيس رونالد ريغان مجموعة من الرجال الملتحين. كنت في تلك الأيام قد كتبت عن هؤلاء الرجال في جريدة نيويورك تايمز. كانوا رجالاً ملتحين ذوي هيئات ضارية، يعتمرون عمامات فيبدون كأنهم جاءوا من قرن آخر. استقبلهم الرئيس ريغان في البيت الأبيض، ثم تحدث إلى الصحافة، فأشار إليهم. وأنا على يقين أن بعضكم سيذكر تلك اللحظة. وقال: « هؤلاء هم المعادلون الأخلاقيون لآباء أمريكا المؤسسين.»**: هؤلاء الرجال كانوا المجاهدين الأفغان! آنذاك كانوا يحاربون، وسلاحهم في أيديهم «إمبراطورية الشر» (الاتحاد السوفياتي). لقد كانوا المعادلين الأخلاقيين لآبائنا المؤسسين.

في آب/أغسطس 1998 أمر رئيس أمريكي آخر بقصف صاروخي من البحرية الأمريكية المتمركزة في المحيط الهندي بهدف قتل أسامة بن لادن ورجاله في معسكرات أفغانستان. ولا أحبّ أن أحرجكم بأن أذكرّكم بأن السيد ابن لادن، الذي أطلق عليه 15 صاروخاً أميركياً أرسلت إلى أفغانستان، كان قبل أعوام قليلة فقط من هذه الحادثة المعادل الأخلاقي لجورج واشنطن وتوماس جيفرسون. ولكنه غضب لأنه أسقط من مرتبة المعادل الأخلاقي لآبائكم المؤسسين، فراح يفرغ غضبه بطرق مختلفة.

---

* محاضرة بالإنكليزية، للكاتب الباكستاني العظيم إقبال أحمد (توفي في إسلام اباد في 11 مايو/أيار 1999). وقد القاها في جامعة كولورادو في بولدر في 12 تشرين الأول/أكتوبر عام 1998. ومجلة الآداب تترجم محاضرة إقبال أحمد بعد ثلاثة أعوام على إلقائها لأنها تسلط الضوء على ذهنية »الإرهاب« ذي الصلة الوثيقة بالولايات المتحدة، وعلى شخصية بن لادن الذي التقاه إقبال شخصياً.

** . آباء اميركا المؤسسون: مندوبو الولايات المتحدة عند اجتماعهم لتوقيع »الميثاق الدستوري« في فيلادلفيا 1787.

دوافع الإرهاب:

تخبرنا تجارب العنف الذي يمارسه الفريق القوي أنها حولت الضحايا إلى إرهابيين. فقد ثبت أن الأطفال الذين كانوا قد تعرضوا للضرب يصبحون أهلاً يؤذون أولادهم، ويغدون بالغين عنيفين. أنتم تعرفون ذلك. وهذا مايحدث للشعوب وللدول: حين تُضرب ترد بالضرب. إن إرهاب الدولة غالباً ما يستولد إرهاباً جماعياً. أتذكرون أن اليهود لم يكونوا إرهابيين قبل الهولوكوست؟ لم يعرف عن اليهود بشكل عام أنهم ارتكبوا الإرهاب إلا أثناء الهولوكوست وبعده. وتبين معظم الدراسات أن غالبية أعضاء أسوأ تنظيمين إسرائيليين في إسرائيل أو فلسطين، وهما عصابتا اشترن والإرغون، كانوا مهاجرين من أكثر البلدان عداءً للسامية في أوروبا الشرقية وألمانيا. وبالمثل، فإن الشبان الشيعة في لبنان، أو الفلسطينيين من مخيمات اللاجئين، هم شعب مضروب. ولهذا يصبحون عنيفين جداً. إن الغيتوات عنيفة من داخلها. وتصبح عنيفة ضد الخارج حين يكون هناك هدف خارجي واضح يمكن تعيينه، تستطيع الغيتوات أن تقول عندها: نعم، هذا هو الذي آذاني. ثم تضربه.

نصيحتي لأمريكا:

في مواجهة هذا التحدي مازال الحكام في بلد تلو البلد يستخدمون الوسائل التقليدية، المتمثلة في إطلاق الصواريخ أو نحوها. الإسرائيليون فخورون جداً بذلك. وكذلك الأمريكان. وبات الفرنسيون فخورين جداً كذلك. والآن الباكستانيون فخورون بذلك أيضاً، فهم يقولون: رجال الكوماندوس التابعون لنا هم الأفضل ولكن، بصراحة، لن ينفع ذلك كله. فثمة مشكلة مركزية في عصرنا، وهي أن العقول السياسية متجذرة في الماضي، في حين أن الأزمنة الحديثة تنتج حقائق جديدة. خلاصة الأمر، إذن؛ ماهي نصيحتي لأمريكا؟

أولاً: تجنبي المعايير المزدوجة القصوى. إذا كنت ستمارسين معايير مزدوجة، فستجازين بمعايير مزدوجة. لا تستخدمي هذه المعايير. لاتتغاضي عن الإرهاب الإسرائيلي أو الإرهاب الباكستاني أو الإرهاب النيكاراغوي أو الإرهاب السلفادوري من جهة، لتعودي بعدها للتذمر من الإرهاب الأفغاني أو الإرهاب الفلسطيني من جهة ثانية. هذا التصرف لايجدي. حاولي أن تكوني عادلة. لايمكن قوة عظمى أن تروج الإرهاب في مكان وتتوقع - بكامل عقلها! - أن تثبط عزيمة الإرهاب في مكان آخر. هذا أمر لايجدي نفعاً في هذا العالم المتقلص.

ثانياً: لاتتغاضي عن إرهاب حلفائك. دينيهم. حاربيهم. عاقبيهم. ورجاءً، تجنبي وحاذري العمليات السرية وأعمال الحرب «ذات الحدة المنخفضة». فهذه العمليات تنتج أرضاً خصبة للإرهاب وللمخدرات. إن العنف والمخدرات تُستولد هناك. لقد صنعت فيلماً عن بنية العمليات السرية، عنوانه «التعامل مع الشيطان»، وقد أحبه الناس في

أوروبا كثيراً. فيه بينت أنه حيث تكون العمليات السرية ثمة مشكلة مخدرات مركزية. فبسبب بنية هذه العمليات السرية باتت أفغانستان وفيتنام ونيكاراغوا وأميركا الوسطى أماكن مضيافة لتجارة المخدرات. إذن، تجنبي هذه العمليات. تخلي عنها. إنها لاتجدي نفعاً.

ثالثاً: رجاءً، ركزي على الدوافع، وساعدي في تحسينها. حاولي أن تنظري إلى الدوافع وأن تحلي المشاكل. لاتركزي على الحلول العسكرية. لاتسعي وراء الحلول العسكرية. إن الإرهاب مشكلة سياسية. فاسعي وراء الحلول السياسية. الديبلوماسية تجدي. خذي مثالاً الهجوم الأخير على ابن لادن (عام 1998). أنت لا تعلمين من تهاجمين.

الأمريكان يقولون إنهم يعلمون، ولكنهم لايعلمون. حاولوا قتل القذافي، ولكنهم قتلوا ابنته ذات الأعوام الأربعة. الطفلة المسكينة لم تفعل شيئاً، والقذافي مازال حياً يرزق. وحاولوا أن يقتلوا صدام حسين، فقتلوا ليلى بنت عطار، وهي فنانة بارزة وامرأة بريئة. ثم حاولوا أن يقتلوا ابن لادن ورجاله، فلم يمت واحد منهم بل مات خمسة وعشرون شخصاً آخرين. وحاولوا أن يدمروا مصنعاً للمواد الكيميائية في السودان، والآن يقرون بأنهم دمروا مصنعاً بريئاً؛ نصف إنتاج الأدوية في السودان دمر بفعل الضربة، ولم يدمر مصنع كيميائي. أنت يا أمريكا لاتعلمين. تظنين أنك تعلمين.

أربعة من صواريخك سقطت في باكستان. واحد أصيب بأضرار طفيفة. واثنان دمرا تماماً والأخير سقط سليماً. عشرة أعوام والحكومة الأمريكية تحاصر باكستان لأن باكستان تحاول - وبحماقة - أن تبني أسلحة نووية وصواريخ، ففرضت أمريكا حصاراً تكنولوجياً على بلدي. ولكن صاروخاً واحداً بقي سليماً. فماذا تظنون أن المسؤول الباكستاني الحكومي قال لـ واشنطن بوست؟ لقد قال: إن هذا الصارخ هدية من الله (الجمهور يضحك). قال: كنا نريد التكنولوجيا الأمريكية، والآن جاءتنا هذه التكنولوجيا، وعلماؤنا يفحصون هذا الصاروخ بعناية شديدة. إذن، الصاروخ سقط في الأيدي الخطأ. ولذا لاتفعلي ذلك. ابحثي عن الحلول السياسية لا العسكرية؛ فهذه الأخيرة تسبب من المشاكل أكثر مما تحل.

رابعاً: رجاءً، حاولي أن تعززي وأن تقوي من هيكلية القانون الدولي. كانت ثمة محكمة جزائية في روما، فلماذا لم يذهب الأمريكان إليها أولاً لكي يحصلوا على تفويض منها ضد ابن لادن، إن كانت لديهم بعض الأدلة؟ خذي تفويضاً، ثم لاحقيه. على المستوى العالمي نفذي قرارات الأمم المتحدة. نفذي قرارات محكمة العدل الدولية. فهذه الأحادية تجعلنا نبدو أغبياء جداً، وتجعل كل هذه المؤسسات الدولية تبدو أصغر مقارنة بنا.

عن الجهاد وبن لادن:

كلمة «الجهاد» ليست تماماً كما ترجمت آلاف المرات إلى الإنكليزية بـ «الحرب المقدسة». «الجهاد» كلمة عربية تعني الكفاح. قد يكون كفاحاً بالعنف، أو بغير وسائل العنف. هناك نوعان: جهاد أكبر وجهاد أصغر. الجهاد الأصغر يتضمن عنفاً. وأما الأكبر فصراع مع الذات. ذكرت هذا لأن الجهاد كظاهرة عالمية عنفية اختفت من التاريخ الإسلامي في الأعوام الأربعمئة الأخيرة، ولكن أعيد إحياؤها فجأة بمساعدة أمريكية في الثمانينات.

النقطة التي يجب أن نذكرها عن ابن لادن هو أنه من شعب قبلي. لايهم إن كان مليونيراً. فأعرافهم الأخلاقية هي أعراف قبلية، وتتلخص بكلمتين: الوفاء والثأر. أنت صديقي، فاحفظ عهدك أكن وفياً لك. فإذا خنت عهدك سلكت طريق الثأر. وبالنسبة إلى ابن لادن، أميركا خانت عهدها. لقد خانه الصديق الوفي. خانك ذلك الذي حلفت بدمك أن تكون وفياً له. ولهذا سيلحقك، هو وإخوانه، يا أمريكا. بل سيفعلون ماهو أعظم بكثير. فهؤلاء هم دجاج حرب أفغانستان يعودون إلى قنهم! ولهذا قلت بضرورة توقف العمليات السرية. فهناك ثمن مرتبط بهذه العمليات لايستطيع الشعب الأمريكي حسبانه، ولايدركه من كان من طينة كيسنجر لأنه لا يمتلك معرفة بالتاريخ تؤهله لذلك.

الملحق رقم (15)

نماذج من مواقف المثقفين العرب من أحداث 11 أيلول/سبتمبر وصراع الحضارات

طاهر بكري* : تراجيديا جديدة

حرب أفغانستان الجديدة هي تراجيديا جديدة في سجل هزائم الإنسان العربي والإسلامي الطويل . ولست أعتبر الأحداث الأخيرة من باب الصدام الحضاري بل هي عكس ذلك: إنها تطاحن الحركات الظلامية المرعبة بوحشية الحداثة المنطلقة من منطق الهيمنة الاقتصادية والقوة الحربية. ومهما كانت الدوافع السياسية القريبة والبعيدة لا يمكنني اعتبار عمل ابن لادن وجماعته المتطرفة الإسلامية عملاً حضارياً، بل هي نفسها التي تنفي الثقافة: تمنع الثقافة وتهدم التماثيل وتحارب نجيب محفوظ وحيدر حيدر ونوال السعداوي وتقتل فرج فودة وحسين مروة ومهدي عامل... هي نفسها التي تجعل من لباس المرأة سجناً ومن القرآن عمامةً ومن تزمت الفكر سوطاً. وما أسهل أن نهدم ونحطم ونخرب.

أي حضارة هذه! كل هذا الخراب والدمار ما هو إلا فشل الإنسانية في الحوار وتغلب صوت السلاح على القيم الإنسانية. وبالتالي أصبح الموت هو المثل الأعلى واعتبار الإنسان حشرة أو بعوضة هو اللغة السائدة شرقا وغربا.

هل أعجبتكم صورة هؤلاء العرب وجثثهم المرمية للكلاب على حافة أفغانستان! ما أشبهنا بأوديب سوفوكول عمى يقطر دماً !

سعد البازعي* : غرور وتجاهل ...وهلع

في محاولتي لقراءة ما جرى يوم الحادي عشر من أيلول ونتائجه ألمح نتيجتين مزعجتين ومتحققتين من ناحية، ونتيجة إيجابية واحدة لم تتحقق، من ناحية أخرى. النتيجة المزعجة الأولى هي الغضب الأمريكي القائم على كثير من غرور القوة وتجاهل الحقائق. والنتيجة الثانية هي الهلع العالمي من تلك القوة ومن قول الحقائق .

نعم من حق الأمريكيين أن يغضبوا لما حدث لهم فهو جسيم ومؤلم ولكن على ألا يؤدي الغضب إلى ما حدث من دمار وتهديد شامل. كما أن من الطبيعي أن يخشى الآخرون لكن ليس إلى درجة عدم القدرة على التعبير الصريح عن الرأي تجاه ما حدث

---

* شاعر تونسي مقيم في باريس.

* كاتب وأكاديمي سعودي.

والإفادة من ثم من نتائج الحدث إفادة حقيقية. بالطبع كانت هناك استثناءات ، لكنها قليلة ولعل من أبرزها التوتر الذي حدث بين الأمير الوليد بن طلال وجولياني عمدة نيويورك حين رفض الأخير الدعم المالي لأنه اقترن بالنقد الذي عبر عنه الوليد للسياسة الأمريكية . وما يلفت النظر هنا بشكل خاص هو الشحنة الرمزية للموقف في الاتجاهين الأمريكي والعربي.

أما النتيجة التي لم تتحقق فهي الوصول إلى مرحلة من النقد الذاتي ترتقي بالحدث إلى مرحلة حضارية بناءة . كان يمكن للأمريكيين أن يساءلوا أنفسهم عن أسباب الحادث وهو بالطبع ما كنا وما نزال نتمناه مجرد تمن بالطبع ! إن الأمريكيين هم بأمس الحاجة إليه لأنه ما تقتضيه الحكمة، وليس المسؤولون الأمريكيون جاهلين بذلك طبعاً ، لكن الخطابات السياسية والإعلامية وشبكة المصالح المعقدة تحول بين مثل تلك الحكمة وبين التحقق.

ولعل من الطريف والمهم في الوقت ذاته أن نلمح كيف إن بلاداً تتباهى بديموقراطيتها وبحرية وسائل إعلامها ، تخضع فيها وسائل الإعلام لمتطلبات العاطفة الشعبية من ناحية، ولمقتضيات السياسة الرسمية من ناحية أخرى. وهو سبق ما أكده غير مرة عالم اللغة والسياسة الأمريكي نعوم تشومسكي، الذي يُعد من منتقدي السياسة الأمريكية الذين تحرص وسائل الإعلام الأمريكية وبالتالي العالمية على عدم إيصال أصواتهم.

أما نحن في العالم العربي والإسلامي فبعدنا التاريخي عن حرية التعبير يجعلنا أبعد ما يكون عن الإفادة من الحدث لإجراء نقد ذاتي علني وبناء . أقول «علني» لأن كثيراً من المسؤولين في الحكومات العربية يرون أنهم هم فقط المؤهلون لمناقشة الأحداث بحرية والتوصل إلى النتائج «الصحيحة» بينما لا ينبغي للآخرين أن يشتركوا في النقاش الصريح الحر أو يتوصلوا إلى نتائج بناءة . وبالطبع ذلك ماتعكسه وسائل الإعلام، فهي كنظيرتها الأمريكية تعكس الرغبة الشعبية في جيشانها العاطفي ، والسياسة الرسمية في توجيه ردود الفعل . فمن الصعب مثلاً أن يطرح أحد الأسئلة الصعبة حول أسباب الأحداث، حول العوامل الكامنة وراء ظهور ما يعرف الآن بمعنى الإرهاب . وأقول «ما يعرف» لأن لا الغرب (ولا بقية العالم) يريد ان يقف ليسأل بجدية عن معنى الإرهاب . وأظن ان معنى الإرهاب هو من أبرز الغيابات الثقافية عما يقال حالياً.

الأمريكيون يتحدثون عن الإرهاب وينسون سياساتهم في العالم، فهي «التابو» الذي لا يسمح لأحد بالتحدث عنه وإن تحدثوا فإن ذلك غالباً ما يتم في شكل معزول أم عبر منابر إعلامية وثقافية أكاديمية وغير شعبية وبالتالي محدود التأثير. أما في العالم العربي فالإرهاب هو إرهاب أمريكا وإسرائيل فقط لكن ما المقصود بالإرهاب تماماً ؟

الكل جاهز لينفيه ويعلن رفضه، ولكن هل عقدنا ندوات لمناقشة معنى الإرهاب بحرية ، أي بدون تسييس؟ إن أحداث أيلول مهمة ثقافيا لأنها تكشف عن تراجع الفكر النقدي سواء في أمريكا أو في العالم العربي مع الفارق النسبي طبعاً بين المنطقتين، ما يعني ترك الحدث ليكون صياغة سياسية ذات منافع فئوية من ناحية أو إعلامية مسطحة من ناحية أخرى ذات بعد تجاري يتأتى من تحقيق الانتشار والمبيعات.

الحادي عشر من أيلول 2001 سيترك حتماً أثره على الثقافة الأمريكية والغربية عموماً وعلى نظرة الأمريكيين والغرب بأكمله إلى العالم وإلى أنفسهم ، لكن الخطاب السياسي والإعلامي لا سيما الأمريكي يحاول تسيير ذلك التأثير حيث يبتعد عن مواجهة جانب مهم من الحقيقة متمثلاً بممارسات حكومته في العالم، كما سيترك الحدث أثراً على الثقافة العربية في جانب مهم من جوانبها وهو التعصب بأشكاله المختلفة، لكن هل يتاح لذلك التأثير أن يأخذ مجراه في شكل طبيعي؟ لا أظن.

غادة السمان* : في بحار اللا نظام العالمي الجديد

إذا كان ثمة من يعتقد بأن كوكبنا في الألفية الثالثة هو «سفينة المرح» أي Love Boat فقد تحولت تلك السفينة في نظره يوم 11 أيلول إياه إلى سفينة «التايتانيك» الغارقة في بحار اللانظام العالمي الجديد والعنف والرياء الكوني.

ماذا حدث ؟ باندورا الأسطورة الإغريقية فتحت صندوق الآثام كعادتها بين قرن وآخر وانطلقت الشرور لتعم العالم في معظمه . ساحرات شكسبير نصبن من جديد قدورهن ونفثن في العقد النفسية للناس هنا وهناك وسالت شرور الليدي ماكبث ومطامحها وانتحب هاملت وانتفخ المرابي شايلوك في تاجر فينيسيا.

إنه الشر العتيق ، الملتبس، ذاته الجديد دائما بقدر عتقه.

نقرأ في إحدى الصحف اليومية في 6|12|2001 خبرا مختزلا : قطع أنوف ستة أفغان وآذانهم على أيدي حاجز طالبان لأنهم حلقوا لحاهم!

نتذكر خبرا مشابهاً بمعنى ما، قدم به الأديب وليام بيتر بلاتي لروايته «طارد الشياطين» الصادرة قبل ثلاثة عقود والخبر من إحدى الصحف عن جندي أمريكي «منتصر» أيام حرب فيتنام دخل إلى مدرسة أطفال في قرية فيتنامية نائية وثقب آذان الطلاب بعود ثقاب وهم يصرخون ألماً، ووجد وليام بلاتي في ذلك السلوك دليلاً على حضور الشيطان في بعض الناس في بعض الأزمنة بأسماء متعددة وصور وتقمصات مختلفة الذرائع والتبريرات.

رفضنا لسلوك طالبان نحو المرأة هو موقف هامشي قياساً إلى فظاعتهم الأساسية وهي قمعهم لحرية الانسان وإصرارهم على إلغاء الآخر المختلف الذي يفكر ويحب ويتمرد بلا لحية... وكان من المفترض أن ترفضهم الديموقراطية الغربية وتدين

---

* روائية سورية.

ممارستاهم منذ زمان، لكن ثمة من صنعهم ذات يوم على مقاس مصالحه لمحاربة (الروس) وحين طار رأس الروس جاء دورهم، وقتها فقط بدأ التباكي على حرية المرأة كما لو أن الرجل كان في أي يوم حراً في ظل حكم طالبان! وذلك مجرد مثال صغير على هول كبير في ظل ازدواجية المعايير في غلبة النوازع التدميرية عند البعض وتستر الآخرين على الأمر ما دام يطاول سواهم!

الأدب والفكر والفن الانساني في كل مكان على مر العصور حاول التأسيس لحوار حضاري، شاجباً عنف الجميع بلا استثناء رافضاً الصدام الحضاري بغير أبجدية العقل... وهولاكو وهتلر ونيرون لم يموتوا حقاً فهم يتابعون حياتهم فيشارون وأمثاله من السفاحين عشاق نظرية صراع الحضارات حتى إبادة بعضها بعضاً.

ليس بوسعي أن أدين ذلك الظلم الرهيب الذي تعرض له أبرياء في انفجار 11 أيلول في مبنى توأم أحبه شخصياً (أحب النخيل المزروع في مدخله ومطعم الدور الأخير فيه المسمى: قبو في السماء) ليس بوسعي أن ادين ذلك من دون آن أدين الأذى الهمجي ذاته الذي يتعرض له الفلسطينيون في ظل حكم شارون وعنفه وغطرسته... وفي نظري ليس ثمة قتلى أبناء ست وقتلى أبناء جارية والشارونية هي طالبانية متمادية في الأذى، لكن شارون لا يعاقب مثل ابن لادن ولا يعاقب الشعب الذي صوت له وحماه كما عوقب طالبان والأفغان ، وقد أثبت التاريخ أن العدالة تكون للجميع أو لا تكون لأحد.

«11 أيلول ابن لادن» هي مجرد تسمية عصرية لسلوك قديم جداً ، يسبق بعصور زمن إبادة المستوطنين «الأمريكيين» لشعب الهنود الحمر (مع تلاوة فعل الندامة الآن على أرواحهم كما سيفعل الإسرائيليون بعد إبادة آخر فلسطيني في بلده المحتل!) وليس صحيحاً ما يقوله الأديب النيويوركي بول إستر في جريدة (الفيغارو) 2001|9|18 من أنه لا سابقه في التاريخ لما يحدث اليوم بل إن تاريخ البشرية يزخر بهذا النمط من الشر والشر المضاد. فالشر عتيق ودهري ولكن علينا ألا ننسى أن «الطالبان» ليس إسلاماً حقاً والصليبية ليست روح المسيحية... ولن يضرنا ترداد قول محيي الدين بن عربي:
أدين بدين الحب أني توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني....

كل ما يحدث في العالم يؤكد لنا حقيقة واحدة (كمنحازين إلى الحوار الحضاري بدلاً من الصدام الحضاري الفج والفخ) وهي «ضرورة لبنان» ذلك البلد الصغير الكبير بصيغة انسانية متقدمة حاولها مرة، ألا وهي التعايش بين الأديان والملل والأفكار والطوائف وتكريس الحوار الحضاري وحتى الصراع الحضاري ولكن الودي والصحي العاقل الذي يحترم الآخر، لا حوار الإبادة بالقتل الجماعي والقمع والقهر. بهذا المعنى تصير المطالبة بلبننة العالم حلماً شرط عودة لبنان إلى لبنان وإلى رشده!

بحنين نتذكر تجربة لبنان الغاربة، سياسياً وثقافياً وأدبياً مع محاولة تكريس حرية فكرية ودينية على أرض عربية، وكل هول يقع في عالمنا يجعل من لبنان الحر المنفتح

الديموقراطي ضرورة أكثر من أي وقت مضى: ضرورة انسانية فكرية تمثل النقيض لاسرائيل العنصرية الطالبانية الإرهابية الشارونية الرافضة للحوار والمكرسة للغطرسة كغطرسة حليفتها التي تشهر حق الفيتو ضد وقف قتل الفلسطينيين العزل في بلدهم بدلاً من منع تكرار مأساة 11 أيلول كل يوم في فلسطين وسواها.

الحبيب السالمي* : الحوار الحضاري .... على رغم العنف

أيماني بمقولة الحوار الحضاري قوي لا يتزعزع على رغم كل ما شهده العالم عام 2001 من عنف في الولايات المتحدة وأفغانستان، بل أعتقد بأن هذا العنف الذي يتزامن تفاقمه مع دخول العالم مرحلة جديدة من تاريخه (مرحلة العولمة) يمكن أن يشكل حافزاً إضافياً لهذا الحوار الحضاري، فبدلاً من أن يباعد بين الشعوب والثقافات كما يخيل إلينا للوهلة الأولى فإن بإمكانه أن يقربها من بعضها بعضاً، لأن الصدام الحضاري هو أيضاً شكل من أشكال الحوار وقد لا يكون كله سلبياً في المدى البعيد. ألم يع الغرب المسيحي ذاته ويتمثل قوته وعناصر وحدته من خلال حروبه الصليبية ضد المسلمين؟ أعتقد بأن الغرب لا يزال على رغم تفوقه وثرائه بحاجة إلى الثقافات الأخرى. وهو سيغتني بها بالتأكيد لو عرف كيف يصغي إليها بشيء من التواضع والاحترام وتخلى عن صلفه وغروره وأنانيته وعجرفته كما فعل بيكاسو الذي أحدث ثورة هائلة في الفن الغربي انطلاقا من منحوتات القبائل البدائية في افريقيا. وفي المقابل فإن العرب سيتعلمون الكثير من الغرب لو تخلوا عن هذه المكابرة «البدوية» واعترفوا بأن هناك حداثة واحدة «كونية» حتي الآن في لحظتها الغربية وان مايسمونه «الحداثة العربية» التي يعملون على تأسيسها ليس سوى وهم آخر من أوهامهم الجميلة.

ثمة جملة من القيم الكبرى يقوم عليها ما نسميه الآن الحضارة الكونية وهي قيم أساسية ساهمت في بلورتها ونحتها وترسيخها ثقافات عدة من بينها الثقافة العربية. إن غالبية شعوب العالم تبنت هذه القيم فكرياً (دول آسيوية على رأسها اليابان) او بصدد تبنيها (بلدان أمريكيا اللاتينية وحتى بعض بلدان افريقيا السوداء) أما العرب فإنهم مصرون إلى حد الآن على رفضها بذريعة أنها «غربية» وخوفاً من ضياع الهوية كما لو أن هذه الهوية هشة (في حين أن الهوية العربية واحدة من أصلب وأقوى الهويات في العالم)، وحتى الصين هذا العملاق الذي ظل لفترة طويلة فزاعة للغرب ينزلق حالياً بكل ثقله الحضاري والبشري في اتجاه تبني هذه القيم. وهذا ما يؤكده فوكوياما في حديث أجرته معه أخيرا المجلة الفرنسية «لو نوفال أوبزرفاتور ». لا مفر إذاً للغرب من أن يصغي لثقافات الشعوب الأخرى لكي يظل ذاته ووفياً لقيمه الحقيقية. ولا مفر

* روائي تونسي مقيم في باريس.

أيضاً للعرب من أن يتبنوا قيم الحداثة تبنياً حقيقياً، كما فعلت اليابان وإلا فإنهم سيظلون خارج التاريخ.

عيسى مخلوف* : كيف نحدد وجودنا في العالم؟

في ختام كتابه الصادر أخيراً وعنوانه «النور يأتي من الغرب» أورد المفكر الإيراني داريوش شايغان عبارة للفيلسوف والموسوعي الفرنسي دوني ديدرو، أحد رموز عصر الأنوار جاء فيها: «بدون وحدة الفيزياء والأخلاق الشعرية، لا يبقى أمام البشرية إلا احتمال واحد هو البربرية» وكلمة شعرية هنا تعني الجمالية وتعني الماوراء بما هو أسئلة فلسفية وتأمل.

خارج هذا الفهم الانساني والمعرفي، وفي غياب ثالوث الفيزياء والأخلاق الشعرية يعيش الغرب اليوم ومعه العالم أجمع لحظته البربرية بامتياز. تلك اللحظة، لم تبدأ مع الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، وما حدث قبلها لم يكن سوى تمهيداً لها وللانفجار المستمر باشكاله المختلفة. والرد الأمريكي على العمليات الانتحارية بدل أن ينطلق بحثاً عن الأسباب التي أدت إليها، جاء بخلاف ذلك ليؤدي إلى استثارة نزعة الاستئثار والهيمنة من خلال جميع الوسائل المتاحة، وليفرض المنطق السائد ذاته والذي لا يبشر إلا بقيمة واحدة هي قيمة البيع والشراء وتحويل كل الأشياء إلى سلع.

صرح أحد العلماء البريطانيين، قبل أسابيع قليلة من أحداث أيلول/سبتمبر، بأن الانجازات الضخمة التي حققها الانسان عبر تاريخه الطويل يُمكن أن يتم التراجع عنها في لحظة واحدة. وما يمنح صدقية لهذا القول الذي كان قد أشار إليه كونراد، بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، هو أن مسار العالم لا تحدده القوى الثقافية والمعرفية، بل القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية، أما الثورة العلمية والتكنولوجيا فتستخدم بالأخص باتجاه ما تُمليه عليها هذه القوى.

إن الحرب التي تشنها الولايات المتحدة ضد الإرهاب هي حرب ضد كل من تسول له نفسه الوقوف ضد أمريكا. وهكذا فإن الإرهابيين الذين تحاربهم اليوم أمريكا، كانوا حتى الأمس القريب اتقياء وقديسين.. في حربها ضد الإرهاب، أطلقت الإدارة الأمريكي أيضاً لشارون العقال في حربه ضد الفلسطينيين وشجعته على ارتكاب المزيد من المجازر، وهددت بقصف العراق ثانية، مع الحفاظ بالطبع على رئيسه ونظامه.

في المقابل لا تكف الحملة الإعلامية التي بلغت في بعض وجوهها حدود العنصرية، عن تصوير العرب والمسلمين بمظهر الإرهابيين والمتطرفين المتشددين دينياً والذين يحتقرون المرأة ويذلونها بأبسط حقوقها في الوجود، فيما العرب يُشاركون بمعانقة الصورة السلبية التي يُنتجونها عنهم.

---

* كاتب لبناني مقيم في باريس.

رفعت السعيد * : أعمال فوضوية وغير حضارية.

لا أعتقد أن في الأمر حواراً أو صداماً. فنحن أمام مجموعة إرهابية ذات تفكير فوضوي، مارست عملاً إرهابياً انعكس على مسار العالم أجمع سلباً.

منذ القرن الثامن عشر، عندما ظهرت 'الحركة الفوضوية، كان كثير من المفكرين اليساريين يُؤكدون أن الفعل الفوضوي يُؤدي حتماً إلى انتصار الخصم، وهذا ما أخذ يحدث منذ 11 أيلول/سبتمبر.

من الخطأ أن تُلصق بالإسلام تهمة الإرهاب أو أنه كان خلف هذا الذي حدث، فالذي رأيناه هو 'تأسلم' وليس إسلاماً. تأسلم على وزن 'تأمرك' أي التمسح بالإسلام، والمتأسلم هو من يتظاهر بأنه مسلم. وابن لادن والظواهري وغيرهما هم مجرد إرهابيين، طالما عانينا منهم. وكتابات الظواهري الأخيرة هي كتابات منحطة، تلك التي يزعم فيها أن مصر ليس بلداً إسلامياً، لأنها تسمح للأقباط بحق الانتخاب. وهو بذلك يتناسى أن تعداد الأقباط في مصر يبلغ حوالي عشرة ملايين نسمة. ما يقوله الظواهري لا علاقة له بالإسلام، فهو يخلط التأسلم بالهستيريا، بالإرهاب، ويطعن مصر في عروبتها.

وهكذا نجد أنفسنا ليس أمام شيء له علاقة بالحضارة، بل بمجموعة مارقة وفعل فوضوي انتهى بانتصار أمريكا على الجميع. أمريكا هي المستفيد الأول من أحداث 11 أيلول/سبتمبر، وستحاول استثمار ذلك ليس لتفرض جبروتها فقط على مصر والسعودية، بل حتى على أصدقائها في أوروبا. يرى جورج دبليو بوش أن يُصبح ناظر المدرسة الابتدائية العالمية. وهو يعتقد أنه الوحيد العاقل والآخرون أولاد قاصرون. ومستفيداً مما حدث يتربع بوش اليوم على عرش أفغانستان، القريب جداً من روسيا والصين والهند وباكستان..ونفط بحر قزوين. إن منطق بوش هو نفسه منطق ابن لادن، فالأخير كان يقول إنه ممثل الإسلام الصحيح، ومن يقف ضده فهو كافر، والأول يقول: أنا أحارب الإرهاب ومن لا يتحالف معي فهو إرهابي.

على ناظر مدرسة العالم أن يعرف أن كثيراً من الحضارات انهار بسبب مثل هذا الاستعلاء، وسيكون الانهيار هو مصير أمريكا أيضاً إذا لم تصحح مواقفها إزاءنا.

واسيني الأعرج* : أي حرب حضارية وأي صدمة ثقافية؟

... إن هذه الحرب الأخيرة هي حرب رد الاعتبار للنموذج الأمريكي الذي بدأ يهتز عند الأمريكي وعند الحليف.

قبل عشرة سنوات عندما فوجئ العالم العربي في بعض أقطاره بحاصدة لحصد الرؤوس، كان هنالك صمت مطبق في الغرب، بل أكاد أن أقول إنه كان هنالك تواطؤ.

---

* مفكر مصري.

* روائي جزائري.

وإلا كيف نفسر التفكيك السريع لمجمل الشبكات الإرهابية بفترة قياسية، مباشرة بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر، إذا لم يكن مسموحاً لهذه الشبكات بالحركة الحرة، ما دامت تحرق وتدمر خارج الحدود الأوروبية والأمريكية؟

على الغرب الرسمي إذا أراد أن تكون حربه عادلة أن يُعيد ترتيب المسؤوليات وأن يُقلل من النفاق الذي أصبح مكشوفاً. فالضرر الذي كان مسلطاً على الدول العربية قد مسه بالعمق، أي أن النار المهيأة للآخرين امتدت إلى أكثر مما كان مخططاً لها.

لا تكفي العداوة ضد الغطرسة الأمريكية لكي نتشفى ونعتبر أن ما حدث هو فعل حضاري ونجد أنفسنا أننا في صف قتلة، هم في نهاية المطاف صورة للنموذج الفاشي الذي كان مهيئاً لنا لكنه فشل. لا أعتقد أن العالم سيتغير ولا أوروبا ستستفيد، ما دامت الآليات لم تُوضح والمسؤوليات لم تحدد.

ما دامت المشكلات الكبرى لم توضع على الطاولة بمزيد من العدل والتبصر، سيظل العالم مرتبكاً وصعباً. من البديهيات التي لم تعد اليوم مسلمات، وإحدى هذه البديهيات مشكلة الشرق الأوسط وحق الإنسان العربي بأن يعيش في أوطان فيها العدل والطمأنينة والحرية، لا في محتشدات تسمى أوطاناً، تحت الرعاية الكاملة للغرب الرسمي.

انطون مقدسي* : الحوار الحضاري ... توفيقاً سياسياً

قد يكون لزلزال نيويورك. واشنطن (11 أيلول/سبتمبر) نتائج ثقافية، ولكن من المبكر لأوانه الكلام عنها. على أية حال فالزلزال أبعد مدى من الشؤون الثقافية، لأن رهانه هو القضاء على المصالح العليا للولايات المتحدة في العالم. وفعلاً فالذين خططوا بذكاء مدهش للزلزال قصدوا ضرب المركزين اللذين تتجمع فيهما قوة أمريكا..فالتفجير كان بمثابة حرب بين 'الإسلام وأمريكا' - حسب ما جاء على لسان ابن لادن - التي تحتل أساطيلها البحرية والبرية والجوية المناطق المنتجة للثروة والطرق الاستراتيجية التي تُؤدي إليها.

أمريكا كما في ملحق 'لوموند' 22 تشرين الثاني/نوفمبر 2001 هي بمثابة وحش كاسر اخترقت رأسه طائرتان فرفع قدمة المثقلة بالقنابل ليدوس رأس كل من يعتدي أو يُفكر بالإعتداء عليه.

إن ما أدهشني شخصياً في زلزال 11 أيلول/سبتمبر هو أن المتخلفين وللمرة الأولى في التاريخ، تجاوزوا التخلف. كانت التقنيات الأكثر تطوراً في النصف الثاني من القرن الفائت وبداية القرن الحالي، موضوع رهان المتخلفين، وها هم يحصلون عليها ويستخدمونها ببراعة فائقة لدك حصون أكثر بلدان العالم تقدماً.

---

* مفكر سوري.

أنا وإن كنت مسيحياً كاثوليكياً مؤمناً، لكن انتمائي هو للعالم العربي الإسلامي، وأفاخر بهذا الانتماء، لأن الله خلقني في هذا العالم لأخدمه. وما يؤلمني أن قادة العالمين العربي والإسلامي ليست لديهم الجرأة كي يقولوا لأمريكا في وجهها: أهو الإرهاب، كل مايؤذي أمريكا الكبرى وأمريكا الأكبر التي هي إسرائيل؟ فنحن نفاخر بحماس وبالجهاد الإسلامي وبحزب الله والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (ومؤسسها مسيحيّ) والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين (وأيضاً مؤسسها مسيحي) وبقية المنظمات التي وُجدت بهدف مقاومة توسع إسرائيل على حسابنا، نحن عرب فلسطين.

المفجع أن أمريكا شدتنا إليها بتقديمها بعضنا لبعض في الحاجات الأساسية، وبهذا افتقدنا الجرأة على مصارحتها. فعندما نستعيد هذه الجرأة ونعلن لأمريكا تعاوننا الكامل مع المؤسسات الفلسطينية التي تُقاوم إسرائيل نكون بدأنا بتجاوز التخلف.

طيب تيزيني : خطوة العولمة الثانية

قد يمكن القول أن الحادي عشر من أيلول/سبتمبر يمثل الخطوة الثانية بعد الأولى التي تمثلت في نشوء النظام العالمي الجديد، وهذا يعني أننا أمام حالة واحدة منذ عام 1989. وفي هذا السياق لعلنا نرى أن الحقبة الثانية الجديدة تتسم بكونها حقبة الوعي بالمأساة المحتملة التي ربما تُفضي إلى نهاية النظام العالمي بقائدته الولايات المتحدة. وأرى أن هنالك ثلاث عوامل أسست وتُؤسس لمرحلة المأساة هذه التي أخذت الولايات المتحدة تُدركها على نحو متسارع.

يتحدد العامل الأول في أن النظام العالمي الجديد نفسه أخذ يعيش حالة اختراق من داخله مع بروز أحداث سياتل وانتهاءً بما جرى هنا وهناك في أمريكا وأوروبا. ويبرز العامل الثاني في العمل على إعادة بناء الهيمنة الأمريكية عالمياً وخصوصاً على الصعيدين الاقتصادي والعسكري. أما العامل الثالث الذي أخذ يُؤرق النظام العولمي متمثلاً هنا بالمشروع الصهيوني الإسرائيلي، فيتمثل في الإنتفاضة التي لعلها أحدثت اختراقاً من طراز جديد في البنية العولمية الصهيونية.

في ضوء ذلك وفي سياقه، ينبغي فهم الأطروحة الايديولوجية الجديدة التي يسوقها النظام العولمي وهي اطروحة صدام الحضارات.

ومن المهم جداً بالمعنى المنهجي أن نفكك هذه الأطروحة بهدف اكتشاف ما تتأسس عليه، وهو القانون الحاسم الفاعل في النظام العولمي الجديد، وهوالسعي من أجل ابتلاع البشر والطبيعة من أجل هضمهم ومن ثم تقيؤهم سلعاً.

إن هذا القانون الذي نجمله بالتعبير المنطقي على أساس أنه السوق السلعية الكونية الجديدة، يعمل على ابتلاع كل الهويات المثمرة تاريخياً من نمط التاريخي والعقلانية والديمقراطية والوعي القومي والوطني وغيره. إن هذا من شأنه أن يضع

يدنا على فكرة حاسمة هي أن النظام العولمي الجديد ما أن بدأ في التشكل والتموضع والتطور حتى أخذ يعيش حالاً جديدة تتمثل في اختراقه من الداخل والخارج. ومن هنا قد ندرك أن أفغانستان والانتفاضة تمثلان بالنسبة إليه مدخلاً جديداً إلى الثأر لما يحدث فيه من تفكك عميق ، حيث أننا أخيراً نضع يدنا على أن فكرة الصدام الحضاري ينبغي الآن، وفي سياق هذا كله ، أن تقرأ بوصفها ليس هذا الصدام فحسب وإنما كذلك محاولة التفكيك الشامل للعالم.

لذلك أقول ينبغي أن يعاد النظر الآن ومن موقع الفكر العربي والعالمي في مقولتي الصدام الحضاري والحوار الحضاري لإبراز المقولة المغيبة والتي يتأسس عليها الآن النظام العولمي الجديد وهي مقولة التفكك الحضاري.

الملحق رقم (16)

قصيدة وجهها أسامة بن لادن للإنتحاريين في أحداث 11 أيلول/سبتمبر

اني لأشهد أنهم من كل بتّار أحدٌ

يا طالما خاضوا الصعاب وطالما صالوا وشدوا

لم يثن عزيمتهم بلاء مطلق وأذاً وصدّ

حملوا مشاعل دينهم والدين تضحية وجهد

ومضوا يخوضون المنايا كلهم عزم وجد

حتى أضاء بمن قضوا منهم بجيد الدهر عقد

إن آطبقت سدف الظلام وعضنا ناب آكول

وديارناطفحت دماًومضى بها الباغي يصول

ومن الميادين اختفى لمع الأسنة والصهيل

وعلت على الأنات أنغام المعازف والطبول

هبت عواصفهم تدك «بروجه» وله تقول

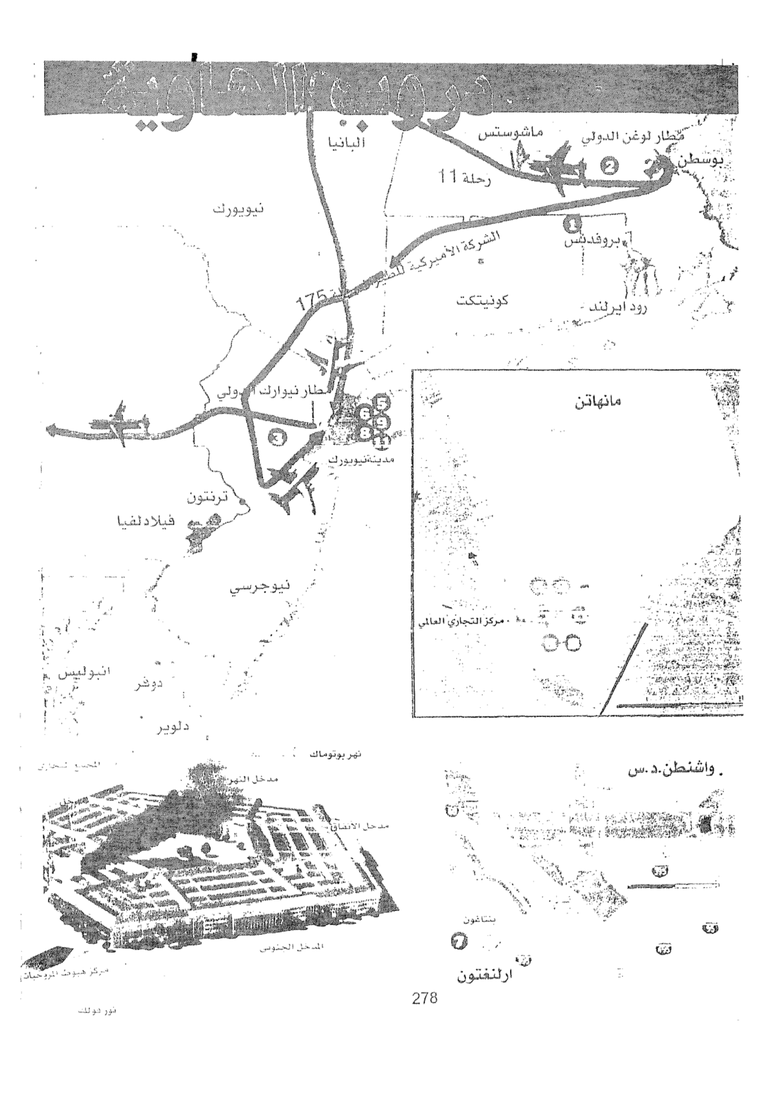
لن «تهدأ الغارات» حتى عن مرابعنا تزول

كاد الدمع يغلب أسامة بن لادن عندما أهدى هذه المقاطع* إلى منفذي تفجيرات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، وعدّدهم واحداً واحداً في آخر ظهور له على شاشة «الجزيرة»، وهو ما عزز خطأ شائعاً بأن ابن لادن يقرض الشعر خصوصاً أنه ردد المقاطع ذاتها في الشريط الذي بثته الحكومة الأميركية وظهر فيه بن لادن مع مجموعة من أعوانه على مأدبة ترحيب بضيف سعودي مقعد، وقد أثار الشريط الذي اتسم برداءة الصوت والصورة لغطاً وشكك فيه كثيرون. وليست تلك المرة الأولى التي تثير فيها أشعار ابن لادن الاهتمام، فقبلها احتفت وسائل الإعلام بقصيدة اثنى بها على منفذي تفجير المدمرة «اس اس كول» ألقاها في احتفال بمناسبة زفاف ابنه الذي اقترن بابنة مساعده محمد عاطف (أبو حفص المصري).

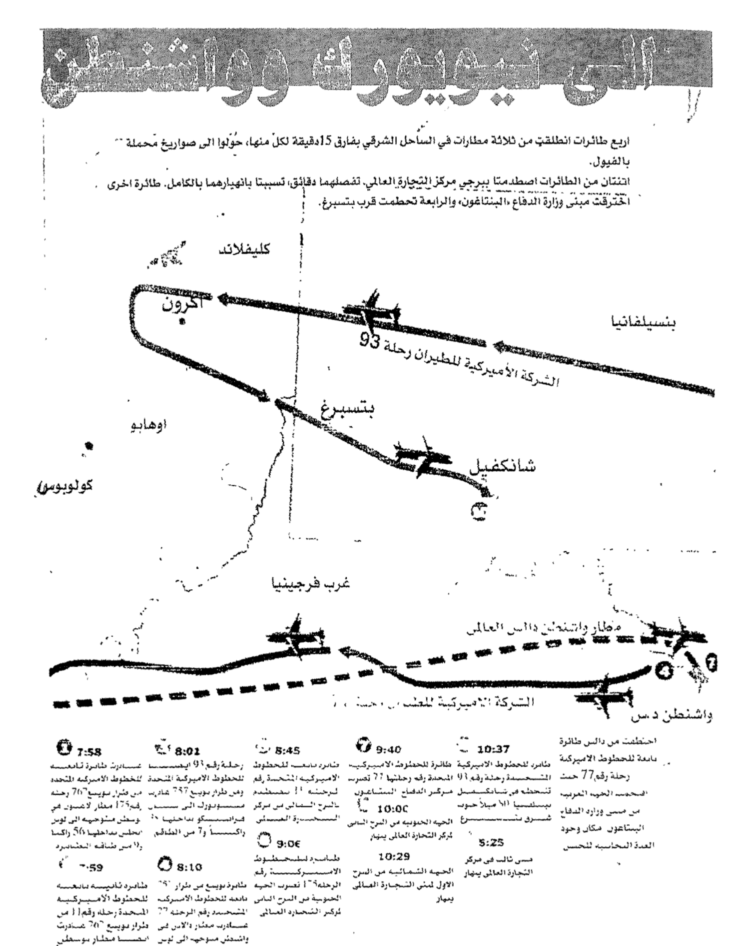
---

* في الواقع أن ابن لادن لا ينظم الشعر، وأن المقاطع التي رددها هي من قصائد تعود إلى شاعر أردني يدرس في جامعة الملك حسين في مدينة معان. وقد نُشرت ضمن مجموعات الشاعر في ديوان، حمل اسم قصائد في زمن القهر، وأجيز نشرها في العاصمة الأردنية، وطبعت في عمان عام 1998. والشاعر لم ينزعج من استخدام ابن لادن لقصائده، لكنه ينوه أن هذه القصائد نظمها لرثاء الشهداء الذين سقطوا في حرب الاستنزاف عام 1968، ويقول أنه في البيت الذي يقول: هبت عواصفهم تدك صروحه، غير فيه ابن لادن صروحه ببروجه.

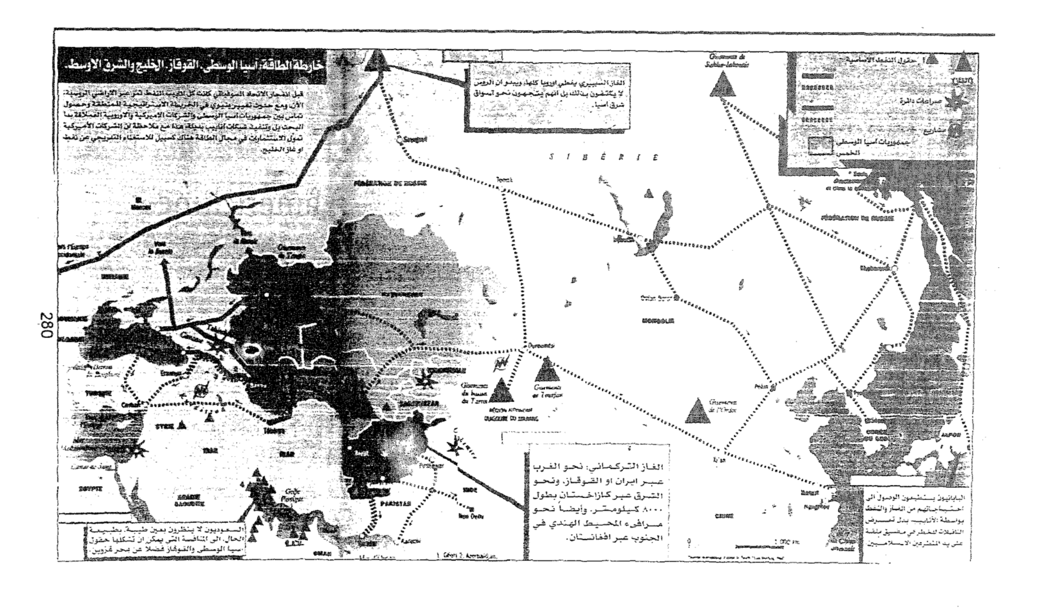

بوش: عام في البيت الأبيض
كانون الأول ٢٠٠١
بوتين يقبل انسحاب الولايات المتحدة من معاهدة خفض الصواريخ
كانون الثاني ٢٠٠٢
بوش يعد بلجنة للتحقيق في انهيار شركة انرون
تشرين الثاني
انهيار نظام طالبان
٢٠ كانون الثاني ٢٠٠١
أصبح رئيساً
يدعم برنامج الدفاع الصاروخي
تشرين الأول
بدء غارات جوية أميركية على أفغانستان. احتجاجات على مقتل مدنيين
هجمات ١١ أيلول
بوش يعلن الحرب على الارهاب.. استطلاعات الرأي تظهر ارتفاعاً كبيراً في شعبيته
حزيران ٢٠٠١
أزمة دولية بسبب عقوبة الإعدام
نيسان ٢٠٠١
أزمة سياسية بعد اصطدام طائرتين حربيتين صينية وأميركية
آذار ٢٠٠١
عرقلة بروتوكول كيوتو (الخاص بخفض الانبعاثات الغازية)
آذار ٢٠٠٠
أزمة جواسيس:
دبلوماسياً روسياً
P. Der

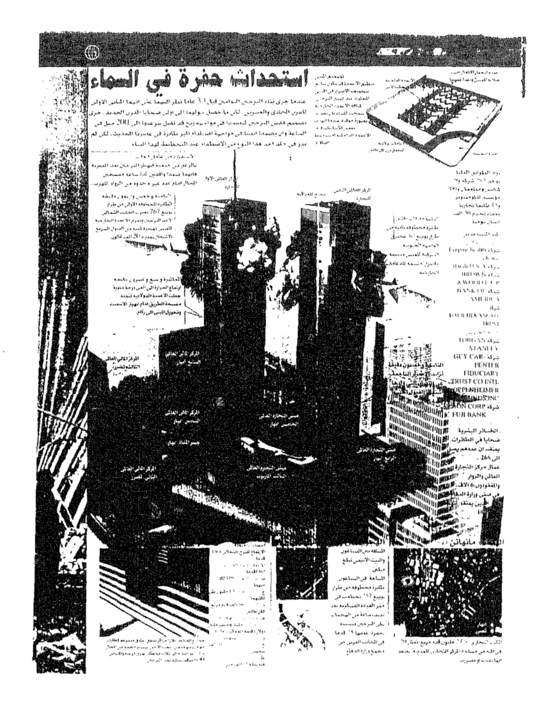


ماشوستس
مطار لوغن الدولي
بوسطن
البانيا
رحلة 11
نيويورك
بروفدنس
الشركة الأميركية للطيران
175
كونيتكت
رود ايرلند
مطار نيوارك الدولي
مانهاتن
مدينة نيويورك
ترنتون
فيلادلفيا
نيوجرسي
مركز التجاري العالمي
انبوليس
دوفر
دلوير
نهر بوتوماك
مدخل النهر
مدخل الانفاق
واشنطن.د.س
بنتاغون
المدخل الجنوبي
ارلنغتون



الى نيويورك وواشنطن
اربع طائرات انطلقت من ثلاثة مطارات في الساحل الشرقي بفارق 15دقيقة لكل منها، حوّلوا الى صواريخ محملة بالفيول.
اثنتان من الطائرات اصطدمتا ببرجي مركز التجارة العالمي. تفصلهما دقائق، تسببتا بانهيارهما بالكامل. طائرة اخرى اخترقت مبنى وزارة الدفاع «البنتاغون»، والرابعة تحطمت قرب بتسبرغ.
كليفلاند
آكرون
بنسيلفانيا
الشركة الأميركية للطيران رحلة 93
بتسبرغ
اوهايو
شانكفيل
كولومبوس
غرب فرجينيا
مطار واشنطن دالس العالمي
واشنطن د.س
7:58
غادرت طائرة تابعة للخطوط الاميركية المتحدة من طراز بوينغ 767 رحلة رقم 175 مطار لاغوس في بوسطن متوجهة الى لوس انجلس بداخلها 56 راكبا
8:01
رحلة رقم 93 التابعة للخطوط الاميركية المتحدة وهي طراز بوينغ 757 غادرت نيويورك الى سان فرانسيسكو بداخلها راكبا و7 من الطاقم
8:45
طائرة تابعة للخطوط الاميركية المتحدة رقم الرحلة 11 اصطدمت بالبرج الشمالي من مركز التجارة العالمي
9:40
طائرة للخطوط الاميركية المتحدة رقم رحلتها 77 تضرب مركز الدفاع البنتاغون
10:37
طائرة للخطوط الاميركية المتحدة رحلة رقم 93 تتحطم في شانكسفيل بنسلفانيا شرق بتسبرغ
8:59
8:10
9:03
10:00
الجهة الجنوبية من البرج الثاني لمركز التجارة العالمي ينهار
10:29
الجهة الشمالية من البرج الاول لمبنى التجارة العالمي ينهار
5:25
مبنى ثالث في مركز التجارة العالمي ينهار
انطلقت من دالس طائرة تابعة للخطوط الاميركية رحلة رقم 77


خارطة الطاقة: آسيا الوسطى، القوقاز، الخليج والشرق الأوسط.
قبل انفجار الاتحاد السوفياتي كانت كل انابيب النفط تمر عبر الاراضي الروسية. الآن ومع حدوث تغيير بنيوي في الخريطة الاستراتيجية للمنطقة وحصول تماس بين جمهوريات آسيا الوسطى والشركات الاميركية والاوروبية العملاقة بدأ البحث بل وتنفيذ شبكات انابيب بديلة. هذا مع ملاحظة ان الشركات الأميركية تمول الاستشارات في مجال الطاقة هناك كسبيل للاستغناء التدريجي عن نفط او غاز الخليج.
الغاز السيبيري يغطي اوروبا كلها. ويبدو ان الروس لا يكتفون بذلك بل انهم يتجهون نحو اسواق شرق آسيا.
الغاز التركماني: نحو الغرب عبر ايران او القوقاز، ونحو الشرق عبر كازاخستان بطول ٨٠٠٠ كيلومتر. وأيضاً نحو مرافىء المحيط الهندي في الجنوب عبر افغانستان.
اليابانيون يستطيعون الوصول الى احتياجاتهم من الغاز والنفط بواسطة الانابيب بدل تعرض الناقلات للخطر في مضيق ملقة على يد المتطرفين الاسلاميين.
السعوديون لا ينظرون بعين طيبة، بطبيعة الحال، الى المنافسة التي يمكن ان تشكلها حقول آسيا الوسطى والقوقاز فضلاً عن بحر قزوين.
حقول النفط الأساسية
الغاز
صراعات دائرة
مشاريع
جمهوريات آسيا الوسطى الخمس
S I B É R I E



استحداث حفرة في السماء

عندما جرى بناء البرجين التوأمين قبل 31 عاما تنظر اليهما على انهما المباني الاولى للقرن الحادي والعشرين. لكن ما حصل حولهما الى اولى ضحايا القرن الجديد. جرى تصميم هندسي البرجين ليصمدا في مواجهة ريح قد تصل سرعتها الى 200 ميل في الساعة وان يصمدا ايضا في مواجهة اصطدام اكبر طائرة في عصرنا الحديث. لكن لم يدر في خلد احد هذا النوع من الاصطدام عند التخطيط لهذا البناء.

العاشرة و سبع و عشرون دقيقة ارتفاع الحرارة التي الى درجة مئوية جعلت الاعمدة الفولاذية تلتهب ممهدة الطريق امام انهيار الاسمنت وتحويل المبنى الى ركام.

شركة Empire health

شركة BROWN

BANK OF AMERICA

شركة MORGAN STANLEY

شركة GUY CARPENTER

FIDUCIARY TRUST CO INTL

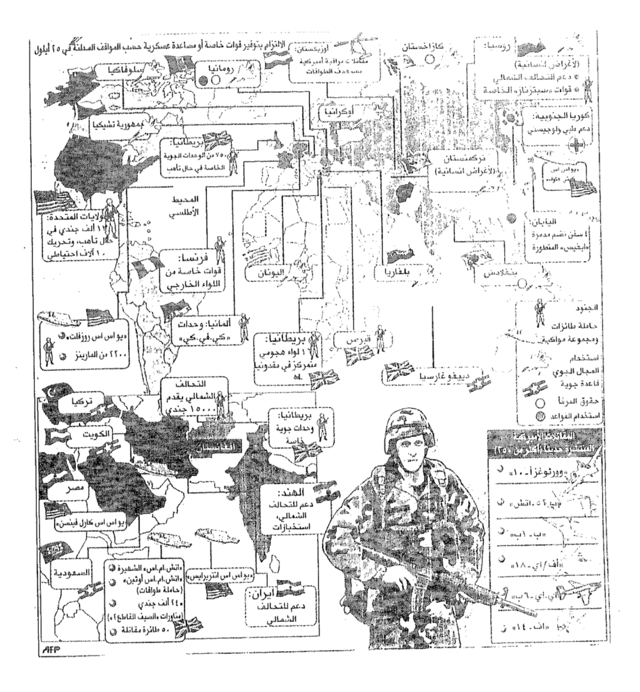
OPPENHEIMER FUNDS INC

FUJI BANK

الخسائر البشرية

ضحايا في الطائرات يعتقد ان عددهم يصل الى 266.

عمال مركز التجارة العالمي والزوار



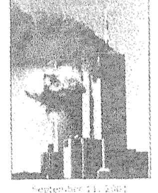
الالتزام بتوفير قوات خاصة أو مساعدة عسكرية حسب المواقف المعلنة في ٢٥ أيلول
سلوفاكيا
رومانيا
أوزبكستان:
كازاخستان
روسيا:
(الأغراض إنسانية)
أوكرانيا
جمهورية تشيكيا
كوريا الجنوبية:
بريطانيا:
٧٥٠ من الوحدات الجوية الخاصة في حال تأهب
تركمنستان
(الأغراض انسانية)
المحيط الأطلسي
الولايات المتحدة:
حال تأهب، وتحريك ١٠ آلاف احتياطي
اليابان:
فرنسا:
قوات خاصة من اللواء الخارجي
اليونان
بلغاريا
بنغلادش
الجنود
حاملة طائرات ومجموعة مواكبة
ألمانيا: وحدات «كي-في-كي»
يو اس اس روزفلت»
٢٢٠٠ من المارينز
بريطانيا:
١ لواء هجومي
قبرص
استخدام المجال الجوي
قاعدة جوية
دييغو غارسيا
حقوق المرفأ
استخدام القواعد
التحالف الشمالي يقدم ١٥٠٠٠ جندي
تركيا
الكويت
بريطانيا:
وحدات جوية خاصة
أفغانستان
مصر
الهند:
دعم للتحالف الشمالي، استخبارات
«يو اس اس كارل فينسن»
السعودية
«اتش.ام.اس الشهيرة»
«اتش.ام.اس أوشين»
(حاملة طوافات)
٢٤ ألف جندي
(مناورات «السيف القاطع ٢»)
٥٠ طائرة مقاتلة
«يو اس اس انتربرايس»
ايران:
دعم للتحالف الشمالي
«أف/اي-١٨»
AFP

MURDER OF U.S. NATIONALS OUTSIDE AND INSIDE THE UNITED STATES; CONSPIRACY TO MURDER U.S. NATIONALS OUTSIDE THE UNITED STATES; ATTACK AGAINST THE WORLD TRADE CENTER & PENTAGON.

USAMA BIN LADEN



Date of Photograph Unknown



September 11, 2001

Other possible looks:





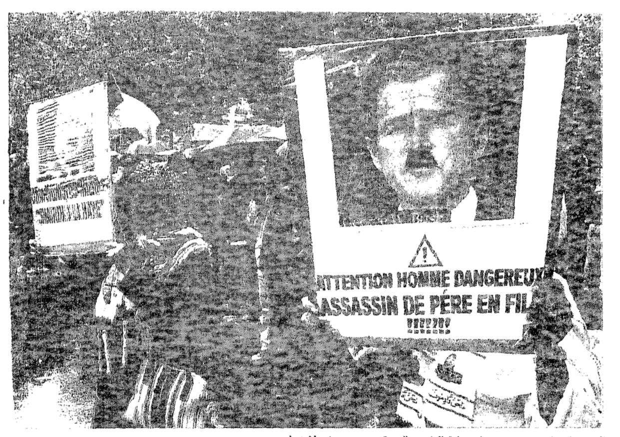


Aliases: Usama Bin Muhammad Bin Ladin, Shaykh Usama Bin Ladin, the Prince, the Emir, Abu Abdallah, Mujahid Shaykh, Hajj, the Director

DESCRIPTION

Date of Birth:	1957	**Hair:**	Brown
Place of Birth:	Saudi Arabia	**Eyes:**	Brown
Height:	6' 4" to 6' 6"	**Complexion:**	Olive
Weight:	Approximately 160 pounds	**Sex:**	Male
Build:	Thin	**Nationality:**	Saudi Arabian
Occupations:	Unknown		
Remarks:	Leader of the terrorist organization Al-Qaeda "The Base". He walks with a cane.		

● ملصق «مطلوب» في مكتب للشرطة السويسرية في زوريخ وعليه صور لبن لادن بهيئته الطبيعية وبأشكال مختلفة في حال عمد إلى تغيير شكله



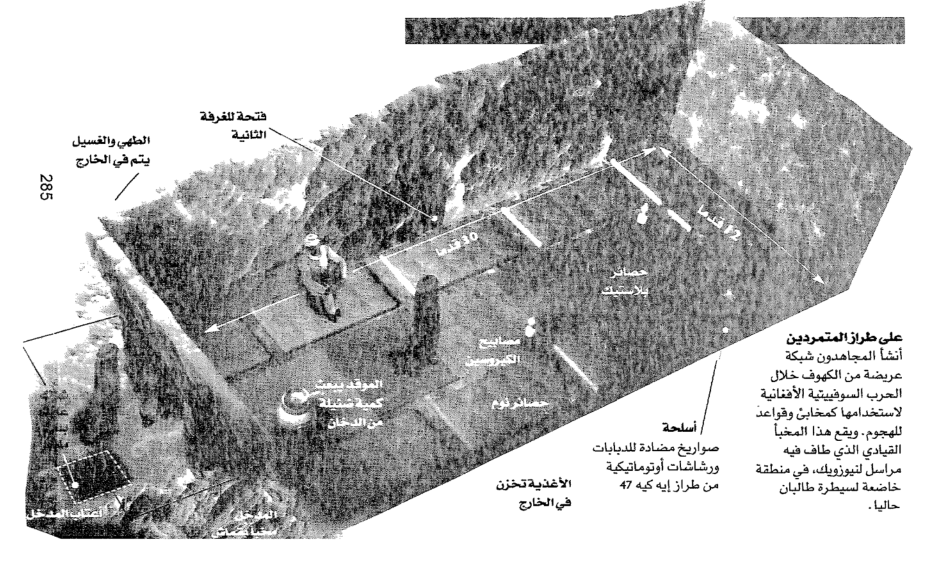
متظاهرون في باريس يحتجون على زيارة الرئيس الاميركي جورج بوش لفرنسا.

العدو من أسفل

تشكل التضاريس الوعرة في أفغانستان الممتلئة بالألغام وأنظمة الكهوف والأنفاق الشاسعة تحديا لجهود الولايات المتحدة في إخراج أسامة بن لادن وكبار مسؤولي طالبان منها.

تسقط الخنادق

تسقط الطائرات الحربية الأمريكية قنابل موجهة لتدمير مواقع القيادة المدفونة تحت الأرض. ويمكن لهذه الأسلحة اختراق خرسانة سمكها أكثر من 20 قدما.



أسلحة
صواريخ مضادة للدبابات ورشاشات أوتوماتيكية من طراز إيه كيه 47

على طراز المتمردين
أنشأ المجاهدون شبكة عريضة من الكهوف خلال الحرب السوفييتية الأفغانية لاستخدامها كمخابئ وقواعد للهجوم. ويقع هذا المخبأ القيادي الذي طاف فيه مراسل لنيوزويك، في منطقة خاضعة لسيطرة طالبان حاليا.



'Now just act normal.'

عملاء مختلف اجهزة الامن الاميركية في احد المنازل مدججون بالاسلحة، يطلبون من اهل البيت التصرف طبيعياً.

المراجع

الكتب

1 ـ هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين. هنري كيسنجر. ترجمة عمر الأيوبي. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى 2002.

2 ـ صدام الحضارات. إعاقة صنع نظام عالمي. صاموئيل هينتغتون. دار سطور، ترجمة طلعت الشايب الطبعة الأولى 1999. بيروت.

3 ـ لا سكوت بعد اليوم. بول فندلي. مواجهة الصورة المزيفة عن الإسلام في أمريكا. شركة المطبوعات للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى 2001.

4 ـ 'ابن لادن.. الرجل الذي أعلن الحرب على آمريكا'، يوسف بودانسكي.

5 ـ 'القاعدة بزعامة أسامة بن لادن.. (بروفيل شبكة إرهابية)'. يونا الكسندر ومايكل سونيتام.

6 ـ 'هل ولدت الأصولية من جديد؟ أفغانستان وطالبان' وليام مايلي.

7 ـ أسامة بن لادن وطالبان: نتائج السياسة الخارجية الأمريكية. أسعد أبو خليل.

8 ـ الحرب المقدسة .. النصر على المقدس.. شاهد عيان على حرب سي.آي. ايه السرية على افغانستان. كورت لوبيك.

9ـ أفغانستان الثورة. حنا صالح. دار الفارابي، بيروت. ط1 1980م.

10 ـ طالبان: جنود الله في المعركة الغلط. فهمي الهويدي.

11 ـ Samuel P. hutington. The clach of civilization, Summer 1993 issue of foreign affair.

12 ـ نهاية التاريخ وخاتمة البشرية. فرانسيس فوكوياما، القاهرة. مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1 1993.

13 ـ تحول السلطة: العنف والثورة والمعرفة. الفن توفلر (مصراتة . الدار الجماهيرية).

14 ـ مفهوم الإرهاب في القانون الدولي. دراسة قانونية ناقدة. المحامي ثامر ابراهيم الجهماني. دار حوران، دمشق. ط1 1998م.

15 ـ من يجرؤ على الكلام. بول فندلي.
16 ـ النظام الدولي ـ الجديد/القديم. نعوم تشومسكي. ترجمة صفوان عكاش. دار فصلت للدراسات والنشر. الطبعة الأولى 2000.
17 ــ الصراعات الدولية الراهنة. العقيد مصطفى دباغ. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى 1994.
18 ــ هل انتهت حرب الخليج. د. سامي عصاصة. دار بيسان.بيروت. الطبعة الأولى 1994.
19 ـ ابن لادن والجزيرة وأنا. جمال عبد اللطيف إسماعيل. دار الحرية. بيروت الطبعة الأولى 2001.
20 ـ تنبؤات نهاية أمريكا وإسرائيل. ترجمة وإعداد يحي عبود. دار اليوسف. بيروت. الطبعة الأولى 2002.
21 . الموسوعة العربية. المجلد الثاني. إصدار الهيئة العامة للموسوعة العربية. دمشق. الطبعة الأولى 2001.
22 . أمريكا المستبدة . الولايات المتحدة وسياسة السيطرة على العالم (العولمة). ميشيل بينيون . موردان، ترجمة: د. حامد فرزات. اتحاد الكتاب العرب، دمشق. الطبعة الأولى 2001.
.2 11 / 9 مجرد جرس إنذار. نعوم تشومسكي، قيد الترجمة.
24 . الأفغنة على الطريقة الأمريكية. نجم حجار . مخطوطة.
25 ـ بناء الأمن والسلام في الشرق الأوسط (الأجندة الأمريكية)، معهد واشنطن، ترجمة يوسف الجهماني، دار حوران، دمشق، طبعة أولى، 2001.

الدوريات

1 . أرشيف صحيفة لوموند ديبلوماتيك. 2001–2002.
2 . أرشيف مجلة الفكر العسكري، دمشق 2001 . 2002.
3 . أرشيف مجلة الأرض، دمشق، 2001 . 2002.
4 . أرشيف مجلة الوسط، لندن: 2001 . 2002.
5 . أرشيف مجلة الحوادث، بيروت: 2001 . 2002.
6 . أرشيف مجلة الشاهد، بيروت: 2001 . 2002.
7 . أرشيف صحيفة الحياة، لندن: 2001 . 2002.
8 . أرشيف صحيفة السفير، بيروت: 2001 . 2002.
9 . أرشيف صحيفة الثورة، دمشق: 2001 . 2002.
10. أرشيف صحيفة تشرين، دمشق: 2001 . 2002.
11. أرشيف صحيفة البعث، دمشق: 2001 . 2002.

12. أرشيف صحيفة نداء الوطن: 2001 ـ 2002.
13. أرشيف صحيفة المحرر الأسبوعية، نيويورك: 2001 ـ 2002.
14. أرشيف صحيفة الكفاح العربي، بيروت: 2001 ـ 2002.
15. أرشيف صحيفة البيان، أبو ظبي: 2001 ـ 2002.
16. أرشيف صحيفة الاتحاد، أبو ظبي: 2001 ـ 2002.
17. أرشيف صحيفة القدس العربي، لندن: 2001 ـ 2002.
18. أرشيف صحيفة الأهرام، القاهرة: 2001 ـ 2002.
19. أرشيف صحيفة الخليج. الإمارات العربية المتحدة: 2001 ـ 2002.
20. أرشيف صحيفة كيهان العربية. طهران: 2001 ـ 2002.
21. أرشيف صحيفة الزمان. لندن: 2001 ـ 2002.
22. مجلة الآداب. العدد 10/9 أيلول/ سبتمبر ـ تشرين الأول 2001. السنة 49
23. أرشيف صحيفة النور. دمشق: 2001 ـ 2002.
24. أرشيف صحيفة المستقبل. بيروت: 2001 ـ 2002.
25. أرشيف صحيفة الحرية. بيروت: 2001 ـ 2002.
26. أرشيف صحيفة الشرق الأوسط. لندن: 2001 ـ 2002.
27. أرشيف صحيفة الوطن العراقية. دمشق: 2001 ـ 2002.
28. أرشيف صحيفة المجد. عمان: 2001 ـ 2002.
29. أرشيف صحيفة القبس. الكويت: 2001 ـ 2002.
30. أرشيف صحيفة النهار. بيروت: 2001 ـ 2002.
31. أرشيف مجلة الحوادث. بيروت: 2001 ـ 2002.
32. أرشيف صحيفة المؤتمر العراقية.لندن: 2001 ـ 2002.
33. أرشيف صحيفة الأيام. المنامة: 2001 ـ 2002.
34. أرشيف مجلة تشرين الأسبوعي. دمشق: 2001 ـ 2002.
35. أرشيف مجلة المجلة. لندن: 2001 ـ 2002.
36. أرشيف مجلة النور. لندن: 2001 ـ 2002.
37. أرشيف صحيفة نضال الشعب. دمشق: 2001 ـ 2002.
38. أرشيف صحيفة الشرق. بيروت: 2001 ـ 2002.
39. أرشيف مجلة النقاد. لندن: 2001 ـ 2002.
40. أرشيف مجلة الأهرام العربي. القاهرة: 2001 ـ 2002.
41. أرشيف مجلة روز اليوسف. القاهرة: 2001 ـ 2002.
42. أرشيف مجلة الوطن العربي. بيروت: 2001 ـ 2002.
43. أرشيف مجلة كواليس. بيروت 2001 ـ 2002.

44. أرشيف صحيفة كيهان العربي. طهران 2001 . 2002
45. أرشيف صحيفة الرأي العام. الكويت 2001 . 2002.
46. أرشيف صحيفة الوطن. الكويت 2001 . 2002.

الفهرس

من إصدارات الدار

موليير/ مسرح	ترجمة: يوسف الجهماني
الشعر النبطي في حوران	علي المصري
كاليجولا/ مسرحية	ترجمة: يوسف الجهماني
نرسيس وغولدموند/ رواية	هرمان هسه
روسهالده/ رواية	هرمان هسه
ذئب السهوب/ رواية	هرمان هسه
غرترود/ رواية	هرمان هسه
تحت الدولاب/ رواية	هرمان هسه
بيتر كامينتزيند/ رواية	هرمان هسه
تعاويذ/ رواية	عقبة زيدان
هيولى/ رواية	عقبة زيدان
اللؤلؤة/ رواية	جون شتاينبك
عالم البورجوازي الأخير/ رواية	نادين غوردمير
24 ساعة من عمر امرأة / رواية	ستيفان زفايغ
الخيبة/ رواية	بولينا داشكوفا
شخصيات لا تنسى	زياد الملا
نهاية بداية / قصص	جيمس كيلمان
ثغر حلم/ قصص	يوسف الجهماني
قراصنة وأباطرة	ناعوم تشومسكي
القرآن بين التفسير والتأويل	أنور خلوف
ما وراء الحجاب	فاطمة المرنيسي
خلفاء بلا خلافة	أ.أ إغناتنكو
الصراع السياسي في تركيا	ف. ي. دانيلوف
خبايا الانهيار	ف. إ. شيرونين

الموساد الإسرائيلي	ترجمة: مخلوف سليمان
من تاريخ تكفير التفكير في الإسلام	يوسف الجهماني
ملفات تركية/ سلسلة	يوسف الجهماني
المسرح التجريبي عالمياً وعربياً	فرحان بلبل
بناء الأمن والسلام في الشرق الأوسط	ترجمة: يوسف الجهماني
فلسفة الروح	محمود الكفري
خالد بن الوليد	محمود الكفري
موسوعة الحرب الالكترونية	الجنرال أ. بالي
على دروب الثقافة الديمقراطية	بوعلي ياسين
حرية الآخر	جاد الكريم الجباعي
معنى الحياة السعادة والأخلاق	غومنيتسكي
رسالة عارف المتلوف	زكريا شريقي
قراصنة وأباطرة	ناعوم تشومسكي
المعري والشيرازي	محمد خلوف
أزهار الغضب/ شعر	منصور الزعبي
عطر اللوز/ شعر	يوسف الصياصنة
كيف الحال / شعر	ربيعة الجلطي
الشعر النبطي في حوران	علي المصري
انهيار الماركسية السوفياتية	محمد سيد رصاص
إزرع دواءك	د. عفيف غنيم
حزب الرفاه	يوسف الجهماني
حوارات في قضايا المرأة، الحرية	نبيل فياض
بكاء النوافير/ شعر	منصور الزعبي
أيام الثلج الأحمر/ رواية	د. فواز الأزكي
الزلازل	د. فواز الأزكي
مفهوم الإرهاب في القانون الدولي	المحامي ثامر الجهماني
عشتار والمولودة/ قصص	فاديا سعد

الحب الكبير / رواية	عيسى الصيداوي
أخلاقيات المعاشرة	غ. ب. بوتيليكو
أخلاقيات السعادة	ك. نيشيف
الدليلة الفلكية	تحقيق: يوسف سفر فطوم
سلسلة ملفات تركية	
(1) تركيا وإسرائيل	يوسف الجهماني
(2) تركيا وسوريا	يوسف الجهماني وسالار أوسي
(3) ثرثرة فوق المياه	يوسف الجهماني
(4) تركيا والأكراد	يوسف الجهماني
(5) أتاتوركية القرن العشرين	يوسف الجهماني
(6) تركيا وأمريكا	يوسف الجهماني
(7) زلزال في تركيا	يوسف الجهماني
(8) الحجاب والسفور في تركيا	يوسف الجهماني
(9) تركيا والأرمن	يوسف الجهماني
(10) الجيش في تركيا	يوسف الجهماني
(11) المؤسسة العسكرية التركية	مخلوف سليمان
(12) الإسلام والسياسة في تركيا	يوسف الجهماني
وترحل الجراح/ شعر	منصور الزعبي
رسائل الرقص/ شعر	مالك الناطور
حوار العمر/ الياس مرقص	جاد الكريم الجباعي
فرشاة/ مقالات تشكيلية	عبد القادر عبداللي
اتحاد الجمهوريات العربية	غسام يوسف مزاحم
وذاب القمر / رواية	عطا الله أبو خضور
حوران عبر التاريخ	د. خليل مقداد
عطر الغايب / شعر شعبي	جمعة الحلفي
دمشق يا عروس الشام/ قصص	سعاد مكارم
إلى ولدي	د. محمد الحاج علي

شقائق البحر / قصص	محمود أبو حامد
ميخائيل باختين	د. زهير شليبة
عرس تحت الماء/ قصص	عطا الله أبو خضور
إنشاء الدوائر والجداول	محي الدين ابن عربي
من تاريخ تكفير التفكير في الإسلام	يوسف الجهماني
حوارات الإصلاح والانفتاح في سوريا	يوسف البجيرمي
سلسلة (سوريا ـ مدن وحضارات)	ماتييف، وسازانوف
(1) دمشق	
(2) ماري	
(3) تدمر	
(4) إيبلا	
فينيقيا/ بلد الأرجوان	ماتييف، وسازانوف
تراتيل آسيوية / شعر	فرج بيرقدار
الأمن والسلام في الشرق الأوسط	معهد واشنطن
أضغاث أحلام/ قصص	ابراهيم كبة
الإسلام/ رؤية غربية معاصرة	دومينيك سورديل
عيون أمي وتل الندى	فهمية نصر الله
ملاحظات في قضايا راهنة	علي العمر

« إن أهداف الحرب العظمى يجب أن تتمثل بالقارات، وليس بالأقليات الوطنية، بالتدمير النهائي للعدو، وليس بمجرد هزيمته، وبتبعية الدول، وليس بتحالفها، بإلغاء كافة الحكومات على الكرة الأرضية، وليس بتبديل الحدود فقط، وبالتوبيخ المميت، وليس بالاتفاق السلمي ».

هتلر

« كيف يمكن أن نحرك العالم ضد العرب والمسلمين؟ علينا أن نشعل العالم إذا أردنا أن ندفئ إسرائيل. منذ أيام أستاذنا الأكبر دافيد بن غوريون ونحن نحاول فصل جغرافيا الشرق الأوسط عن تاريخه دون جدوى، حتى اهتديت إلى فكرة تفتيت الجغرافيا بواسطة التاريخ. وهكذا وجهنا خيرة جواسيسنا لاختراق التنظيمات الإسلامية المتطرفة، على أننا من المخابرات العراقية. وهكذا أرادت مشيئة الرب أن تقدم ماما أمريكا أضحيتها لكي يسهل ربنا أعمالنا القادمة... لقد كانت عملية "طير الأبابيل" نظيفة تماما. إن أفضل ما نفعله هو إرهاب الآخرين وفتح السبيل أمامهم للوصول إلى مبتغانا...».

أفرايم هاليفي

رئيس جهاز الموساد الإسرائيلي

« لم تقم بعملية 11 سبتمبر قوة من خارج أمريكا أبدا. يحتمل أن هنالك أفرادا من بلدان أخرى قد تم استخدامهم فيها. ولكن الذي قام بهذه العملية عبارة عن قوى موجودة داخل أمريكا والهدف منها القيام بانقلاب إداري فيها، وزجها في الحرب. علينا ألا نفكر بالتدخل في أفغانستان، وعلينا إيقاف إسرائيل عند حدها، لأنها تشكل خطرا على أمريكا، وأن نؤسس السلام في الشرق الأوسط، لأن التوتر الموجود في هذه المنطقة هو جزء من الحرب المخطط لها في آسيا».

ليندون لاروش مرشح الحزب

الديمقراطي للرئاسة في انتخابات 2004



دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

دار حوران للطباعة و النشر و التوزيع

سوريا - دمشق. تلفاكس: 6713079

32105